1436هـ - 2015 م

مؤسسة التحايا للإعلام

قسم التفريغ

تفريغ

سلسلة الثقافة والوعي

:: للشيخ ::

عطية اللَّه الليبي رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

تفريغ

سلسلة " الثقافة والوعي "

للشيخ/ عطية الله الليبي (رحمه الله)

مُؤسَّسَة التَّحَايَا

قِسْمُ التَّفْرِيغِ وَالنَّشْرِ

الدرس الأول

" التصور والتصديق – المفاهيم وتصحيحها – الهداية وأسبابها وموانعها "

الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأزواجه وذريته ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين، أما بعد:-

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

اللهم لا سهلَ إلا ما جعلته سهلًا وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلًا، سهّل برحمتك ولطفك أمورنا واهدنا سبلنا وافتح علينا يا رب العالمين.

الإخوة الكرام، الموضوع الذي نحن -إن شاء الله- سنتكلم فيه هو ما أعطيناه اسم (الثقافة الإسلامية والوعي) أحيانًا هذه المادة يعبرون عنها بـ"الوعي الإسلامي أو الثقافة الإسلامية أو التربية الإسلامية" كما سيتضح لنا.

وكما نتصوره من العنوان هي مادة شرعية تنحو منحى النظر في الكليات أكثر من الجزئيات، كان فيه عندنا طبعًا تفاصيل في جزئيات كثيرة أكثر تعلقها بالتصورات وتصحيح المفاهيم وإنشاء مفاهيم إسلامية عن كل شيء؛ لأن الإنسان هذا الكائن الذي خلقه الله -سبحانه وتعالى- عاقلًا مفكرًا ومتدبرًا ومدبرًا، الإنسان هذا -تقريبًا- قوته العقلية محصورة في شيئين/ التصور والتصديق.

فنحن معظم كلامنا سيتم في هذا "تصور الأشياء" أن نتصورها كما هي، أن نفهم الأشياء بشكل صحيح، ثم التصديق وهو الحكم عليها من حيث حسنها وقبحها، جيدة أم لا، وما مقدار ما فيها من خير وصلاح، فساد وشر وهكذا.

بماذا؟ بالموازين الشرعية والدلالات الشرعية والدلالات التي اعتبرتها الشريعة دلالات العقل والحس والتجربة، هذا معنى العنوان.

سنتكلم في الثقافة الإسلامية والوعي الإسلامي، إيجاد مادة شرعية سياسية نظرية علمية تجريبية ثقافية، إذن قلنا إن أكثر تعلق هذه المادة بالتصورات والتصديقات، التصور والتصديق هو طبعًا اصطلاح ولعلكم دائمًا تصادفونه في الكتب.

طبعًا أنا وضعت مجموعة من العناوين ومعظم كلامنا سنحاول أن يكون دردشة أكثر منه كلام رسمي؛ لأن كثير من هذه العناوين تحتاج إلى تحضير مادة ومذكرات ونحن لأنه لا يوجد وقت ولا يوجد ذاك التخصص والتفرغ فأنا وضعت مجموعة من العناوين وتشاورنا مع بعض الإخوة نتدارسها ونتكلم فيها وأنا كتبتها وسأقرأها عليكم ونمر عليها مرورًا سريعًا حتى يتصور الأخ ما هي الأشياء التي سنمر عليها.

الحق، الدين والدنيا والآخرة، العدل والعدالة، الفضل، العلم، الجهاد والدعوة، مناهج وطرائق التغيير، الأمانة والشعور بالمسؤولية، حفظ السر، القيادة والإمارة والولاية، العقل والعاطفة، الحماس والتحريض، الخطابة والخطاب واللغة، أسس الخطاب الصحيح، الموت والحياة والرزق والقدر، الفتنة والامتحان والابتلاء الاختبار، المسيح الدجال.

بعض العناوين ستكون هي تفريعًا عن عنوان سابق بشكل تفصيلي.

العقيدة وأعمال القلوب، الهداية أسبابها وموانعها، التوفيق، الخير والشر، الهوى -اتباع الهوى-، الفتنة -نعوذ بالله منها-، التوحيد، الكفر والشرك، الطاغوت، التكفير فقهه وبعض مسائله، مراتب المسائل الشرعية، اليقين، الحجة والبرهان والدليل، الجماعة والعمل الجماعي وفقهه وآدابه، معايير صحة الجماعة واستقامتها، معايير التقويم للأشخاص والجماعات وغيرها، الشخصية المسلمة، شخصية المجاهد، الاستقامة والصلاح، العبرة بالخواتيم، النقد والمحاسبة والرقابة، الأسباب والأخذ بالأسباب والتوكل، السنن الشرعية والسنن الكونية، أسباب النصر وأسباب الهزيمة، الحق والصبر والعلاقة بينهما، معاني النصر والفتح، السياسة والعمل السياسي، الأمة، الدولة، الحرب، الثقافة والحضارة والمدنية، الانحراف والضلال والزيغ -نعوذ بالله منها-، الحرية والمكتسبات البشرية والإنسانية، الوطنية، القومية، العلمانية، الديموقراطية، الغزو الثقافي والفكري.

هذه عناوين بعضها غير مرتب لكن نحاول أن نتصور بعض الأمور والعناوين التي سنمر عليها وسنتحدث فيها -إن شاء الله-، نسأل الله لنا ولكم التوفيق.

فكما قلنا إن مادتنا هذه والكلام الذي نريد أن نتحدث فيه هو يتعلق بالتصورات والتصديقات

التصور: هو الإدراك المتعلق بالمفردات.

والتصديقات: هو ما يتعلق بالمركبات، بالجملة؛ لأن الجملة فيها تركيب كلمة مع كلمة فيها تركيب، فيه إسناد.

الآن إذا قلت لك يا قتادة: حصان. ماذا تصورت الآن؟ تصورت حصان أليس كذلك؟ سيارة تتصور سيارة، أنت بسماعك للمفرد حصل عندك تصور أليس كذلك؟

-الشيخ ينادي أحد الحاضرين-: حنظلة الأن ماذا تصورت؟

حنظلة: لم أتصور شيء.

لم تتصور شيء؛ لأنك لا تعرف ما معنى هذا اللفظ أليس كذلك؟ إذن التصور متعلق بالمفردات، أنت تقول: جدار، سقف، عمود، سبورة، تقول فلان شخص ثم تعين الشخص تقول فلان الفلاني ابن فلان.

التصور هو هذا كونك أنت تصورت معنى اللفظ وأدركت معناه، وقد يكون أحيانًا متعلق بمفردات بسيطة، وقد يكون فيها بعض التعقيد.

أيضًا يختلف التصور باختلاف مُتَعلَّقِهِ، يعني إذا قلت لك جدار أي شخص يتصور جدار هذا تعلق بالذوات، لكن عندما يتعلق بالمعاني، مثل إذا قلت لك: الخير، الشر، هذه معاني ليست ذوات محسوسة، لا تُدرك بالحواس الخمس.

الألفاظ تنقسم إلى قسمين:

- لفظ دال على ذات

- لفظ دال على معنى من المعاني: الخير، الشر، العلم، الصلاح، التقوى، الفوز، النجاح، هذه معاني أليس كذلك؟

أنت إذا قلت لك: اللفظ الذي يدل إما على ذات وإما على معنى تتصور شيئًا ما، تصورك هذا تابع لمعرفتك بدلالات هذا اللفظ، هذا اللفظ موضوع في لغتنا نحن التي نتخاطب بها –العربية لغتنا المكرمة التي فضلنا الله بها– هذه اللغة وضع فيها هذا اللفظ لمعنى معين للدلالة على ذات معينة أو للدلالة على معنى معين.

فأنت إذا قلت لك: المسخن البخاري –أو سمِّه المدفئة الكهربائية– هذا اللفظ دال على معنى معين أنت تتخيلة، هذا هو التصور.

مطلوب من الإنسان أن يتصور الأشياء على حقيقتها يتصورها تصورًا صحيحًا سواء كانت ذوات أو معاني.

أما الذوات فليس فيها إشكال؛ لأنها أشياء محسوسة والناس لا تختلف فيها في العادة، إنما الاختلاف الكبير والمشكلة تحصل في تصور المعاني، ولهذا وقع في اللغات كلها في خطابات البشر كلها وفي البيان كله على مستوى البشر كلهم وقع التشبيه، ما هو التشبيه؟

هو تشبيه معنى بشيء محسوس وقع ضرب الأمثال، قال –تعالى–: {وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ} الأمثال وظيفتها تقريب المعنى إلى الحس، عندما يريد تقريب معنى من المعاني يأتي بصورة حسية تتصورها فتقول هي مثل كذا.

قال –تعالى–: {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} هذا مثال من أمثال القرآن، والمقصود منه تقريب المعاني إلى الحس؛ لأن الناس لا تختلف في الحسيات ولا يحصل فيها كبير إشكال، وكثير من المعاني الناس لا بد أن يعرفوها كالخير والشر والحسن والقبيح والصلاح والفلاح وغيرها.

المعاني يعرفها الناس باختلاف إدراكاتهم وقوة ملاحظتهم للمعاني وفهمهم لها، لكن الله خاطب الرسل بتقريب هذه المعاني في صور حسية بضرب الأمثال والتشبيهات، فهذه هي التصورات.

إذن نحن مطلوب منا أن نتصور الأشياء تصورًا صحيحًا.

التصديق: هو الحكم -باختصار-، هو قضيةٌ ما، يُحكم عليها بصدق أو بكذب، هو معرفة النسبة أو إثباتها، هكذا تعريفة في المنطق والاصطلاح كما قلنا هو إثبات النسبة.

والنسبة: هي نسبة شيء إلى شيء، أنت عندما تقول: هذا البيت جميل، هذه جملة اسمية كاملة، هذه الجملة فيها إسناد لأن الخبر هو حكم على المبتدأ، هذا هو الإسناد، أو الجملة الفعلية إسناد الفعل للفاعل مثل: فاز زيد، أنت نسبت له الفوز، في الاصطلاح يسمونه الإسناد.

الجملة هي ألفاظ مركبة فيها إسناد، هذا الإسناد كونك أنت تثبته هي القضية هذا هو التصديق، كونك أنت حكمت على البيت أنه جميل، إذن هذا حكمٌ عليه وتصديق، أنت حصل عندك إدراك لهذه النسبة وهذه الإضافة، هذا هو التصديق، أنت تصدق أنت تحكم أنت تثبت شيء في نفسك أو تدعي إثباته، بعد هذا سيأتينا الادعاء.

إذن هذا هو التصديق: الحكم على الأشياء.

الإنسان خلقة الله -سبحانه وتعالى- لا يعرف شيئًا، قال -تعالى-: {وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا} لكن الله -سبحانه وتعالى- ركب فيه أدوات لو استعملها كما أمره الله وهيئه وخلق فيه الاستعداد لاستعمالها، والفطرة التي هي الميل المجبول فيه إلى استعمالها؛ ليصل إلى الهداية، يصل إلى معرفة الخير فيفعله ومعرفة الشر فيجتنبه ومعرفة النافع يأخذه ويعمل به ويكون بجانبه ومعرفة الضار فيجتنبه ويبتعد عنه، قال -تعالى-: {وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}.

إذن، الإنسان يخرج جاهلًا ما يعرف شيء، بسيط، لكن الله خلق له أدوات، أعطاه السمع والبصر -وهذا لعله من باب الاكتفاء- وأعطاه الشم واللمس، وأعطاه أكثر من ذلك، الأفئدة التي هي القوة المدركة التي هي القلب، والحق أن العقل في القلب وهذا مذهب أهل السنة والجماعة كما دلت عليه ظواهر القرآن والسنة؛ لأن

الله –تعالى– ينسب دائمًا الهدى والصلاح، وحتى ضده، الفساد وغيرها ينسبها إلى القلوب، جرى القرآن على هذا في مواضع كثيرة، وأحيانًا إلى الصدور باعتبار القلب في الصدر.

إذن الفؤاد: هو القلب، هو القوة العاقلة هو القوة المدركة.

البصر: هو آلة تنظر ثم تذهب إلى العقل وهو يتصور الأشياء المحفوظة عنده، فهذا اسمه كذا يفيد في كذا والمقصود منه كذا إلى آخره.

القلب أيضًا يعرف النِّسب بين الأشياء، هذا نافع هذا ضار يبدأ يحكم القلب.

إذن الإنسان بهذه الأدوات يذهب في طريق معرفة الخير والشر والضار والنافع والحسن والقبيح وهكذا، الإنسان يخرج إلى الدنيا لا يعرف شيئًا، يتفتح بصره وآلات الإدراك يرى أشياء ويسمع أشياء وهكذا خلق الله فيه أشياء إضافية منها قوة التقليد بالنسبة للطفل الصغير يبدأ يقلد في البداية ليعرف شيئًا، والتقليد ليس عيبًا فيه، لا هو يعيب نفسه ولا غيره يعيبه؛ لأنه قوة بالنسبة للطفل، لازم يقلد حتى يمشي ويسير مع الناس، ولما يكبر تصير لديه اختيارات الحالة الأولى يسميها العلماء "الحالة الطَّبْعية أو النفسية" ويسمونها "حجاب النفس أو حجاب الطبع" هو يمشي على طبع الناس، على ما وجد عليه الناس وعلى ما خلقه الله، أيضًا جزء من قوتة التي يتحرك بها قوة الفطرة والغريزة القوة التي أودعها الله –سبحانه وتعالى– فيه كإنسان من البداية، لكن عندما يكبر يصل إلى حد معين يصبح عنده تأمل واختيارات ويبدأ يتفتح على معرفة ما فيه متضادات فيه خير فيه شر فيه فروق بين الأشياء، هذا قال خيرًا هذا قال شرًا وأيهما أحسن، هذا رجل يعطي وهذا رجل بخيل لا يعطي، يبدأ في معرفة البخل والعطاء والكرم والجود والأخلاق ويقارن بينهم، مثلًا كيف هذا قاسي وعنيف يضرب الفقير وينهر المسكين، وهذا يحن عليهم ويودهم ويعطف عليهم، فيقارن بين نماذج.

لكن على كل حال هو بدأ يميز ويختار لكن باقي عنده حجاب آخر يسميه العلماء "حجاب الرسم" معناه أنه هو يجري على رسوم قومه، رسوم معينة، مواضعات اتضع عليها الناس، هو يمشي عليها في البداية، مثلًا جاء وجد قومه يحبون الشرف والفخامة والرجولة والشجاعة يمشي ويفاخرهم، يحبون الفصاحة في الكلام والشعر إذا شهر فيه الشعر والأدب يمشي ويحاول يكون مثلهم ويتفوق عليهم، وإذا كان قومه من أهل الخيل يحبون الخيل

يمشي على ما وجد عليه قومه، هذه رسوم معينة هو يمشي عليها فترة ما، عادة الإنسان لازم يمشي لكن بحسب قوه الإنسان ما يعطيه الله –سبحانه وتعالى– من الهداية يبدأ يتفكر ويتأمل ويقول مثلًا: أنا أصرف عمري في الخيل وتتبع الخيل والتمييز بين أصواتها وصهيلها وألوانها ومن أبوها وأمها وجدها، أنا لدي أولويات أخرى أو اهتمامات أخرى، أنا عمري محدود. فيبدأ يتفكر ويتأمل في حاله وفي نفسه.

سيسمع طبعًا أن هناك أنبياء أرسلوا وهناك رسل جاءت من الله –سبحانه وتعالى– يدعون إلى كذا وكذا، وأن هناك مصلحين وأن هناك أئمة وأن هناك قادات وأن هناك رجال برزوا في التاريخ، وأن هناك الشر وأن هناك أمم تعاركت وتطاحنت، فتتسع مداركه ويخرج قليلًا عن حجاب الرسم، فمثلًا إذا رأى الخير واضحًا في جانبٍ ما فيمكن أن يكسر الصور العالقة في ذهنه كلها ويثور عليها ويتمرد عليها.

ولكي يكسر هذه الرسوم والصور العالقة في ذهنه والعادات والتقاليد التي كان عليها أجداده وقومه والمواضعات الاجتماعية التي عليها قومه فإن كانت ينبغي تكسيرها مثلًا سواء إما من حيث الأصل أو على الأقل بالنسبة له هو في وقت ما وفي زمن ما، نفرض أن قومه جارون –أي معتادون– على شيء مباح لكن هذا الشخص نظر فوجد أن المباح ليس وقته الآن، ضياع، وتلبيس من الشيطان بإيقاعنا في المفضولات وإغنائنا وإلهائنا عن الفاضل، فتفطن لهذا بعد أن هداه الله لهذا فيكسره ويدوس عليه؛ لكي يصل للفاضل، ولكي يفعل ذلك يحتاج إلى قوة، وهذه القوة ليس لها حل إلا بتوفيق الله –عز وجل–، قوة العزيمة وقوة الإرادة وقوة أن يدوس على كل المواضعات والرسوم كلها وهو لا يبالي بها وإن خالفته الدنيا كلها.

قوة العزيمة وقوة الإرادة يخلقها الله –سبحانه وتعالى– في العبد، ولها أسباب، ومن أسبابها تُربي الإنسان دائمًا على قوة الاختيار من صغره فتكون همته عالية ولهذا يُهتم في تربية الأطفال بتعليمهم الهمة العالية، فالطفل إذا قال لك أريد أن أفعل شيئًا ما، قد يكون شيء كبير لا يستطيع فعله، فقل له: اذهب وافعله الله يوفقك، ولا تزجره وتقول له: إنك لا تستطيع أن تفعل ذلك فتكسر بذلك إرادته، بل دعه يجرب؛ لكي تكون عنده إرادة قوية، ولكن انتبه ألا يكون هذا الشيء كبير جدًا بحيث لا يصاب بخيبة، فالإحباطات المتكررة قد تؤدي به إلى عدم الثقة بنفسه، هذا ما يتحدثوا عنه في التربية.

لكن المقصود بذلك أن الإنسان... وليس شرط الطفل، ولكن عادة النفس البشرية تُمثل بالطفل، فالعلماء الحكماء وأهل النظر والتأمل يشبهوها بالطفل وهذا شهير في تشبيهاتهم

والنفس كالطفلِ إن تتركه شبَّ على حبِّ الرضاعِ وإن تفطِمْه يَنفَطِمِ

وكثير من كلام العلماء والأدباء والشعراء شبهوا أن النفس كالطفل، وأيضًا من التشبيهات الأخرى يشبهوها بإنسان آخر معك، فنفسك التي بين جنبيك اعتبرها إنسان آخر معك تربي فيه، وهذا الإنسان كالطفل فأيضًا لا تضغط عليها كثيرًا؛ لكي لا تنفجر وتصل إلى قضية الكذب، بل سايسها يعني ساعة وساعة كما جاء في الحديث، أي الترويح عن النفس والإحماضات وهذه المقصود منها مسايسة النفس، هذا الأمر مهم في التربية.

نعود إلى تقوية العزائم وتقوية الإرادة، تقوية الإرادة يقصد بها أن الإنسان يجب أن يحاول البحث عن الأسباب التي تقوي الإرادة في نفسه، وإن كان عنده أيضًا تعلق بالنظر والاجتماع فعليه أن ينظر كيف يقوي الإرادة في مجتمعنا؟ فنحن كجماعة صغيرة وكأمّة على مستوى الأمة، أيضًا كيف يقوي الإرادة في الأمّة؟ فلا بد من النظر في هذا، وهناك عدة أسباب لكن غالبها يعتمد على التدرج في التوقي في تقوية العزائم والإرادات، وضرب الأمثلة والاقتداء بأصحاب الهمم العالية وأصحاب الإرادات القوية وقوة الاختيار ووضوح الاختيار والتصميم، ونُعوّد أنفسنا أن نصمم على الأشياء وقبل ذلك يجب أن نتأكد أنها خير، فيجب أن يتبين لنا أنها خير وصلاح وأنها حق وأنها هدى ثم نصمم عليها ونفعلها.

مثلًا العرب من ميزاتهم قوة الإرادة -أي جنس العرب الذي بعث فيهم محمد ﷺ- حتى العلماء عندما تكلموا في بعثة محمد ﷺ قالوا: ما الحكمة أو ماذا يمكن استظهاره من الحكم في هذه البعثة النبوية في هؤلاء القوم؟ وإلا كان هناك أقوام أخرى عندهم ثقافات وعندهم حضارات وعندهم مدنيات أكبر بكثير من العرب التي لا تساوي شيء، وكانوا يضحكوا على العرب بأنهم الهمج الرعاع الجهال الذين لا يعرفون شيئًا، وكانت الروم

وفارس والهند والسند والصين واليونان والإغريق وغيرهم كلهم سابقون، لكن الله -سبحانه وتعالى- اختار العرب وبعث فيهم النبي الأمّي الخاتم أفضل خلق الله وخيرهم وسيدهم وجعل فيهم الرسالة الخاتمة وبلسانهم، فهناك ميزات معينة وهناك حكم معينة.

العلماء استظهروا مجموعة من الحكم منها: ما تميز به العرب من صفات، كانت فيهم صفات وصلت أكمل ما يكون بالنسبة لغيرهم من الأقوام وغيرهم من الأمم، مثل صفات الصدق، الشجاعة، الكرم، والتفاخر بكمالات الفضائل الإنسانية، كان بالغ عندهم مستوى أقوى من الأمم، الأمم كلها تمدح الصدق وتذم الكذب ولكن ما كان الصدق فيهم مثله في العرب، فكانوا أهل صدق لا يكذبون، فالعرب لم تكن تكذب لأن الكذب شيء مذموم جدًا وخسيس، بالطبع هو موجود في الناس ولكن المقصود قوة الصدق منتشر فيهم والتفاخر بالصدق والميل عن الكذب والتجافي عنه، ومشهور فيهم الجود والكرم والشجاعة وقوة الإرادة والعزيمة فكانوا أهل عزائم لدرجة أن الشخص ممكن يموت ويمكن أن يفني أسرته وقبيلته على شيء تافه وبسيط، وأنتم تعرفون حروب العرب كحرب البسوس وحرب داحس والغبراء والحروب هذه وغيرها -يسمونها أيام العرب- معظمها كانت لأسباب تافهة، هي في الحقيقة مظهر من مظاهر وليس الأصل، مظهر من مظاهر الصفات التي منها قوة الإرادة، لكن لعل من الحكم فيها تُربي هذه الأمة على قوة الإرادة، فالعرب كان فيهم هذا.

فجاء الإسلام فيهم وجاءت الرسالة فيهم وجاء النبي ﷺ فيهم لتقوية هذه المعاني الفاضلة كما في الحديث: (إنما بُعثتُ لأتمم مكارم الأخلاق) مكارم الأخلاق التي كانت فيهم موجودة أكثر من غيرهم من الأمم.

النبي ﷺ ما كان فيها من خير وهو كثير كمله وتممه وزاده وقواه وحث عليه ومدحه، وما كان من شر أبطله بحسبه إن كان كليًا أو جزئيًا، فهناك أشياء تحتاج إلى تهذيب كخلق الشجاعة -على سبيل المثال- هذبها وجعلها منضبطة، وأيضًا خلق الرحمة واللين والشدة والعنف وكيفية التوازن بينهما، جاءت الشريعة بتهذيبها وتكميلها وتتميمها، فكانت شريعة الإسلام محتوية على أكمل الأخلاق التي ممكن يتصورها الإنسان مهما حاول ودرس ومهما كان عقله قويًا وفيلسوفًا، والفلاسفة بعلومهم كلها من الأولين والآخرين كلهم إلى جانب

هذا لا يساووا شيئًا بل يلعبون، ما عندهم من خير فهو قطرة في بحر، وطبعًا بالإضافة إلى ما عندهم من الشرور والمفاسد والمعارف الفاسدة والخبالات.

فالمقصود: تقوية الإرادة له أسبابه في الفرد وفي المجتمع، ومن المفترض أن نأخذ بأسبابه في أنفسنا وفيما حولنا وما تحت أيدينا وهكذا.

وأن يمشي على سنن التدرج طبعًا، ولكن مثل ما قلنا لو أن الإنسان الآن في نفسه أو طفل معه أو شيء في التربية من أسبابها المهمة دائمًا أن تجعل عزيمتك قوية، لو تبين لك الحق والخير يجب أن تفعله، هذا الآن الذي يفترق.

نحن الآن حتى في الثقافة المعاصرة غير الإسلامية يقولون: "الصفة الثورية أو الرجل الثوري" يتكلمون عن صفة الثورية في الرجال، الناس التي تغير الأمم وتغير الشعوب وتحطم دول وتبني دول يقولون بأنهم يجب أن يكونوا أناس ثوريين.

الرجل الثوري: هو الذي لا يكون أسيرًا للعادات والتقاليد والإلف، مثل الخوف من كلام الناس، مثال ذلك: عندما يستقيم الرجل في مجتمعاتنا أول شيء يفكر فيه: ماذا سيقول عني الناس؟ ووالده سيقول له: أنت ماذا فعلت لنا؟ ماذا سيقول عنا الناس؟

فهذه هي المشكلة "ماذا سيقول عنا الناس" فهذه من أكبر الحجب والحواجز التي تحجب الإنسان عن الترقي لمراتب الكمال.

أما الإنسان الثوري الذي يثور على الإلف والعادة وهذه المواضعات وغيرها التي سماها العلماء "الرسوم أو حجاب الرسم" هذا يثور عليها لكن لا يكون ذلك مطلقًا وبدون قيد، بل بقيد الشرع وبقيد أن تكون هذه الثورة وهذا التمرد وهذا التكسير لهذه الرسوم تبين بدلالة ديننا أنه خيرٌ وهدى.

الإنسان عندما يعطيه الله -سبحانه وتعالى- قوة الإرادة يكسر هذه الرسوم والحجب والإلف والعادة إذا كان يجب تكسيرها، أو يتخطاها أو يتخلى عنها ويتركها ويبحث عن الكمالات، يبحث عن الخير والهدى ويبحث

عن الأفضل، وهنا يأتي شيء اسمه "الهداية" كيف يهتدي الإنسان إلى معرفة الخير؟ وما هو الخير أصلًا؟ العلماء طبعًا يحاولون دائمًا أن يُعرِّفوا كل شيء.

والتعريف: هو اللفظ الجامع المانع.

الجامع: الذي يجمع المعاني التي نريدها نحن لتعريف هذا الشيء.

ومانع: أي يمنع دخول غيره فيه، يجمعها بحيث لا يند منها شيء ويمنع من دخول غيرها فيها.

فعندما تقرأ الفقه أو تقرأ أي فن من الفنون العلمية تقرأ مثلًا: تعريف الصلاة، تعريف الجهاد، تعريف المرتد، يعني تعريف الشيء ومحاولة وضع حد له حتى يُتصور بكماله.

المقصود بالحد: هو الحد لخدمة التصور.

ثم تأتي الحجج والبراهين التي هي لخدمة التصديق، ولهذا علماء المنطق يقسمونها إلى واديين كبيرين يقولون: "الحد والبرهان" وهذا علم الجدل أو علم المنطق يدرس في مقدمات الأصول، وإن كانت دخيلة على المسلمين ولكن علماء المسلمين استفادوا منها إلى حد لا بأس بمعرفتها كنوع من التنظيم للعقل أو الفهرسة ولكنها شيء من ملح العلم والزيادات وليست من أصوله.

فالمقصود أن الإنسان يبحث عن الهداية، يريد أن يعرف ما هو الخير؟ وما هو الشر؟ ما هو الحسن؟ وما هو القبيح؟ عادة الإنسان يبحث عن الشيء النافع له، والنافع: هو الملائم لك، مثال ذلك: إذا لمستَ شيئًا ووجدته ساخنًا فابتعدت عنه، أو لمست شوكًا آذاك فابتعدت عنه لأنك عرفت ضرره -بسبب الحس؛ لأن الحس إدراك قطعي-، وإذا وجدت شيئًا ناعمًا فارتحت عليه ووضعت رأسك عليه ونمت لأنه شيء نافع، طيب هذا بالنسبة للحسيات.

أما في المعاني فما هو النافع؟ وما هو الضار؟ يوجد كثير من الأشياء يعرفها الإنسان عن بادئ الرأي بسرعة وعن قرب، لكن أيضًا يوجد أشياء لا يعرفها الإنسان، مثلًا: عبادة الله -سبحانه وتعالى- التي هي التوحيد ومجانبة الشرك والطاغوت وتحقيق هذا بتفاصيله الدقيقة، ممكن لا يهتدي إليها الإنسان ببساطة وإن كان

الإنسان مفطور عليها، لكن الإنسان طبعًا تأتيه الحجب والحواجز؛ لأن (أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)، فعندما يكبر وتأتيه قوة الاختيار يصبح مأسور لما طبعَه عليه أبوه وأمه وقومه، فيصبح على الفطرة غشاوة وتصبح ضعيفة جدًا ليس لها أثر أحيانًا في الإنسان؛ لأنها مرت عليها عوامل هدم وعوامل تغطية كثيرة جدًا، لكن تبقى الفطرة في الإنسان يستدل بها، ومن المفترض أن يستدل بها ويستعملها.

فالمقصود هو أنه من الممكن ألا يعرف الإنسان الخير أحيانًا مثلًا: قبح الزنا، وأن الله -سبحانه وتعالى- يبغضه ويحرمه وأنه قبيح، من الممكن ألا يدرك الإنسان ذلك؛ لأن الزنا مستلذ ومخالطة النساء ومعاشرتهن مطلقًا مستلذة، يستلذ الإنسان باعتبارها لذة وشيء ملائم للإنسان، لكن دخلت علينا هنا العواقب والنظر فيها، وهذا يعني أننا يجب أن نعلم بأن الخير ليس هو مجرد إدراك الملائم في الحال؛ لأنه لو كان كذلك فالزنا مستلذ ولكن ما الذي منع منه؟ كونه عاقبته وخيمة على المستوى الدنيوي ومستوى البشر في الدنيا؛ لأنه لو انتشر وفعلوه الناس بدون قيد وتسامحوا فيه كما في المجتمعات الكافرة يفسد الاجتماع وهذا الحاصل فيهم، وتفسد الكثير من الفضائل الإنسانية الفردية أيضًا، حاصلها راجع إلى اتباع الإنسان لشهواته فيصبح الإنسان منغمس في الشهوة؛ لأن هذه شهوة كبيرة حيوانية بهيمية لو فتحت للإنسان بدون قيد يصبح الإنسان مستغرقًا فيها فلا يبقى لديه مجال أصلًا ليفكر في أشياء كثيرة أخرى، فيفسد الاجتماع البشري ويفسد الإنسان، وحدث ولا حرج عن الفساد الاجتماعي الأسري من تفكك الأسر وغير ذلك من الفساد.

والعلماء أخيرًا يقولون انقطاع النسل، وهذا الذي يحصل الآن في ألمانيا وإيطاليا وسويسرا ومجموعة من الدول يدقون -كما يقولون- نواقيص الخطر للتحذير من قوة ممارسة العملية هذه وغيرها بهذا الشكل الحيواني الذي لديهم، فلم يعد لديهم زواج وبالتالي لم يعد لديهم نسل جديد معتبر، حتى نسلهم الجديد بل هو ربما من قرون هكذا هو معظمه أو كله أولاد غير شرعيين، ومع ذلك ياليتهم ينجبون أولادًا شرعيين بل لم يعد لديهم حتى هذا! أو لديهم لكن قليل جدًا؛ لأن المرأة لا تريد أن تنجب والرجل أيضًا ليست لديه رغبة كبيرة المهم هو أن يستمتعوا فقط، والفتاة صارت لديها ثقافة بأنها لا يجب عليها أن تلد؛ لأن بطنها سوف تكبر وترتخي...وهكذا، فصارت عندهم ثقافات.

وطبعًا قد تسربت إلينا بعضًا من ثقافاتهم، فإذن صار هناك عزوف عن الزواج؛ لأنه لم يعد أحد ينظر إلى حفظ النسل وهذه المعاني الاجتماعية؛ لأن الإنسان أصبح مستغرقًا في شهوته وغير مبالٍ بمجتمعه فهو لا يهمه.

الآن في ألمانيا يدقون ناقوس الخطر، يقولون من الممكن بعد 40 سنه يفنى الشعب الألماني، وفي إيطاليا كذلك، الآن يشجعون أي واحد حتى من المهاجرين سواء كان عرب أو لاتين أو غيرهم، يشجعونهم: فقط تعالوا أنجبوا عندنا وسنمنح أولادكم الجنسية، ودعم مجاني لكثير من الأشياء، مثال: الذي لديه 5 أولاد لا داعي لأن يشتغل؛ لأنه يتحصل على علاوات على كل ولد وعليه فقط تسديد إيجار البيت.

المقصود أنهم وصلوا إلى هذه الحالة، نحن نتحدث عن اللذة والملائم للإنسان والنفع والضر والخير والشر، فالإنسان لا يدرك، ضربنا مثال على الزنا، اللذة مؤقتة لكن ما هي عاقبتها؟ هي فساد الإنسان في نفسه وانغماسه وارتكاسه ويكون مثل الحيوان، واكتسابه للخلق الحيواني والبهيمي وابتعاده عن المعاني التي يتميز بها الإنسان التي هي الفضائل والشرف ومنع النفس أي يكون حاكم على نفسه، يكون لديه عزة وكرامة وغيرة.

هذه المعاني تذهب عندما يكون في هذه، وليس عندهم هؤلاء البهائم، وعندما نتحدث لهم عن هذا الشيء يقولون لك: ما هذا الشي ما معناه؟ وبعض من أسلم منهم تحدثوا عن هذا وشرحوه، وهذا على المستوى القريب فسادها في العاقبة والضرر، وعلى المستوى البعيد الضرر الأخروي.

الله -سبحانه وتعالى- حرمه؛ لأنه مفسدة وشر، الله لا يحرم شيئًا إلا لكونه فساد محض أو فساد غالب، الله حرمه؟ في العاقبة صار شيء كبير جدًا.

فالإنسان كي يعرف هذا خير أو شر، ينظر هذا الشيء الذي هو الزنا فيه مصلحة؟ لذة فقط في القريب أيضًا تعقبها مباشرة الفساد والضرر على المستوى القريب، ضرر على نفس الإنسان والاجتماع وغيره، ثم الضرر في العاقبة، فيحكم إذن بأنها شر، كيف حكم بهذا؟ هذه الدلالات التي تحدثنا عنها وهذا مثال الدنيا والآخرة.

العلماء قالوا: "العاقل هو من اختار الآخرة على الدنيا"

كمال العقل، ولذلك كان المؤمن التقي أكمل الناس عقلًا، وطبعًا العقل يتجزأ، يمكن يكون هذا الإنسان اختار الاختيار الصحيح في شيء وتمسك به وعض عليه بالنواجذ وشد عليه بأنامله، ولكن لو تأتي لمسائل أخرى لا يكون لديه فيها معرفة ولا يمكن لعقله أن يدركه، فالعقل يتجزأ.

قد يكون إنسان بروفسور في علم الذرة والتقنيات والفيزياء والرياضيات والكيمياء، وتأتي من جانب الهداية تجده سخيف ويعبد فأرًا! عندما تذهب إلى الهند تجد علماء في الذرة وتجده يعبد بقرة أو فأرًا، هذا أغبى خلق الله.

فالذكاء يتجزأ، لكن هذا وضع عقله في جانب معين وفتح عليه فيه، وأعطاه الله فيه فاستنفذ قوته فيه واستغرقه هذا الجانب، لكن الجانب الآخر وهو الأهم وهو الذي يرتبط به مصيره إلى ما لا نهاية، لا يعير له اهتمامًا! لهذا كان المؤمن أكمل الناس عقلًا، الذي اختار الآخرة على الدنيا في حال تعارضهما.

إذا قلت لإنسان: اليوم لديك 24 ساعة تعيش فيها برفاهية، تدخل إلى قصر تجد أمامك أنواع وأصناف المآكل والمشارب والمناظر وزوجة حسناء وتمتع، لكن غدًا سوف تحرق وتعذب إلى أن تموت، هذا خيار، أو تصبر على هذه 24 ساعة حتى لو جعت وعطشت فقط استعِن بالله وقوِّ عزمك، ولو صبرت هذه 24 ساعة سوف يكون القصر ملكك.

فالعاقل سيختار الثاني، لو هناك أحد اختار الاختيار الأول فهو إنسان جاهل؛ لأنه سيتمتع قليلًا وبعدها سيعذب عذاب مهين.

فنحن عندما أتينا بمثال الحرق في الدنيا فإنه في الدنيا سيموت لا شك، لكن في الآخرة لا يوجد موت، يؤتى بالموت بين الجنة والنار على هيئة كبش فيُذبح ويُقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت. {لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا}

{وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ} جاء في الأثر عن بعض السلف -لعلها مأخوذة من الإسرائيليات- قيل: فيجيبهم بعد 1000 سنة {قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ}

يقال: لو يموت الإنسان من الحسرة لمات في ذلك الوقت {يَدْعُو ثُبُورًا} أي: يدعو على نفسه بالهلاك لكنه لا يموت، فقط عذاب، ينتهي شيء اسمه موت، أيقنت الناس من أهل الجنة وأهل النار أن لم يعد هناك موت، فأهل الجنة يفرحون فرحًا عظيمًا، وأهل النار يكادون يموتون من الحسرة والكمد، ولو أن هناك موت في الآخرة لم يخَف الإنسان ويبقى مرتاحًا وفرحًا، ولو أن مجرد نار تعذب فيها وتخرج ليست مشكلة، لكن المشكلة أن ليس هناك موت، عذاب لا ينقطع، والمثال أنك خلال 24 ساعة فعلت كل شيء تريده ثم تذهب العذاب المهين للأبد!

مثال ثاني أن تصبر قليلًا، أنت لا تعرف متى يأتيك الموت، تصبر قليلًا تحارب أعداءك فتُقتل وتذهب للنعيم الذي لا يمكن أن يتصوره عقل إنسان.

ماذا ستختار؟ العاقل سوف يختار الثاني، أما الذي يختار الأول مجنون ليس فيه عقل.

الكفرة ما عندهم عقول أصلًا، هم أحط من الحيوانات؛ ولهذا قال الله –تعالى– عنهم: {إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ} وعند التحقيق هم أضل بالفعل؛ لأن الحيوان بسيط، خلقه الله يعيش ويموت، وهكذا خُلق لم يخالِف، أما الإنسان فقد هُيئ لشيء فتركه، بعث الله لهم رسلًا يرفعونهم إلى الكمال ويدعونهم إلى الخير فأعرضوا قائلين: اذهبوا عنا نحن لا نريد الرسل. وتجدهم يذهبون للانغماس في الضر والفساد، وفي أسباب العذاب وطريق الهلاك!

الله يحاول يكرمهم وهم يرفضون نعم الله وكرامته وهديته وعطاءه ويتكبرون، فلا عقل لهم.

وحتى على مستوى البشر، فالإنسان تسعى بكل قواك أن تخدمه وتعمل له، وهو يرفض الخير منطلقًا للشر والهلاك، فهذا هو مثال حياة الدنيا والآخرة.

فالإنسان محتاج أن يفكر في العواقب وأن ينظر إلى الأشياء نظرًا كليًا لا نظرة حالية، وإنما نظرة في المآل وما يؤدي إليه، فالهداية يحتاج المرء إلى أن ينظر فيها إلى معرفة الخير والشر والنافع والضار، ولكن بالمعاني الكلية، الخير في الحال والمآل، والحق والصلاح والنفع والحسن، وأضدادها كالقبح والفساد والمضرة والشر، فيحتاج المرء

إلى النظر فيها وفي معانيها ويحققها ليحكم عليها في الحال والمآل، يعني نظرة كلية، والمرء لا يصل إلى هذه إلا بتوفيق الله -سبحانه وتعالى-.

والله -تعالى- جعل الهداية من أعظم المقاصد على الإطلاق؛ لأن كل الدين والدنيا والآخرة في الهداية، والهداية مبناها على توفيق الله -سبحانه وتعالى-، وسماها العلماء: "هداية التوفيق" وهي أن يهتدي الإنسان للخير فيفعله، ويهتدي للشر فيعرفه ويجتنبه، ويكون ثابتًا عليها مستمرًا إلى أن يتجاوز مرحلة الاختبار وينجح، هذه الهداية لها أسباب، وسنتكلم عن أسباب الهداية وموانعها.

كتب لي أحد المشايخ رسالة فيها: "إن سر الفاتحة {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}"

فعلقت عليها قلت: "سر الفاتحة {اهْدِنَا}"

إذا صح أن نقول أن هناك شيء هو سر الفاتحة ولبها وقلبها وهي ما تنتهي إليه فهي كلمة {اهْدِنَا}؛ لأن سورة الفاتحة التي أوجب الله -تعالى- على المسلم في اليوم مرات متعددة، إحدى عشر مرة لمن يقصر صلاته كحالاتنا الآن، ولمن يقيم ويتم صلاته سبعة عشر مرة واجب عليه أن يقرأ الفاتحة، وواجب عليه أن يسأل الله الهداية بمقتضى قراءته للفاتحة، أليس يسأل الله الهداية؟ فهذا السؤال والدعاء الواجب على الإنسان أن يدعو به كل يوم، هل يوجد دعاء آخر يدعو به الإنسان؟ لا، اللهم إلا أن تكون مخصوصة.

لكن هذا الدعاء هو واجب ولا يتم دين المرء إلا به؛ لأن الصلاة بدون فاتحة خداج، ومن لم يُصلِّ بها يمكن أن دينه كله يصير خداج.

فالفاتحة سرها -يا إخواننا- في سؤال الله الهداية بقولنا: {اهْدِنَا} لماذا؟ لأن ما قبلها توطئة لها وتوسل للوصول إليها، وما بعدها تكميل لها، ولاحظ الفاتحة...

{الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} يقول الله -تعالى-: "حمدني عبدي"

وهذا حمد لله أي: إثبات المحامد كلها له، والحمد هو الثناء بالجميل على الجليل -سبحانه وتعالى-.

{رَبِّ الْعَالَمِينَ}: وصف لله -تعالى- صفة جارية على المنعوت وهو لفظ الجلالة.

{الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} فيقول الله -تعالى-: "أثنى علي عبدي"

فرق بين الحمد والثناء، وهو تفريق أشبه ما يكون بالتفريق بين المترادفات، الفرق بينهما طفيف، ثناء على الله -سبحانه وتعالى- بذكر صفات الكمال والجمال والجلال.

{مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ} هذه إن قالها العبد يقول الله -تعالى- كما جاء في الحديث: "مجدني عبدي"

وفي هذا دلالة على أن المجد هو ذكر الصفات المتعلقة بالملك والعظمة وكذا، وكل هذا الثناء والتمجيد هو حمد ومدح لله -سبحانه وتعالى-.

ثم قال: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} وهذا تلقين من الله -سبحانه وتعالى- للعبد أن يقول هذا، كأنه يقول له: يا عبدي قل هكذا.

والعلماء اتفقوا على أنه تلقين منه -سبحانه وتعالى- للعبد لا يمكن غيره، وقد تكلم علماء البلاغة على أن هناك بلاغة الالتفات.

والالتفات: هو التحول من ضمائر الغيبة إلى ضمائر الخطاب. فكان يقول: {الْحَمْدُ لِلَّهِ} يتكلم عن غائب.

{الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ} ثم قال: {إِيَّاكَ} ولم يقل: إياه! وهذا الذي تحدثنا عنه، قال: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ} وهذا يسمى بالالتفات في البلاغة، وهو التحول من ضمائر الغيبة إلى ضمائر الخطاب في الغالب، وهذه صورته وقد تكون له صور أخرى.

{إِيَّاكَ نَعْبُدُ} تلقين من العبد أن يخاطب الله -سبحانه وتعالى- أن يقول له: إياك نعبد يا الله، وإياك نستعين. فهو هنا أقرّ واعترف بأنه يعبد الله وأنه يستعين بالله -سبحانه وتعالى-، والثلاث الآيات الأولى كلها توسّل إلى المقصود، وهو {اهْدِنَا} توسل إلى الله بذكر صفات كماله وجلاله بالإشارة إلى أصولها -حمد وثناء وتمجيد-، هذا كله توسلٌ إلى المقصود، ثم توسل إلى الله أكثر واعتراف العبد بأنه يعبده ويستعين به على عبادته، ومقصود

هذا كله هو {اهْدِنَا} فهذا هو كل الفاتحة، وما قبل هذا هو توسل وتوطئة وسعي إليها وصيرورة إليه، ثم {اهْدِنَا} هي مقصود الفاتحة كلها.

{اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} تبيان لهذا الصراط ونعت له وتوضيح بأنه صراط الذين أنعم الله عليهم، بأنه غير صراط الناس الذين ضلوا وانحرفوا من المغضوب عليهم والضالين، ثم الكلام في الصراط تكميل للسؤال، فالفاتحة كلها لبها ومقصودها هي في كلمة {اهْدِنَا} وهو سؤال الله الهداية وهذا المقصود الأعظم؛ أن يسأل العبد ربه -عز وجل- الهداية بكل معانيها:

- هداية الدلالة على الخير والشر
- وهداية الإرشاد للعلم والمعرفة
- وهداية العمل بمقتضى هذا العلم وهي هداية التوفيق؛ لأنه من الممكن أن يعرف المرء الخير والشر ولكن لا يعمل بمقتضاهما، فمن الذي يجعله يهتدي؟! هو الله -سبحانه وتعالى- الذي يخلق في قلبه هداية معينة حاصلها الإرادة، فهو عرف الخير وأراده فالْتقى العلم والإرادة فوقع الفعل، وهذه الهدايات كلها مقصودة عندما نقول: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} فهي داخلة بقولنا {اهْدِنَا} نسأل الله الهداية بجميع أنواعها.
- وآخرها هداية التثبيت على هذا الطريق والهداية إلى آخر مراتب الفوز والفلاح.

{ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ * غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ} أوجب الله علينا أن ندعوه ونسأله الهداية، والله -سبحانه وتعالى- جعل لنا وسائل وأسباب مؤدية إلى الهداية في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وفي القرآن بالخصوص الله -سبحانه وتعالى- بيَّن لنا الكثير من أسباب الهداية والتي كثيرًا ما نمر عليها ولا نتأملها جيدًا ولا ننتبه إليها.

(الهداية، أسبابها وموانعها)

أن يعرف الإنسان نفسه أنه في مقام العبودية وأنه عبد لله -تعالى-، وإذا عرف الإنسان أنه عبد لله عندئذ يكون قد عرف نفسه، ويعني ذلك أنه عرف أنه محتاج ومفتقر إلى سيده ولا يعمل شيء إلا بإذن سيده ورضاه ولا يتمرد عليه، ويعرف أنه فقير ضعيف عاجز في مقابل مولاه وربه وسيده القوي القادر المتصف بكل صفات الكمال، هذه العبودية تدفع الإنسان أن يقر بعبوديته وضعفه وفقره وعجزه وجهله فيدعو: يا رب أرشدني واهدني.

أما من لا يعترف بأنه عبد لله ويستكبر عن عبادته كما يفعل الطواغيت والجبابرة المتكبرين والأمم الكافرة، هؤلاء فقدوا سبب كبير من أسباب الهداية؛ ولهذا المتكبر يمنعه الله من الهداية، قال -تعالى-: {سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ... الآية} المتكبر لا يحصّل على العلم ولا تحصُل له هداية ولو تحصّل على بعض العلوم، المستكبر لا يهتدي وسيدخل النار، قال -تعالى-: {إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ}

ما هي العبودية وعلى ماذا مبناها؟

مرجعها إلى التذلل والخضوع، ومعنى العبودية الأصلي مأخوذة من طريق معبد، عبَّده أي: ذلله، ومعبَّد أي: مُذلَّل لسيده.

معنى العبودية ومدارها على الذلة والخضوع.

فالعبد إذا عرف أنه عبد وحقق العبودية لجأ إلى الله -تعالى- أن يهديه وبحث عن الخير والصواب وبحث عن الشيء الحسن الذي يرضي ربه -عز وجل-، وبحث عما ينجح ويفلح به ويسأل ربه: يا رب أعنّي، يا رب وفقني، يا رب أرشدني. هذا أهم شيء.

وهذا يتضمن أشياء أخرى، فإذا عرف أنه عبد فسيعرف نفسه أنه جاهل وعاجز ويعرف أن نفسه مركبة من أشياء كثيرة جدًا تمنعه من الهداية مثل: الهوى والشهوات، وعندئذ يلتجيء إلى الله -سبحانه وتعالى- فيسأله

ويستعين به؛ لكي يوفقه -سبحانه وتعالى- إلى الخير الذي يرضى به عنه، ولهذا جاء في القرآن قوله -تعالى-: {سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى} {وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ} الذي يخشى الله ويتقيه هذا هو الذي يهديه الله -سبحانه وتعالى-.

في المقابل الجبارون والمتكبرون الذين لا يخشون الله -تعالى- أولئك لا يهديهم الله {إِنَّ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللهِ لاَ يَهْدِيهِمُ اللهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}

{سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الرُّشْدِ لاَ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَافِلِينَ}

فأول أسباب الهداية هو العبودية لله -سبحانه وتعالى- بالبحث عن الهداية والخير، والإنسان حال كونه معترفًا بأنه عبد لله، حقير جاهل ضعيف إن لم يوفقه الله -عز وجل- فلن يوفَّق، قال -تعالى- في مواضع من القرآن: {وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} {وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ} {وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} {وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ} فبين لنا أن هناك أشياء تضاد الهداية وهي موانعها: كالكفر والظلم والفسق والخيانة والتكبر والعلو في الأرض، كل هذه موانع للهداية.

الهداية ليست معرفة الخير فقط، ولكن الهداية أن يعرف الخير ثم يعمل به؛ ولهذا في ظلمات الحيرة والتردد والشكوك وعندما تأتي فتن الأفكار والمناهج التي يبتلى بها الإنسان في الدنيا وفي الاجتماع البشري والمضايق يحتاج المرء حينها إلى الهداية، والموفَّق والمهتدِ هو الذي يهديه الله -سبحانه وتعالى-، فيوفقه لاختيار القول الصحيح ويفعل الفعل الصحيح ويكون في المكان الصحيح مع من ينبغي أن يكون معهم.

كيف يوفق المرء لهذا؟

بتوفيق من الله -تعالى-، والله -تعالى- أجرى أقداره كلها بأسباب، أهم سبب هو العبودية لله -تعالى- بكل معانيها كالخشوع والخضوع والإنابة والتواضع والإلحاح على الله -سبحانه وتعالى- وطلب الهداية والاعتراف

والإقرار بجهل الإنسان وضعفه ومسكنته وافتقاره إلى الله -سبحانه وتعالى- أنه إن لم يهده الله -سبحانه وتعالى- لا يهتدي.

قال الله -عز وجل- في الحديث القدسي من حديث أبي ذر: (يا عبادي، إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرمًا فلا تَظالموا، يا عبادي، كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم) أي: اطلبوا مني أن أهديكم.

العبودية تستطيع أن تقول هو السبب الجامع لكن نحن نتكلم في بعض تفاصيلها سبب الهداية الأساسي، خشية الله -سبحانه وتعالى-، الإنابة إليه التواضع الافتقار إلى الله -عز وجل- كثرة الدعاء وسؤال الله الهداية الإلحاح على الله أن يهدية ويفتح عليه، إذا فتح الله -سبحانه وتعالى- على العبد في العبودية وعرّفه بقدر نفسه وأنه عبد لله ولجأ إلى الله، الله يهدية وبعدها لا تَخف عليه، إنما قد يكون الإنسان في الجملة عبد لله -سبحانه وتعالى- معترف بالعبودية لله -سبحانه وتعالى- مسلم خاضع لله.

الإسلام: هو إسلام الوجه لله -سبحانه وتعالى-، الاستسلام لله -سبحانه وتعالى- وحكمه وشرعه، أسلم الإنسان ولكن فيه انحراف وفيه معاصي وفسوق وعصيان لم يهتدِ في أبواب تفصيلية جزئية وإنما اهتدى الاهتداء الكلي الجملي، أي خضع للإسلام على الجملة صار مسلمًا لكنه قد يكون ضالًا ضلال عقدي تصوري مقالي، أو ضلال عملي فاسق يشرب الخمر ويفعل المنكرات، فهذا الله -سبحانه وتعالى- حرمه من أنواع الهداية، من أجزاء منها، أي أن هدايته ليست كاملة، وعندما تنقب الأسباب التي أدت به إلى أن لا يهتدي الاهتداء الكامل لا بد أن هناك أسباب، والسبب الجملي لا بد أن يكون حاضرًا وهو نقص العبودية، كل ما كملت عبودية الإنسان لله -سبحانه وتعالى- وحققها تحقيقًا كاملًا كان أهدى فالله -سبحانه وتعالى- يهدية ويوفقه، إذا نقصت عبوديته فتنقص هدايته بحسبها، قد يكون من تفاصيلها بعض من الآيات التي أشرنا إليها، قال -تعالى-: {وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}.

ولهذا من أسباب الهداية أن يقوم الإنسان بالقسط، أن يكون منصفًا عادلًا، أن يحرص الإنسان في حياته كلها ومسيرته إلى النفس الأخير أن يكون من أهل تحقيق الحق والعدل والإنصاف والقيام بالقسط لا يرضى بغير هذا، يبتعد عن الظلم بكل معانيه لا يظلم صديق ولا قريب ولا بعيد ولا عدو ولا يظلم أحد.

الظلم: هو ضد العدل، هو عدم إعطاء المستحق حقه، عدم إعطاء الأشياء حقها، كل شيء له حق.

والعدل بعكسه: وهو إعطاء كل شيء حقه ووضْع كل شيء في محله، أي إذا وجدنا شيء جيد نقول جيد، شيء ممتاز نقول ممتاز ونقول هذه أحسن من هذه، العدل في كل شيء.

غالبًا الإنسان في هذه الأمور يعرفها بالعقل كالظلم والعدل ويفرق بينها، لكن كون الإنسان يلتزم بهذا المبدأ يجعله مبدأه الذي لا يحيد عنه أبدًا، أن يقوم بالقسط، قال -تعالى-: {أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ} نقوم بالقسط، العدل: تحقيق الحق، إعطاء كل شيء حقه، ما يظلم أبدًا، ويعلم أنه إذا ظَلم فبقدر ظلمه يمنعه الله من الهداية، يصرف عنه التوفيق، ترتفع عنه فتوحات الله -سبحانه وتعالى-، وإذا قام بالقسط وحقق الحق وكان مع الحق فإن الله -سبحانه وتعالى- يهديه ويوفقه وتؤدي الحسنة إلى حسنة أخرى ويفتح الله عليه العمل الصالح والحسنات.

إذن، من أسباب الهداية التوقّي من موانعها، ومن موانعها الظلم، ومنها الكفر بالله إذا كان بمعناه الأكبر وهو الشرك والكفر الأكبر فهذا أقصى درجاته وهو الخروج من الهداية بمعناها الكامل والخروج من الإسلام، وان كان بمعنى الكفر الأصغر فهو المعاصي، جملة المعاصي كبيرها وصغيرها، ومنها كفر النعمة فكل الذنوب والمعاصي هي من أنواع الكفر من أجزاء الكفر فهذا بحسبه أيضًا يؤثر بالهداية.

الخيانة من موانع الهداية، الله -سبحانه وتعالى- لا يهدي الخائنين، الخيانة؛ لأنها ضد الأمانة فالله -سبحانه وتعالى- استأمنك على شيء، العبودية كلها أمانة، العبادات كلها أمانات، تكاليف الله كلفنا بها واستأمننا عليها نؤديها إذا نقصت أمانة الإنسان بحسبه تنقص هدايته وينقص حظه من الهداية، مطلوب من هذا العبد أن يكون عبدًا لله سائرًا مع أمر مولاه مفضلًا لما يفضله مولاه محبًا لما يحبه مولاه، فإذا عمل بعكس ما يحبه الله فيكون خان الله وخان أمانته فإن الله يعاقبه ويحرمه من الهداية بمقدارها، والله -سبحانه وتعالى- حكَم عدْل، قال -تعالى-: {وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا}

هذه بعض أسباب الهداية، وخلاصتها: تحقيق معنى العبودية لله، لكن في المقالات وفي مسائل الفكر وغيرها يستعين الإنسان بهذه المعاني يعلم أنه عبد لله إن لم يهده الله لا يهتدي، يعلم أن الهداية من عند الله {وَلَوْ شَاءَ

رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ * وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ...}

الهداية كلها من عند الله {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ} {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ}

إذن، ما يمكن للإنسان أن يهتدي إلا أن يهدية الله ويوفقه ويعينه أن يعترف بها الإنسان بكل ما يملك من قوة ويقر بها في نفسه ويتمثلها ويجعلها ممزوجة في لحمه وعظمه وشحمه، يحقق عبودية الله –سبحانه وتعالى– ويلح عليه ويلجأ إليه –سبحانه وتعالى– أن يهديه، يبتعد عن الظلم والخيانة والفسوق والتمرد والخروج عن أمر الله – سبحانه الله– فيوفقه، يبحث عن الخير وعن الهداية عازمًا أنه إذا ظهر له الخير فعله، فالله –سبحانه وتعالى– يوفقه ويهديه.

هذه أهم أسباب الهداية، ومن موانع الهداية أيضًا، هذه الحجب التي تكلمنا عن بعضها، فمن العوائق والموانع عن الهداية حجاب العادة والإلف وحجاب الطبع، يتعود عليه الإنسان ويألفه يصبح صعب على الإنسان أن يتركه، فهذه حجب تمنع من الهداية على الإنسان أن يكون مستعدًا دائمًا أنه يتخلص من هذه الحجب ويتجاوزها، حجاب العادة والإلف والمواضعات البشرية التي تكونت من خلال ملامساتهم لبعض في الاجتماع.

من موانع الهداية: اتباع الهوى

الهوى: ميل النفس إلى شيء، أنت تهوى شيء، أي تميل نفسك إليه، وهذا تعريف بسيط للهوى.

والنفس تميل إلى الشيء الذي يضرها والشيء الذي ينفعها، فالنفس تهوى الراحة تهوى الملائمات، أي الأشياء التي تلائمها وتلتذ بها ولكن ممكن أن يكون هذا الذي تلتذ به النفس ضار، فجاءت الشريعة بالنهى عن اتباع الهوى وبُعث الرسل كلهم بالنهي عن اتباع الهوى والرسل كلهم الذين أرسلهم الله، والكتب كلها التي أنزلها الله جاءت كلها آمرة بمحاربة الهوى، وناهية عن اتباع الهوى.

وجُعل الهوى ضد الهدى، يقول العلماء: "الهوى ضد الهدى"

قال الله -تعالى-: {فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}

{يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ}

(اتباع الهوى)

كل الأمم التي ضلت وكل الناس الذين ضلوا من أول البشرية إلى آخرها ضلوا باتباع الهوى، إذا اتبع الإنسان هوى نفسه -أي ما تهواه نفسه- كالغلبة على الخصم والظهور والرياسة والملك وراحتها، ما ترتاح به وتلتذ وتحصيل لذاتها كلها وإن كان عاقبة هذه اللذات الهلاك والبوار، لكن هي لا تفكر! النفس تهوى وتميل إلى هذا.

البشر بحسبهم، هناك من هو غارق جدًا في الهوى مثل الكفرة المحاربون للرسل هؤلاء غارقون في الهوى استغرقهم الهوى وأخذهم، اتبعوا الهوى وتركوا الهدى.

والمسلم الذي أسلم لله -سبحانه وتعالى- ودخل في الإسلام على الجملة قد يكون لا يزال عنده بعض الأشياء التي يتبع فيها هواه كأن يأتي يتخاصم مع شخص ويعرف أن الحق مع خصمه ولكن هو يغلبه لكي لا يغلبه خصمه؛ لأنه دخل في نفسه حب الغلبة على الخصم وحب الظهور وحب الملك والشرف والرياسة، الهوى وهو من أشد الشهوات، فهي (الشهوة الخفية) كما أخبرنا ﷺ.

وحب التملك، فالنفس تحب هذا ويظهر صورته في النساء كثيرًا حب الاقتناء ملابس، أجهزة...إلخ، فالنفس طبيعتها هكذا، وأظهر ما تَظهر في الطفل ثم النساء، أما في الرجال والشخص الكامل فيزول منه هذا فيصبح حاكم في نفسه، فحب التملك والقنية، وحب الغلبة على الناس أن يكون هو الغالب وأن تكون الرياسة له والملك والشرف وأن يأمر وينهى وله السلطان، وحب أن يغلب الناس الآخرين بالمعاني أيضًا بأن يكون هو الممدوح دونهم وهو الأفضل منهم وأن ينظروا إليه وهكذا، وكله يرجع ويعود لحب الرياسة "الشهوة الخفية".

وحب الشهوات التي تشتهيها النفس بالغريزة، الشهوات الحيوانية كلذة البطن كالمآكل والمشارب والتلذذات البطنية ولذة الفرج، فهذا ما تريده النفس، فالنفس تميل إلى الراحة وملء البطن والخمول والبيت الناعم والحمام الساخن هذا ما تحبه النفس، فإذا قلت للشخص اذهب للجهاد إلى الجبهة الفلانية، فيقول لك: لا أريد لأن الجبهة الفلانية كذا وكذا، أريد الجبهة الفلانية، يجب أن نكون محققين للحق فهذه كلها افتراضات، فنحن نقول: يا إنسان، اسأل نفسك لماذا اخترت هذا؟

هذا –مثلًا– مجاهد يجاهد في سبيل الله لديه العلم الفلاني وطلبنا منه أن يكون في المكان المناسب لأن لديه علم فيرفض ويطلب مكان آخر بحجة أنه لا يناسبه، نقول: لماذا اخترت هذا الاختيار؟ بل هو يجب أن يدقق ويسأل نفسه هذا السؤال.

نفسه التي بين جنبيه –كما قلنا– كأنه شخص آخر يعيش معه ويحاسب فيه، فيقول لها: لماذا اخترت هذا الاختيار وطلبت أن تكون هنا؟ فيقول: هذا المكان فيه جبال وأنا لا أستطيع أنا مريض فلا بأس، هذا عذر فخرج عن المؤاخذة.

فهذا عذر وعجز، ولكن نقول: فتش واسأل نفسك، فبعضهم يعتذر فيكون الجواب: أنا أختار كذا لأنه مكان قريب من كذا وهناك اتصالات وتليفونات، وهناك يوجد ناس يخدمونا ويقدموا لنا... أو تقديم بعض الحلويات –مثلًا–! فنقول: هذه قصاراها أن تكون مباحة، ولكن هل طلب هذا المباح يجعلك تترك العمل الفاضل المطلوب منك أن تؤديه واختير لك من قِبَل المسؤولين عليك ومن الأشخاص المفترض عليك اتباع أوامرهم، قيادة، إمارة، أمير، إمام، فاختارت لك أن تكون هنا، ونظرت النظر المصلحي –المصلحة الشرعية– الذي يحبه الله ويرضاه، والمفروض حسب النظر الشرعي بعد أن تشاورنا المفروض فلان يكون في هذا المكان المناسب، فإذا كان عندك اعتراض واخترت اختيار غيرهم ممكن تبديه وتجادل به وتقول مثلًا: الأنسب أن أكون هنا، وهناك جانب لم تنظروا فيه، واقتصر نظركم على شيء معين وغفلتم عنه ولم تراعوه، فهذا لا بأس به فهذا جدل يحصل، فالمقصود من الجدل هذا الوصول للخير والوصول للحق فإذا كان هذا هو المقصود فليس مذموم، فهو مطلوب الجدل بالخير وبالتي هي أحسن، لكن إذا كان عنده شهوة خفية ويجادل ويكثر الكلام والجدال، فيجب عليه أن

يسأل نفسه –مثل ما قلنا– فقد يكون ذلك لا لسبب مهم إلا أن هذا المكان فيه راحة له أو فيه أصدقاء يسهل التواصل معهم أو هناك يوجد أماكن وبيوت مريحة...إلخ، فإما أن يكون رجح لأمر مباح فحينئذ هذا أمر مباح، فأنت –مثلًا– ذاهب إلى هناك لأكل التوت فهذا من المباح لكن المشكلة ليست هنا، المشكلة أنه أحيانًا ترك خيرًا كثيرًا من أجل حرصه على مباح، فهو قدم مباح وأراد أن يتشبث به، فهو مباح وهو حظ نفسه وهي لذة أنه يحب التوت، حظ نفسه! لا حظَّ للإسلام، الإسلام لن ينتصر وأنت تحب التوت وذاهب لأكل التوت هناك، فترَك خيرًا كثيرًا وترك أمر الجماعة وأمر الأمير وربما أدى جدله إلى مشاغبة أو إلى شِقاق أو إلى نقص احترام ونقص أدب وضعف في القوة الجماعية...إلخ.

فحصلت مفاسد كثيرة في الأثناء كلها في سبيل أنك أنت ذاهب لتحقق هدف شخصي في النهاية أنّ قصاراه يكون مباحًا، لا نقول أن حبك للتوت أو إرادتك أن تأكله أنها حرام، ليس من هنا الحُرمة أو ما يقاربها دعونا نقول الشيء الغير مرضيّ؛ أنت بسبب إرادتك لهذا المباح وتفضيلك واختيارك له وتشبثك به تركت خيرًا كثيرًا وأدى تركك –مثلما قلنا– إلى مشاغبات وعدم طاعة وعدم انتظام الأمر وتنغيصات وهكذا.

فهذه ينتبه إليها الإنسان، مثل ما في عملنا الجماعي في الجهاد مثال يمس واقعنا، لكن المقصود أن النفس تميل دائمًا إلى أشياء معروفة تميل إلى اللذات، لذة الراحة، لذة الظهور والغلبة والرياسة، لذة شهواتها الغريزية البهيمية الحيوانية التي هي لذة البطن والفرج، لذة المناظر والأسماع والنظر، النفس تميل إلى تحقيق لذائذها، جاءت الشرائع كلها وجاءت الرسل ونزلت الكتب بالنهي عن اتباع الهوى، وضرورة ووجوب مخالفة الهوى، قال الله –تعالى–: {فَأَمَّا مَنْ طَغَى* وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا* فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى* وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى* فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى} هذا هو المعيار –المقياس–، يمكن أن تكون هذه الآية شعار.

{فَأَمَّا مَنْ طَغَى} الطغيان: وهو مجاوزة الحد، طغى الماء: جاوز الحد.

{وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا} أي: على الآخرة، آثرها واستحبها وفضلها وتشبث بها عن الآخرة، تاركًا الآخرة.

{فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى} الجحيم مأواه.

{وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ} خاف مقام الله -عز وجل-.

{وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى} نهى نفسه عما تهواه وخالفها {فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى}.

النهي عن اتباع الهوى والأمر بمخالفة الهوى، قال الله -تعالى-: {ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ} دائمًا في القرآن نهي عن اتباع الهوى، والهوى ضد الشريعة ضد الهداية ضد ما جاءت به الرسل.

المكذبون والمعاندون من الأمة من الذين أهلكهم الله كذبوا الرسل وعاندوهم، المترفون وأتباعهم يتّبعون أهواءهم في القرآن، وصفهم الدائم أنهم اتبعوا أهواءهم {أُوْلَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءهُمْ} فجاءت الشرائع والرسل بالنهي عن اتباع الهوى، مخالفة الهوى ضرورة ووجوب، فينتبه الإنسان للهوى في نفسه والمفروض أن يُفتش عليه تفتيشًا دقيق جدًا ومتعنت وقوي.

التعنت ليس محمودًا، لكن نقول تفتيشًا دقيقًا حازمًا عن ماذا تهوى نفسه، وإذا النفس رُوِّضت على هذا يصير سجية فيها دائمًا اختيار الخير، لكن تبقى النفس أمَّارةٌ بالسوء، تبقى النفس دائمًا خدَّاعة، تبقى النفس فيها دائمًا النزعة الطبع خُلِقت تميل إلى شهواتها وغرائزها ولذائذها فيكون الإنسان دائمًا منتبهًا لنفسه ولهذا لا يتكلم في شيء عنده فيه هوى، حتى في حالة الشورى -مثلًا- في التشاور في الأمور، إذا المسألة عندك فيها هوى احزم لنفسك قل: أنا هذا الموضوع لا أستطيع التكلم فيه؛ لأن عندي تعلقٌ ما به فأخاف أن يكون كلامي غير صادر عن تحقيق وتجرد. هذا جيد، هذا من عقل الإنسان أنه إذا شُوِور في أمر وكان له فيه هوىً قال: ما أستطيع أن أتكلم في هذا، يعتذر عنه، طبعًا إذا كان هناك مجال، لكن أحيانًا لا بد أن يكون لك قول، لكن ينتبه الإنسان للهوى في نفسه ينتبه له دقيقًا جدًا جدًا.

العلماء لهم تدقيقات في هذا، في عبارةٍ لابن رجب أنا اقتنصتها و-إن شاء الله- نكتبها ونطبعها ونقرأها مع بعض في مسألة اتباع الهوى، يمكن أن نقرأها هنا أيضًا في مسألة الاختيارات العلمية والفكرية والمنهجية واختلاف الناس في الفكر الآن، والأطروحات التي يطرحها الناس الأهواء كثيرة في هذا، ولا يسلم إلا من سلمه الله -سبحانه وتعالى- وقليل هم، ولا يدَّعي إنسان أنه سالم من الهوى أبدًا؛ لأن هذه نفس الإنسان بين جنبيه

كون الإنسان يدَّعي يقول: أنا لا أتبع الهوى. هذا أجهل الخلق! لكن على الإنسان أن يعرف أنه مبتلى بهذا ابتلاءً شديدًا وأنه ضعيف إلا من يوفقه الله -سبحانه وتعالى-، ممكن يغلبه الهوى.

فلو الإنسان عرف هذه الأشياء فيكون منتبهً لها، فيوفقه الله -سبحانه وتعالى- ويعينه.

سؤال من أحد الحضور: يا شيخ، في اتباع النفس للهوى، أحيانًا الشخص ينظر للأشياء في نظرِه أنها مصلحة أو فائدة خاصة في العمل الجهادي بينما الأمير ينظر إلى نظرة أخرى حتى لو ما كانت فيها مصلحة ظاهرة، فالشخص هذا تحركه هذه الأمور فيذهب إلى ما يراه مناسب، والأفضل أنه الذي يعمله هو الخير، مثلاً: هو جالس في منطقةٍ ما ليس بها عمل الآن، وهو ينظر إلى منطقة ثانية هذه ظاهرة بها عمل فيريد أن يذهب إلى القتال والخير، بينما جلوسه هنا لو صبر والخير غير ظاهر له كان سينتج أكثر مما سينتجه في المنطقة الثانية، فهو ينظر بهذه النظرة!

الشيخ عطية الله الليبي: ما مراتب الخير فيها؟ هنا خير وهنا خير، نحن نبتلى بهذا كثيرًا في عملنا، هذا أخ -مثلًا- وضعناه نحن هنا قلنا له اعمل هنا إداريًا اعمل في المكتب أو في الورشة، فيقول: أنا يا شيخ أريد أن أذهب للجبهة. فنقول لماذا الجبهة؟! هو ذاهب إلى خير يعني ليس ذاهبًا لرذيلة بل فضيلة وخير وعمل صالح، لكن نحن نظرنا وتبيَّن لنا من خلال النظر ومن خلال العلوم النافعة والعلم الشرعي وما يدل علي الشريعة وبالتشاور والدراسة تبيَّن للقيادة أنك أنت المفروض أن تكون هنا؛ لأنك أنت مناسب ومحتاجون لك نحن هنا، محتاج لك الإسلام والمسلمون والجهاد والمجاهدون محتاجون لك هنا في الورشة وتصبر لا يوجد قتال في الورشة، جلوس وصناعة أشياء وهكذا، ويمكن أن نحتاجه في الإعلام في المجلة -مثلاً- فنحن نؤسس للمجلة ومحتاجون إخوة في المجلة فكثيرًا من الناس مؤهلين أن يكونوا في المجلة يكتبون ويفكرون وينتج في هذه المجلة محتاجونه حتى وإن كان عملًا قليلًا كجماعة محتاجة أن يكون عندها مجلة، لماذا؟ لأنها منبر من خلالها نحن ندعوا ونحرض ونقول بعض الأفكار، فأنا أريد أن أكتب أفكارًا، أين أكتبها؟! فنحن لا نستطيع أن نظهر كل يوم في الشاشات ونقول أفكارنا، مثل ما قلنا سابقًا أنه يجب أن يكون هناك منابر معينة نستطيع أن نتحدث فيها، لهذا المجلة مهمة.

طيب هناك شخص غير مقتنع ولكن نحن نحاول إقناعه فيأتي ويجلس ويقلق ويقول: أنا جالس هكذا أكتب فقط فأنا أريد جهاد أريد جبهة قتال. فنقول له: اصبر، ولكن ممكن أيضًا نعطيك فرصتك في الخط نسدد ونقارب مراعاة لحاجتك أن تقاتل وتخوض تجربة جهادية، ومحتاج أيضًا لتربية نفسك للجهاد وكذلك للترويح عن نفسك، لكن هو اختياره لأن يذهب للجبهة ناتج عن محبته وغلبة حب القتال على نفسه فقط، ليس ناظرًا إلى أن الخير هنا، هذا خير وهذا خير لكن خير الخيرين هو أن أكون هنا.

بدليل، الجماعة أمرَتْني أن أكون هنا واختارت لي الجماعة والعقل الجمعي هو الذي اختار، وأنا عقلي الوحيد وهو غالب على هوى نفسي وإرادة نفسي جعلني أختار هذا الجانب، فالمفروض الإنسان يختار الجانب الذي اختارته له الجماعة ويصبر عليه ويعلم أنه هو الخير، لكن لا بأس أنه هو إذا طال الوقت إذن هناك مدة وهناك فرصة أنه هو يطلب ممكن سنة ثم بعدها يذهب للجبهة الموسم القادم من باب تجديد النفس فهذا غالب ما يحصل فيه المشار وتتيسر، الأمور ليست صعبة لكن لا يتعنت الإنسان؛ لأن حتى دخوله للجبهة هو تربية لنفسه، فيه معاني تربوية كبيرة الإنسان لا يكتسبها إلا بالممارسة القتالية، وفيه عبادة كبيرة الإنسان يذوق حلاوتها وطعمها ويمارسها وينال أجرها وفيه ترويح عن نفسه أيضًا؛ حتى لا يقلق في مكان واحد لأن من طبيعة الإنسان يحب التغيير والتبديل والتنويع.

والمفروض أن تخالف نفسك، اللهم إلا إذا رأيت أن الجماعة مخطئة مئة بالمئة وتبين لك خطأها بعدم خروجك للقتال، لكن هذا في حالات قليلة أن يجزم الإنسان أن الجماعة مخطئة هنا، فحينئذٍ ممكن يجادل بقوة ولكن يبقى في النهاية يجب عليه أن يطيع لأن الأمور الاجتهادية تطاع فيها القيادة حتى وإن رأى الإنسان خلافها، فهذه الأمور مبنية على قوة المعرفة وقوة العلم بـ"أين الخير؟" ولهذا من الشعارات التي أعددتها هي "أين الخير فنفعله" هذا المفروض أن يكون شعارنا في جميع أمور حياتنا "أين الخير فنفعله" دلني على الخير فقط وأنا أفعله – وسنتحدث عن هذا إن شاء الله في المرات القادمة–.

يقول ابن رجب في (جامع العلوم والحكم): "**ولما كثر اختلاف الناس في مسائل الدين وكثر تفرقهم، كثر بسبب ذلك تباغضهم وتلاعنهم، وكل منهم يُظهر أنه يبغض لله**"

يظن أنه يبغض لله ويحب في الله وأحيانًا يهجره؛ لأنه يخالف مذهبه فهو ليس لله عند التحقيق، فيجب ينتبه الإنسان لهذا.

"**وقد يكون في نفس الأمر** -الذي يبغضه في الله- **معذورًا، وقد لا يكون معذورًا بل يكون متبعًا لهواه مقصرًا في البحث عن معرفة ما يبغض عليه**"

يحتمل أن يكون الإنسان الذي تقول أنت عنه أبغضه لله قد يكون معذورًا في نفس الأمر؛ لأنه لم يعرف الحق واجتهد ولكنه لم يصب لكنه معذور، مريد للخير باحث له بادر في طلبه لكنه لم يوفق له، وقد يكون متبعًا لهواه مقصرًا في البحث عن معرفة الحق.

"**فإن كثيرًا من البغض كذلك إنما يقع لمخالفة متبوع يظن أنه لا يقول إلا الحق**"

الغالب أن هذا سببه هو موافقة الإنسان لمتبوع له من إمام أو عالم أو شيخ يظن أنه لا يقول إلا الحق، فيعمل بهذا فيصير الحق متماهيًا وكأن الحق هو قول شيخه أو إمامه، وليس كذلك.

"**وهذا الظن قد يخطئ وقد يصيب وقد يكون الحامل على الميل مجرد الهوى والإلف أو العادة**"

قد يكون الحامل إلى الميل إلى قول معين هو مجرد الهوى مثلًا: هذا قول قومي ومشايخي ومدرستي ومشايخنا وعلمائنا فالإنسان يحب أن يكون مع قومه ويميل إلى أن يختار ما عليه قومه.

"**وكل هذا يقدح في أن يكون هذا البغض لله فالواجب على المسلم أن ينصح لنفسه ويتحرز في هذا غاية التحرز، وما أشكل منه فلا يدخل نفسه فيه خشية أن يقع فيما نهي عنه من البغض المحرم**"

ينتقد قول كثير من الناس: أنا أبغض فلان في الله، وفي الحقيقة عند التفتيش تجده يبغضه؛ لأنه يخالف مذهبه لا لمجرد أنه خالف الحق وخالف مراد الله ورضى الله -سبحانه وتعالى-، بل لأنه خالف ما عليه، هو خالفني لأنني أنا رأيي كذا فأنا أبغضته -مثلًا- أو لأنني أنا تابع لمدرستي ومشايخي وعلمائي وقومي والألفة التي بيني وبين قومي في هذا القول وغيرها والعادة التي نحن معتادين عليها فأنا أبغضه وادعيت أنني أبغضه لأجل لله -سبحانه

وتعالى-، فهذه الإنسان يحترز منها، وكذلك أيضًا المحبة ممكن إنسان يقول لك أني أحبك في الله يا أخي وهذا أيضًا يقع كثيرًا، ولهذا لا ينبغي التسرع في أن الإنسان يحبك أو لا يحبك في الله لكن يقولها عن تحقيق، وإن قالها يقولها عن فعل عرف أن صاحبه يستحق أن يحب في الله، والبغض أشد.

"**وها هنا أمر خفي ينبغي التفطن له وهو أن كثيرًا من أئمة الدين قد يقول قولًا مرجوحًا ويكون فيه** -هو هذا الإمام- **مجتهدًا مأجورًا على اجتهاده فيه موضوعًا عنه خطؤه** -مغفور له- **ولا يكون المنتصر لمقالته تلك بمنزلته في هذه الدرجة**"

يعني عندنا إمام قال قولًا ربما يكون خطأ في نفس الأمر، أي في الحقيقة هذا القول خطأ لأن هو هذا الإمام العالم مجتهد مغفور له محطوط عنه وزره ولكنه هذا ما أدى إليه اجتهاده ليس ملامًا في ذلك وهو معذور بل مأجور لكن المتبع له ويكون المنتصر لمقالته من الناس، من الأتباع، مثلًا: الإمام مالك قال قولًا، يأتي شخص منتصر للإمام مالك والمالكية يبدأ ينتصر لهذا القول، هو مالك قال هذا القول، قاله اجتهاد وهو مأجور محطوط عنه وزره، ما عليه وزر مغفور له ومجتهد لم يصب في هذه المسألة في نفس الأمر فله أجر واحد، لكن المنتصر لمقالته لا يكون بتلك المنزلة؛ لأن كثيرًا من الناس يغلب عليهم الانتصار لمذهبهم، لمذهب إمامهم، لمذهب بلدتهم لما عليه قومهم واختيارهم وهكذا ومشايخهم ومدرستهم.

"**ولا يكون المنتصر بمقالته تلك بمنزلته في هذه الدرجة؛ لأنه قد لا ينتصر لهذا القول إلا لكونه متبوعه** -الإمام الذي اتبعه هو- **قد قاله، بحيث لو أنه قد قاله غيره من أئمة العلم والدين لما قَبِله ولا انتصر له ولا والى من يوافقه ولا عادى من خالفه وهو مع هذا يظن أنه إنما انتصر للحق بمنزلة متبوعه وليس كذلك، فإن متبوعه إنما كان قصده الانتصار للحق، وإن أخطأ في اجتهاده** -فخطؤه معذور فيه-، **وأما هذا التابع فقد شاب انتصاره لما يظن أنه الحق إرادة علو متبوعه وظهور كلمته أنه لا ينسب إلى الخطأ، وهذه دسيسة تقدح في قصد الانتصار للحق فافهم هذا فإنه فهم عظيم والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم**" أ.هـ.

فالمقصود في الانتصار للمقالات وللمذاهب وللآراء وللمدارس ولغيرها، فالإنسان ينتبه أشد الانتباه والعلماء دائمًا ينبهون على هذا، والعبارات التي عثرنا عليها أبرزناها وإلا فكلام العلماء في هذا كثير كلام المتقدمين

والمتأخرين، ينتصر الإنسان أحيانًا لقول لمقال لرأي معين لاختيار معين، لا لكونه هو الحق في الحقيقة، لكن لكون متبوعة إمامه قال به أو جماعته، نحن الآن عندنا الجماعات، هذا اختيارها وتقول بهذا القول، الشيخ أسامة قال كذا والشيخ فلان قال كذا ونحن ومشايخنا...! لا، أنت تنتصر للحق وتكون مع الحق فتّش وإذا نصرت قولًا يجب أن تفتش وتسأل: لماذا تنصره؟ لماذا تؤيده؟ لماذا تفضله؟ لماذا تختاره؟ لماذا تمشي عليه؟ فهذا شيء مما يتعلق باتباع الهوى.

إذن قلنا إن من أسباب الهداية مخالفة الهوى والتحرز من اتباع الهوى، ننتبه لهذا الهوى، نكتفي بهذا القدر.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد ألا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

الدرس الثاني

" الحق – الدين "

بسم الله الرحمن الرحيم

أذكر نفسي وإياكم بإخلاص النية لله –سبحانه وتعالى– في هذه المجالس؛ حتى تكون لنا لا علينا، تكون –إن شاء الله– مجالس مباركة، مدارسة العلم والتعاون على البر والتقوى، وإصلاح أنفسنا، التهيؤ لإصلاح أمتنا، والتزود بالعلم النافع والمعارف، نسأل الله لنا ولكم التوفيق.

عطف على موضوع الهداية ومسألة الهداية في القرآن الكريم تكرر كثيرًا أن الآيات، آيات الله –سبحانه وتعالى– في الكون، أو آياته المسموعة، السمعية التي جاء بها الرسل، أنها لا تنفع إلا أصناف معينة من الناس، وأن الآيات لا تنفع في بعض المرات، لا تنفع بعض الناس، وأن آيات الله –سبحانه وتعالى– كثيرة ولكن الناس لا ينتفعون بها إلا قليل من الناس الذين ينتفعون بها، هذا كثير في القرآن، في باب المعاني أقصد.

قوله –تعالى–: {وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ} وقوله –تعالى–: {وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون إن الذي لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله}، {إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ* وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ} وهذا كثير جدًا.

فآيات الله –سبحانه وتعالى– مبثوثة في كونه، في خلقه –سبحانه وتعالى– معظم المقصود بالآيات هنا، الآيات الكونية، يعني ما نصبه الله –سبحانه وتعالى– من الدلالات والأمارات والعلامات الدالة عليه –سبحانه وتعالى–، على الخالق –سبحانه وتعالى–، على توحيده، والدالة على الحق وعلى الخير الذي يحبه الله –سبحانه وتعالى– ويرضاه، الآيات كثيرة في كون الله –عز وجل– ولكن الناس لا ينتفعون بها.

هناك آيات أخرى الله –سبحانه وتعالى– بين في عدة آيات في القرآن أن الآيات ينتفع بها أصناف من الناس وأصناف من الناس لا ينتفعون؛ بسبب اتصافهم بأوصاف معينة، مثلاً: الله –عز وجل– عندما يقول: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ} تكررت هذه في ثلاث مواضع في القرآن، هذه الآية {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ

صَبَّارٍ شَكُورٍ} هي آيات لكن الله -سبحانه وتعالى- أخبر أنها آيات لهؤلاء الناس "لكل صبار شكور" قالوا: قصرها عليهم؛ لأنهم هم المنتفعون بها، هي آيات، هي في نفسها آية، آية من آيات الله.

معنى الآية: علامة، يعني علامة دالة على الله -سبحانه وتعالى- أو على مراد الله -عز وجل-، لكن لا ينتفع بها إلا هذا الصنف من الناس {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ}.

في سورة سبأ -مثلًا- بعد أن قص -سبحانه وتعالى- قصة قوم سبأ: {لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ* فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ* ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ* وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا} قيل أنها الشام

{قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ} يحكي الله -سبحانه وتعالى- ما أنعم عليهم من النعم العظيمة، من الرغد في الحياة الدنيا، وحاصلها: بلدة طيبة، ورب غفور.

رب راضي عليكم وأنتم مُبحبحين! نعمة كبيرة جدًا كانوا فيها، وساق بعض تفاصيلها {وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ} سهلة وميسرة، وكل شيء ممكن حتى الخدمات والمواصلات.

{سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ} أمن! نعمة الأمن كذلك، فقالوا: -يعني الناس تمل، تمل حتى من النعمة، ويتمردوا ويكفرون، ولا يقدرون النعمة ولا يشكرون، ولا يصبرون، لاحظ قلة الصبر {فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا} ما هي الأسفار هذه السهلة والميسرة!! {بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا} وفي قراءة {بعِّد بَيْنَ أَسْفَارِنَا} كلاهما معنى واحد باعد وبعَّد، بعَّد الله وجه من النار.

{فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ} لذلك، وهذا حقيقة الظلم.

{فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ} مزقهم الله شذر مذر حتى صاروا يضرب بهم المثل، فيقال: تمزقوا أو تشتتوا أو تفرقوا أيادي سبأ. هكذا عن العرب.

{فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ} صاروا تاريخ يتحدث بهم عن قصصهم ويضرب بهم المثل {فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ}

تعقيب كله وتذييل، تعقيب أي: عادة القرآن أنه يختصر العبرة ويعطي الحكمة والفائدة والعبرة، تذييلات هذه مهمة جدًا ولها فقه.

{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ} صبّار = فعّال، إحدى صيغ المضارعة، كثير الصبر، وكذلك شكور = فعول، صيغة مبالغة من الشكر، كثير الشكر، فمعناها إن الآيات هذه ما يستفيد منها ولا تكون آيات على حقيقتها بالفعل علامات دالة ومنبهة ومفيدة للعلم إلا لهذا الصنف من الناس: {لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ} صبار كثير الصبر يصبر، وشكور كثير الشكر يشكر، حقق الشكر على أحسن مستوى، وحقق الصبر على أحسن مستوى.

هؤلاء الناس ظلمهم الذي ظلموه أنفسهم من نوع غريب، كما تلاحظ ناس مبحبحين في نعمة كبيرة ملوا من هذه النعمة! كما ملَّ بنوا إسرائيل من المن والسلوى فقالوا: {فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا}

فيصدر عن الإنسان أحيان أشياء غريبة من مناقضة الحق، ومناقضة الحكمة، ومناقضة مقتضى العقل، ومناقضة أسباب الخير؛ بسبب قلة الصبر، وأنت تلاحظ في الجهاد كم من إنسان ترك كثير من الخير وفاتَه كثير من الخير؛ بسبب قلة الصبر {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ} يشكر الله -سبحانه وتعالى- على النعمة، فالله -سبحانه وتعالى- يديمها عليه؛ لأن شكر النعم سبب إدامتها {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ}

فهذا كان من ضمن ما ورد في القرآن من المواضع، وهذا كثير جدًا في القرآن يبين فيها الله -سبحانه وتعالى- كما قلنا أن الآيات كثيرة في خلقه ولكن الناس عنها معرضون، الناس لا تتفكر فيها، الناس لا تتأمل، الناس لا تنتبه.

أيضًا كثير من الآيات أحيانًا ما تغني عن بعض الناس؛ لأنهم لا يؤمنون {وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ} واحد لا يؤمن فلماذا تكثر عليه في الآيات؛ لأنه هو أصلاً ليس عنده استعداد أن يؤمن، أو أنه لم يؤمن بالبدايات حتى يضاف إليه التكميليات! ولهذا كان من سنة الله -سبحانه وتعالى- في خلقه أنه إذا آمن العبد واهتدى يزيده هدى {وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ}

وقال: {سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ} في البداية تأتي لهم الآيات فيتكبرون، فيصرف عنهم الآيات.

وهذا في عدة مواضع أيضًا في القرآن في الدلالة عليه، مثل: {إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ} لا يؤمنون بآيات الله يعني جاءتهم الآيات ولم يؤمنوا بها فالله -سبحانه وتعالى- صرف عنهم الآيات وصرف عنهم الهداية.

مثلاً: {وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ}

مثلاً: في سورة الأعراف موضع الشاهد: {بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ} يعني بسبب، الباء سببية، يعني بسبب تكذيبهم من قبل، تكذيبهم الأول، عاقبهم الله -سبحانه وتعالى- بأن صرف عنهم الآيات.

هذه تكلم فيها العلماء على أن الله -سبحانه وتعالى- يصرف آياته عن الناس إذا لم يؤمنوا أول مرة، ولهذا ينتبه الإنسان ربما الله -سبحانه وتعالى- كما قال الله -عز وجل-: {وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ} هذا بعد الأمر بالاستجابة لله ورسوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا} معناها: فإن لم تستجيبوا إن لم تفعلوا فليكن في علمكم، انتبهوا هذا تحذير وتوعد وتهديد وتخويف فاعلموا، فإن لم تستجيبوا، فليكن في علمكم {وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ} معناها: أن الله -سبحانه وتعالى- قد يحول بينك وبين الهداية في وقت تكون محتاج الهداية لكن يحول الله -سبحانه وتعالى- بينك وبينها، فعليك أن تستجيب لله وللرسول وتنتبه، وإذا جاءتك الآيات وجاءتك الفرصة استغلها ولا تضيع فرصتك ولا ترد نعمة الله -سبحانه وتعالى- عليك، بل اقبلها؛ حتى ينميها الله -سبحانه وتعالى- لك ويتمها عليك، وإلا إذا رفضت

نعمة الله أول مرة قد يعاقبك الله -سبحانه وتعالى- بالحرمان، لا تأتيك النعمة مرة ثانية، لا تأتيك الآيات مرة ثانية، هذا المعنى مهم جدًا جدًا، هذا أيضًا عطف على أسباب الهداية.

ننتقل إلى بعض العناوين الأخرى وهي كلها -إن شاء الله- خادمة لموضوع الهداية.

(الحق)

الحق معناه في اللغة: الثابت، حق يحق يعني ثبت، ورسخ، ثابت في نفس الأمر، هذا شيء ثابت، كائن موجود مستقر ثابت حاصل واقع.

الإنسان الذي يطلب الهداية والذي يأخذ بأسباب الهداية أولها: أن يعلم أنه عبد لله -سبحانه وتعالى-، متحقق بالعبودية مفتقر إلى الله -سبحانه وتعالى- محتاج إلى الله، سائر إلى الله -سبحانه وتعالى-، لاجئ إليه أن يهديه الله -سبحانه وتعالى- وأن يُعرّفه الحق، الله -سبحانه وتعالى- هو الحق، وكل ما صدر عنه هو الحق، فالحق هو ما أحقه الله. هو الله وما أحقه الله -هذا الحق شرعًا-.

ما أحقه الله، لا بد أن نعرف ما هو الحق، طبعًا الحق يتفرع:

- من أسماء الله الحسنى الحق {وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ} الله -سبحانه وتعالى- هو الحق "يقول الحق -عز وجل-" كثيرًا ما تجدها على ألسنة أهل العلم، كأنهم اختاروها بمناسبة أن فيها آيات الله تتلى وهي حق، وليعلم الناس أن الله حق.

الله -سبحانه وتعالى- هو الحق؛ حق لأنه -عز وجل- هو المتصف بالوجود والكينونة الثابتة الدائمة الأزلية، الذي لا أول له ولا انتهاء، فهو الأول، وهو الآخر، المتصف بالوجود الكامل، أولاً وآخرًا؛ ولهذا نقول: لا ابتداء له ولا انتهاء، أو الأزلي، أزل متصف بالوجود الأزلي، والبقاء السرمدي واللا منتهي، هذا كلام للتفسير، ولكن اللفظ الشرعي هو الأول والآخر، لكن نستعمل أحيانًا للشرح ألفاظ مثل البقاء والوجود الأزلي وهكذا، استعملها العلماء ولكن على سبيل التوسع في الصفة فقط عند الشرح، لكن هو يجمعها في أسماء الله الحسنى أنه الأول -سبحانه وتعالى- الآخر، لا يلحقه زوال ولا عدم، من باب الصفات أنه يوصف الله بهذا.

– وما أحقه الله وما صدر عن الله هو الحق، هو الثابت، هذا مفهوم مهم لا بد أن نركز عليه في ثقافتنا وفي فكرنا وتصورنا.

– طبعًا سيتفرع عن الحق ما أحقه الله، الله –سبحانه وتعالى– قسم الحقوق أيضًا، جاءت الشريعة بتقسيم الحقوق، حق لله، حق للعبيد –حق للنفس، وحق للغير–.

حق الله –سبحانه وتعالى– على العبيد: أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، العبادات، عبادة الله –سبحانه وتعالى– وحده، كل ما يدخل في العبادات، هذا حق الله.

حق العبيد: ما أحقه الله له سواء لنفسك أنت أيها الإنسان، أو لغيرك جعل له حق عليك فتراعيه، أحقه الله للعبد أي هو: إما لنفسك، أو للغير، مثلاً: قالت لك الشريعة احترم حق والدك عليك، الزوجة –مثلًا– قالت لها الشريعة حق زوجك عليك أن تطيعيه وأن تبريه وأن تترددي إليه وأن تحترميه وتخدميه، وهكذا.

حقوق لله، وحقوق للعبيد.

حق الله على العبيد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، حديث معاذ: (أتدري ما حق الله على العبيد)

حقوق العبيد واضحة؛ ولذلك دائمًا نجد الفقهاء في مسائل في الفقه يقولون هذا حق لله وهذا حق العبيد، أحيانًا يكون فيها حق الله وفيها حق العبيد، مثلًا: العبادات، قسم العبادات كله حكم مبني على حق الله – سبحانه وتعالى–.

المعاملات، غالبها مبنية على حق العبد، ولكن فيها حق الله.

كل ما أحقه الله صار حق، نحن أهل الإيمان، أهل الإسلام، نحن المجاهدين، نحن على حق؛ لأن الله –سبحانه وتعالى– أمرنا أن نعبده وحده لا شريك له، أمرنا بالإسلام له ولحكمه وشرعه، أمرنا بأن نجاهد الكفار، أن نأمر بالمعروف وأن ننهى عن المنكر، وأن هؤلاء المرتدين وهؤلاء الكفار أمرنا أن نقاتلهم وأن نجاهدهم، هذا حق نحن نؤمن به، فيأتي واحد –مثلًا– ويقول لنا: بأي حق تحاربوا الحكومة، بأي حق تقتلوا هؤلاء الناس؟ نقول: هذا حق أحقه الله لنا، أعطانا الله إياه، نحن على حق، ونحن أهل الحق، ونقاتل على الحق.

الآن –مثلًا– أنا مشيت فاتحًا لبلاد الكفار –فاتح، انتهينا من مرحلة جهاد الدفع–، مشينا نفتح استراليا، ماشيين نحن كتائب وشاقين بحار وماشيين على السواحل ودخلنا –بإذن الله سبحانه وتعالى سيكون–، الناس هم الآن يقولوا أننا غزاة! ونحن لازلنا عندنا حق ندافع عن أنفسنا وعن أرضنا وعن وطننا. نقول لهم: لا، ليس حقكم، نحن أصحاب الحق، نحن المسلمين أهل الإيمان، نحن عبيد الله، نحن جند الله، نحن الذي لدينا الحق. نبدأ نحن نعرض عليهم الإسلام مثلًا –طبعًا هذا عرض مستحب وإلا بلغتهم الدعوة هؤلاء– ونبدأ نعرض عليهم الجزية، ما فيه فائدة؟ نبدأ القتال، طبعًا القتل يكون فيه رمي، مات فيهم رجال وأطفال ونساء وبدأ تدمير ومنازل ومزارع وغيرها، نحن كل هذا الذي نفعله، نفعله بالحق، وهذا حق لنا أحقه الله؛ لأن الله –سبحانه وتعالى– هو الذي أمرنا بجهادهم، وأن نغزوهم وأن نستولي على أرضهم، وأن يكون الله هو الحاكم وهو الغالب، وهم يكونوا تحتنا، إذا أسلموا فهم إخواننا لهم ما لنا وعليهم ما علينا، وإذا لم يسلموا يقرون على دينهم ولكن يكونون تحتنا ويدفعون الجزية ويكونون أذلاء، نحن أهل الحق، هم يقولون: لا، هذه أرضنا، هذا وطننا وبيوتنا ونحن ندافع، نحن عندنا الحق نقول: لا، ليس لكم حق، أنتم كفار، الله –سبحانه وتعالى– لم يجعل لكم حق؛ لأنكم كفرتم بالله، وأشركتم بالله، تمردتم على الله، عصيتم الله، فسقتم وخرجتم عن أمر الله، وحاربتم أولياء الله، وكنتم في الصف المعادي لله –عز وجل– ولدينه ولأوليائه ولجنده.

فما عندهم حق، نحن عندما نقاتلهم ونقتلهم، نحن نقتلهم بالحق، هم عندما يردون ويقتلون، يقتلون بالباطل، ويضربون بالباطل، ويقاومون بالباطل، ما عندهم حق، فيأتي واحد يقول: لا، عندهم حق، أنت تضربه، فهو يضربك، عنده حق. نقول: لا، هو ما عنده حق، أنا عندي حق أقتله وأضربه، وهو ما عنده حق، هذا المفهوم مهم جدًا.

شيخ الأزهر لما جاء فرنسا وقال: فرنسا عندها حق أنها تمنع الحجاب في دولتها، إذا فرنسا أرادت أن تمنع الحجاب فهذا حقها حقها حقها! ثلاث مرات قالها!

هذا واحد جاهل لا يعرف الحق؛ لأنه ليس من حق فرنسا أن تمنع الحجاب بل فرنسا عليها هي نفسها أن تحتجب وتأمر بالحجاب وتخضع لشريعة الحجاب، ليس حقها، لا يقال هي حقها، الحق حقهم لما تعطيهم

الشريعة الحق، مثلًا: لو كانوا كفار عندهم حق في شيء فنقول هذا حقهم، الشريعة أعطتهم هذا الحق، ليس عندنا حق أبدًا إلا ما أحقه الله وجاء به شرعه فقط، أما سواه لا يوجد أبدًا.

طيب، حينئذ كل شرائع حقوق الإنسان وحقوق الحيوان والشرائع الدولية وما اتفق عليها البشر، كلها تحت الشريعة، ننظر هذا أقرته الشريعة نوافق عليه، لم تقره نرفضه، ليس عندنا أبدًا أي شيء اسمه حق إلا ما أحقه الله -سبحانه وتعالى- بأن أقرته شريعة الله -عز وجل- ودلت عليه الشريعة أنه معتبر، وأنه محترم ثابت، نحترمه ونراعيه، هذا معناه.

كثير ما يعرض لأفراد الناس، وللواحد منا، أن يتوهم الإنسان أنه عنده حق في شيء، يظن الإنسان أو يشتبه أو يتوقع ويُهيأ ليدرك إدراكًا خاطئًا أنه عنده حق في شيء، فإذا أحس الإنسان بهذا فعليه أن يدقق وينظر هل عنده بالفعل حق في الشيء أو لا؟ فإن كان عنده حق فليطالب بحقه إن شاء، ويقول: هذا حقي وأنا أريد كذا وكذا، هذا حق أحقته لي الشريعة. فإن كان ليس حق له فلا يأخذه، فمن اقتطع حق غيره بغير حق، طبعًا تعرفوا الوعيد الذي جاء فيه في الشريعة: من اقتطع شبرًا من الأرض، من اقتطع كذا وكذا، الذي يبخس الناس أشياءهم، يعني بحسبه، فهذا متوعد بالوعيد الشديد، لا سيما في الأرض، كما جاء في الحديث (شبرًا من الأرض طوّق سبع أراضين)

فيتنبه الإنسان إذن إلى معرفة حقوقه هو ومعرفة حقوق الغير، إن كان مسلمًا أو إن كان كافرًا، ثم هذا المسلم أو الكافر إن كان جارًا، إن كان شريكًا، إن كان بينك وبينه معاملة...إلخ، يعرف الإنسان الحقوق، معرفة الحقوق هذه تفاصيلها في الشريعة.

الشريعة بينت الحقوق، لنفرض -مثلًا- مسألة الجار، أنا جاري جنبي بيني وبينه الحيط هذا، وجاري مسلم أو كافر، لنفرض صورة أنه مسلم، وصورة غيرها أنه كافر، نفرض أنه كافر، أهل ذمة، أو في بلد مختلطة فيها الكفار وفيها المسلمين مثل كثير من البلدان الآن، يعني لا يوجد فيها أصل الحكم الديني ولا شيء، لكن، المهم فيه جار، الجار جاءت الشريعة باحترام الجار، وجعلت له حقًا ما، لا سيما إن كان مسلم طبعًا، فإن كان قريبًا مسلمًا فله ثلاثة حقوق كما قال العلماء: "حق الإسلام، حق القرابة، حق الجوار"

إن كان كافرًا فله حق الجوار فقط، إن كان قريبًا كافر لها حقان، حق القرابة وحق الجار، وهكذا بحسبه.

طيب أنا -مثلًا- شغلت مسجل أناشيد أو قرآن، وجاري لا يستطيع الرقود، هذا لا ينفع؛ لأن من حقه علي أن أحترم مجاله السمعي -إذا صح التعبير- بحيث لا أشوش عليه، لا أؤذيه، عدم الإيذاء هذا حق، أنا ألتزم بهذا الحق وأحترمه، هذا مثال بسيط.

فالإنسان يجب عليه أن يعرف الحقوق في الأموال -مثلًا- وقسمتها، على الإنسان أن يتبين دائمًا أنه هل عنده حق في الشيء أو ليس عنده سواء كان في غنيمة أو فيء أو أي قسمة للأموال، على الإنسان أن ينتبه إلى معرفة الحقوق ويتذكر دائمًا أن الحق ما تقره الشريعة، وما لا تقره الشريعة فليس بحق وإن توهمه.

سؤال من أحد الحضور: شيخ، هل كل الحقوق واجب أداؤها للآخرين أو النظر للمصلحة؟

الشيخ: له حق الإنسان إذا ثبت أنه له، طبعًا يجب أن تعطى الحقوق لأصحابها، فإذا عجز الإنسان أو تعارضت المسائل، عند التعارض يلجأ إلى الترجيح، يعمل بخير الخيرين، الواجب هو الجمع بين الخير، يفعل كل الخير الإنسان، إذا لم يستطع فعليه الترجيح، في كل المسائل هذا.

لكن معنى أنه حق لشخص معين أنه يجب أن يوفى له الحق، استيفاء الحقوق، وتوفية الحقوق إلى أصحابها، وقيام العدالة.

العدالة مبناها على هذا، توفية الحقوق إلى أصحابها، كل إنسان عنده حق يأخذ حقه بسهولة، لا بتعنت، وبعد صعوبات ومشقات وبعد حروب! لا، ينبغي أن يصل إلى حقه بسهولة، وأن يسلم له حقه، يقال له: أنت لك الحق الفلاني هذا حقك، ما نستطيع أن نمنعك إياه، هذا حقك خذه إن شئت. يُخلى بينه وبين أخذ حقه.

ليس واجب عليه أن يأخذ حقه، إن ثبت له مال معين نقول: هذا حقك من المال، قال: والله أنا لا أريده، أنا متبرع به. فهذا من حقه.

هناك من الحقوق الناس تسامح فيها وتتركها، لكن معناه أنه ثبت له حقه إن شاء أخذه ويخلى بينه وبينه ويُمكّن من أخذه.

بعض الحقوق الناس أصلاً لا تستغني عنها، -مثلًا- لا يرضى الإنسان أن تزعجه باستمرار ليل ونهار، جار تزعجه وهو نائم ولا يستطيع النوم، عادة لا يوجد أحد يقول: لا، أنا ليس عندي مشكلة، أزعجني عادي. لا يوجد من يقولها! كل واحد يريد أن يرتاح.

وحقه في أنك أنت لا تتطلع على عورته ولا تبني بناء عاليًا يكشف عليه، هذه حقوق، عندما يتنازع فيها الناس ويتشاحّوا ويحصل التشاجر، يرجعون فيها إلى حكم الشريعة، بواسطة القضاء الإسلامي، أو على الأقل محكّم معين مفتي أو إنسان يحكم بينهم.

سؤال من أحد الحضور: يا شيخ، سمعنا من بعض الناس في بلاد الكفار، يأخذ مال من شخص كافر ولا يرجعه ويقول يجوز أن آخذه لأنه كافر، ما يعتبر هذا حق للكافر؟

الشيخ: ما يجوز هذا إن كان على سبيل الدين، هذه فيها تفاصيل طبعًا، تعرف التفاصيل، نحن قلنا ما أقرته الشريعة يصير حق، وإذا خالف الشريعة لا يصير حق.

يعني سؤالك هنا: هل يجوز هذا الفعل أو لا؟ إذا جاز فهو حق لك، صرحت لك الشريعة وأذنت لك بفعل هذا، حينئذ لم يكن هناك حق للآخر المأخوذ منه، فننظر هل هذا جائز التصرف أو لا، فعلى كل حال إذا كان في باب المداينة فلا يجوز أن تستدين من شخص بنية عدم الوفاء؛ لأن المداينة هذه عقد من العقود لا يجوز الدخول فيها على نية عدم الوفاء، قال الله -تعالى-: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ}

العقود معظمة في الشريعة ولو كانت مع كافر حربي، إذا دخلتَ في عقد توفيه، لكن في بعض الحالات معينة الأخذ بالغلبة والحيلة ما لم يكن هناك مانع، أحيانًا تدخل في المسائل أمور أخرى يعتبرها الفقيه والناظر والمفتي، يعتبرها فيمنع، لكن أتكلم من حيث الأصل، مثل: لو إنسان دخل بلاد الكفار بغير أمان وتلصص وسرق منهم وأخذ هذا شيء جائز، فإن دخل بأمان لا يجوز له أن يأخذ من أموالهم، لكن لو دخل بغير أمان وهم كفار حربيون، لو دخل بغير أمانهم فله أن يأخذ من أموالهم ما قدر عليه، له أن يأخذ ما يشاء، إلا إذا أمنوك فلا يجوز، إنما الخلاف واقع الآن كما -في المسائل المعاصرة الآن- في التأشيرة، هل هي أمان أصلاً أم غير أمان، هذه مسائل أخرى.

لكن المقصود الآن، كل مسألة ينظر فيها إذا كانت الشريعة أجازتها فهو حق لنا صار، أنا حق لي أن آخذ هذا المال.

مثلًا: دخل بلاد الكفار متسللاً ودخل لإيطاليا، وهناك بلاد كفار، أخذ من أموالهم ما شاء، هذا حق أحقته الشريعة، هذا حقي أن أفعل هذا؛ لأن الشريعة أعطتني هذا الضوء الأخضر، أعطتني الحق في هذا، هؤلاء كفار غير معصومي الدم ولا المال، وأنا لم أدخل -ليس بيني وبينهم أمان ولا عهد ولا ذمة ولا أي شيء- مشيت وأخذت بالخلسة، بالاختلاس وبالحيلة أخذت أموالهم، أو بالسيف، مشينا نحن عصابة ومجموعة ودخلنا، ودخلنا على قرية وقتلنا الناس، غارة، هذا كله جائز، هذا اسمه حق لنا نحن، لكن رجل ماشي بأمان لهم، ودخل بأمان وقالوا: تفضل أنت عليك الأمان ادخل. لا يجوز له أن يأخذ من أموالهم شيئًا ولا أن يقتل من نفوسهم شيئًا

هذا يختلط وينظر فيه في الفقه.

مسألة القراصنة هذه التي في الصومال، ما زالت مستمرة فيها، سمعت بعض المحللين الجهلة هؤلاء طبعًا زنادقة، يقول: على السعودية ودول الخليج أن تعمل مع فرنسا ومع أمريكا وبريطانيا؛ لإيجاد منظمة دولية لحماية البحار، وإنشاء وتأسيس وتشريع قوانين جديدة للقضاء على هذه الفوضى وشريعة الغاب، قلت له في نفسي: والله إلا أنت صاحب شريعة الغاب، أنت وأولياؤك الكفرة، أنتم الكفار أصحاب شريعة الغاب الذين خالفتم شريعة الله -سبحانه وتعالى-، تمردتم على الله، ولم تعترفوا بدينه ولم تلتزموا بحكمه، ولم تستسلموا ولم تخضعوا له، شريعتكم هذه التي أنتم عليها مخالفة لدين الله -سبحانه وتعالى- هي شريعة الغاب، مهما بدت منظمة وقوانين وتقسيمات وتفريعات، هذه كلها شريعة الغاب، أما القراصنة هؤلاء فهم على شريعة الله؛ لأنهم يغيرون على الكفار فيأخذون من أموالهم ما شاؤوا وما قدروا ويهربون، هؤلاء يعملون بشريعة الله، بغض النظر عنهم، أنا لا أزكيهم، أنا لا أعرفهم، هل هم أصلاً مسلمين أو كفار، لكن أنا أقول أن هذا الفعل موافق للشريعة، ولو فعله مسلم فهذا جائز وهذا عمل صالح موافق لشريعة الله؛ لأنهم يغيروا على كفار غير معصومين لا بالإيمان ولا بالأمان، لا بالإسلام ولا بالعهد، ليس بيننا وبينهم شيء، ولا عندهم عصمة، يغير عليهم وعلى سفنهم ويقطع

عليهم الطرق ويتلصص عليهم، ويأخذ أموالهم بما شاء بالحيل وبالقوة، هذا جائز في الشريعة، نحن نشجع المسلمين عليه، وندعوهم إليه، ونحرضهم عليه، هذه شريعة الله –سبحانه وتعالى– وما عليه أنتم من إرادة تنظيم البحار وقوانينها والمشي وتمشوا بأمان، أنتم شريعة الغاب؛ لأنكم أنتم خارجون عن شريعة الله غير ملتزمين بشريعة الله –سبحانه وتعالى–.

أنا أريد دائمًا أن تكون المفاهيم عندنا قوية وواضحة وناصعة، نعرف ما هو الحق، لا يخدعونا هم، الحق نعرفه نحن، الحق ما أحقه الله –سبحانه وتعالى– وما وافق دين الله، وما أجازته شريعة الله.

أحد الحضور: يا شيخ، مثال: السفن السعودية، يجوز الإغارة عليها من القراصنة؟ هذه أموال مسلمين؟

الشيخ: طبعًا هذه السعودية فرع، هم لم يغيروا على السعودية فقط، بل سفن الكفار كلها، السعودية فيها اللخبطة، هي أصلاً دولة مرتدة وفيها مسلمين، عمال مسلمين، وفيها أموال مسلمين، فتحرر المسألة على حدى، لكن سفينة فرنسا، سفينة إيطاليا، أو سفينة أمريكيا، هذه ليس فيها مشكلة.

فإذا أتينا للسعودية، فالمال هذا مال الدولة، والسفينة هذه سفينة الدولة، فنحن ليس عندنا إشكال في أخذه وفي الإغارة عليه وأنه حلال لنا في شريعة الله –سبحانه وتعالى–، لا يقال أنه للشعب؛ لأنه في يد الدولة، الدولة تحكمه، الدولة تملكه، الدولة أنا أعتبرها كافرة مرتدة، فجائز لنا أخذه، هو حلال لنا.

أما شائبة أنه راجع في النهاية للشعب وأنه مال الدولة الذي تخدم به الشعب، هذا غير منظور إليه، هذا ضعيف لا ينظر إليه، هذا مال في يد المرتدين، الدولة هي التي تحكمه، لكن عندما يَخلُص للشعب المسلم، لا نمسه، لنفرض أنها شركة خاصة، مثلًا بنك الراجحي مسيِّر قافلة إلى استراليا تمشي في البحر، أنا لا آخذها؛ ناس مسلمين، رجل مسلم وعنده مال مسير سفينة، فما دام الرجل مسلم لا آخذه، المال تبع للحكم على الشخص.

أحد الحضور: يقاس عليها المصارف الربوية يا شيخ؟

الشيخ: أنه أموال الدولة؟ إذا كان مال للدولة، هو مال للدولة، ربا أو غير ربا، لو تعاملت بغير الربا وهو مال للدولة يؤخذ.

السائل: حتى على جهة الدين يا شيخ، مثل القرض؟

الشيخ: لا لا إذا دخلنا في القرض لا يجوز، يعني لا يأتي -مثلًا- إلى ناس مرتدين ويقول لهم: أعطوني مليون دولار دينًا، وأنا سآخذها وأهرب، لا يصح، ولا يجوز، حتى مع المرتد، هذا دخول في عقد بنية غير شرعية، نية عدم الوفاء، بنية الخداع، لا تجوز في العقود هذه، لكن لو قدرت على ماله آخذه بحيلة أو بالقوة -بالغلبة- بدون أن يكون بيني وبينه عهد، فهذا جائز، نعم.

السائل: حتى لو كان المحارب الذي ليس بيننا وبينه عهد؟

الشيخ: نعم حتى المحارب، حتى المحارب الذي ليس بيننا وبينه عهد.

العهد طبعًا ثلاثة أقسام: الصلح الذي هو الهدنة والموادعة، هذه تسمى الصلح، وتسمى الهدنة، وتسمى الموادعة، وهي تكون بيننا وبين قوم في بلدهم مثلاً، قوم هم لهم أرض ونحن لنا أرض، وبيننا وبينهم صلح، بين الدولتين، بين المسلمين وبين الكفار، المجاورين لهم أو شيء.

والأمان هو: كافر أو بعض الكفار يدخلون أرضنا بأمان، أو نحن ندخل أرضهم بأمان بإذنهم هم وبأمانهم، هم يعطونا الأمان أو نحن نعطيهم أمان، هذا يسمى الأمان.

والذمة: أهل الذمة الذين يدفعون الجزية، يعيشون تحتنا -تحت حكمنا أو سلطاننا- يدفعون الجزية ويلتزمون بما تجري عليهم من أحكامنا.

هذا العهد، الإنسان الذي له عهد -ذمة-، وإما صلح -هدنة- وإما أمان.

العهد بأقسامه الثلاثة أي واحد من الكفار له نوع من أنواع العهود لا يجوز أخذ ماله ولا يجوز لنا قتله. أمَّن نفسه بالعهد، ما سوى ذلك فهو الكافر الحربي.

الكافر الحربي معناه: الكافر الذي ليس له عهد، ليس معناه الذي يحارب بالفعل.

حتى الحربي إذا عاملته تعامله على مقتضى الشريعة، والشريعة حرمت الدخول في العقود على هذا النحو، أن تدخل مع كافر بعقد ناويًا عدم الوفاء، أو تدخل معه بعقد مخادعًا له في العقد؛ لأن العقود تكون واضحة مبنية على الصدق، ومبنية على نية الوفاء في الديون، حتى مع الكافر الحربي.

ليس شرط أنه يقاتل، كافر: ليس عنده عهد، هذا هو الحربي، منسوب إلى الحرب أو إلى دار الحرب أو إلى المحاربة، يسمى الحربي ويمسى المحارب.

الكفار قسمان/ أهل عهد، ومحاربين -أهل حرب-.

أهل عهد الذي له أمان منا، نحن أعطيناه بخصوصه أمان يدخل أرضنا، إلى أن ينتهي الأمان يرجع محاربًا من جديد، أو بيننا وبينه موادعة التي تسمى الصلح وتسمى الهدنة، هي شيء واحد، تسمى هدنة، أو ذمة هو تحتنا عايش في أرضنا، يدفع الجزية وخاضع لنا، أما إن لم يكن واحد من هذه الثلاثة فهو محارب، فهو حربي، يجوز قتله، يعني دمه وماله غير معصوم، هدر، هذا هو الحربي.

أحد الحضور: أهل الذمة يختلفون عن أهل العهد.

الشيخ: الذمة هي نوع من أنواع العهود، العهد من أنواعه الذمة، الذمي الذي يعيش تحت سلطاننا هذا عنده عهد، ما هو عهده؟ هو الذمة، عهد الذمة، ولهذا يسمى الذمي.

أحد الحضور: إذا أخلوا هم العهد يا شيخ، دخلت أنا في العهد وأعطوني شروط معينة، ما أعطوني الحقوق كاملة، فهل يجوز لي أن أخالف العهد؟

الشيخ: إذا اعتبروا ناقضين للعهد، إيش نوع الإخلال هذا، الإخلال راجع للعقد بالبطلان...؟

السائل: أُسجن فترة ويتركوني فترة ومراقَب، وقد قالوا نعطيك الأمان وما يحصلك شيء، فأخلوا هم، فهل يجوز لي أن أخالف العهد؟

الشيخ: الله أعلم، لا أعرف، لكن إذا اعتبر العهد منتقضًا يصبح ملغيًا، لكن هل كونهم –مثلًا– شكوا في شخص فسجنوه أو شيء، يعتبر نقضًا للعهد، هذا لو كان أصلًا فيه عهد؛ لأن نحن طبعًا بناء على ماذا تقول فيه عهد، هم أصلاً الآن لا يوجد حقوق تعطى، هل هناك الآن دولة كافرة أتى إليها مسلم قالت له: تعال نحن نعطيك أمان، هم يعطون حاجة اسمها التأشيرة –الفيزا– هذه تعطيها سفاراتهم ومكاتبهم الموجودة في الدولة المختلفة، الفيزا هذه عبارة عن ماذا؟ هو هذا الكلام وقع هنا، هل تعتبر عقد أمان؟ هي مجرد إذن بالدخول فقط، سماح لك أن تدخل؟ أو لا يعتبر أمانًا؟ فيها خلاف، أنا أميل وأرجح أن الفيزا ليست أمان، لكن المسألة محتملة وفيها بحث طويل.

أحد الحضور: حقيقة الأمان، ما معنى الأمان؟ يعني آمن لا يمسك أحد؟

الشيخ: نعم أمّنوك، لا يمسك شيء، ويلزم منه –على الصحيح– أن يكونوا آمنين منك، أنت لا تقربهم.

الأمانان متلازمان، إذا أمّنوك فمقتضاه أيضًا أنهم آمنون منك، يعني أنت آمن على نفسك ما يصيبك منهم شر، وأنهم هم يكونوا آمنين منك لا تقربهم أنت ولا تقرب أموالهم، هذا معنى الأمان.

لكن التأشيرة الآن ما فيها معنى الأمان، المسألة تطول مناقشتها، ليس موضوعنا الآن.

أحد الحضور: طيب يا شيخ، بالنسبة للتأشيرة، هل تعتبر أمان حين يشكّوا في أخ يمسكونه ويسلمونه ويأخذونه؟!

الشيخ: تقدر تقول هذا أحد الأدلة القوية أنه ليس أمان أصلاً، لا يعتبر أمان؛ لأن الإنسان غير آمن على نفسه، ممكن أنت تدخل ثم هم في أي لحظة ممكن يشكوا فيك فيأخذوك ويسلموك أو يعذبوك أو تبقى في السجن محبوس، وممكن يقتلوك، فلا يوجد أمان! لكن الأمان أن يأمّنوك، لو اطلعوا على أنك –مثلًا– كنت مطلوب، أو كنت محارب، كنت تحارب فيهم زمان قبل عشرة سنين في أفغانستان أو غيرها، يقولون نحن أمناك، ارجع إلى بلادك، لا نقدر أن نمسك؛ لأننا أعطيناك الأمان.

الأمان، هذا مقتضاه، لكن هو أصلاً الآن في عقليتهم هم الغربية لا يوجد ما يسمى عندهم أمان، وهذا ما تكلم عليه الدكتور أيمن في (التبرئة) إذا قرأتم هذا الفصل المتعلق بالتأشيرة والأمان هو ركز على النقطة هذه، يقول هم أصلًا ليس عندهم أمان، ويسخرون من هذا المعنى، نحن لو قلنا لهم هذه التأشيرة أمان، يضحكوا علينا، لا يوجد عندهم ما يسمى أمان، مفهوم الأمان وأن التأشيرة تسمى أمانًا، وأنكم آمنون منا وأنا مؤمّن على حياتي حتى أرد إلى مأمن، هذا مفهوم عندنا نحن، وزمان كان بين بعض الأمم والدول، لكن الآن هم ليس عندهم هذا أصلًا، وهو راجع حتى لتعريفاتهم هم الخاصة بالإنجليزية وجاءت بنصوصها وتراجمها في دائرة المعارف الإنجليزية تعريف التأشيرة والفيزا، وحدودهم لها وتعريفاتهم لا تشمل أيضًا النص على أنه يكون آمنًا أو هم يكونوا آمنين منه، لا يوجد أصلاً ذكر الأمان.

على كل حال، فهذا هو الأرجح أن التأشيرة ليست أمانًا، ثم نحن في عالم لا نملك شيئًا، الأمان أصلًا يكون بين دولة ودولة، ونحن عندنا كيان وعندنا سلطان وهم عندهم دولتهم، فهو معاملة بين دول، لكن الآن السلطان كله لهم! نحن هاربون مشردون في كل مكان، بأي اعتبار أنت تعطي الأمان لأي شخص؟! فأنت منهم وإليهم، مثلًا: واحد خارج من دولة كفر إلى دولة كفر، ليس وراءه دولة إسلام ثابتة في الأرض وعندها تمكين معين اعترف بها الكفار ونظروا لها، نعم يعادونها! لكن المهم أنها دولة مقابل دولة تعامل معها الند بالند، لا يوجد دولة أصلًا للمسلمين.

على كل حال هذا استطراد نرجع إلى كلامنا، مفهوم الحق؟ فهمتم مثال فرنسا وكلام شيخ الأزهر لما قال فرنسا عندها حق أن تمنع الحجاب! نقول: لا، ليس عندها حق، بل ما فعلته فرنسا هو ظلم وباطل ولغو ومحاربة لله -سبحانه وتعالى-، تعدي على حق الله -سبحانه وتعالى- أولًا، ومخالفة شرعه والنهي عن شريعة الله، بل الحق هو أن تخضع لشريعة الله مطلقًا.

(الدين)

معنى كلمة الدين بالرجوع إلى المصادر العربية والمعاجم، لو رجعنا لابن فارس في معجم مقاييس اللغة، يرجعونها إلى معنى أساس هو: الذلة والخضوع، شبيهة بالعبودية، الدين هذا تعريفه لغة.

المعنى الشرعي مبني على المعنى اللغوي، يقال: دان له يدين، أي: خضع وذل له، مرجع مادة دَ يَ نَ، الدال والياء والنون مرجعه مدارها على الذلة والخضوع.

الله -سبحانه وتعالى- خلق الخلق المكلفين -الأنس والجن- وأرسل لهم الرسل، وأنزل لهم الكتب، هذه الكتب وهؤلاء الرسل الكرام جاؤوا بشرائع معينة، تكليفات وأوامر ونواهي، افعلوا كذا، لا تفعلوا كذا، هذا حق، وهذا باطل. تكليفات، فكان هذا الدين من اتبعه -خضع له ودخل فيه وذل له وانقاد- فقد دخل في دين الله، هذا دين الله.

إذن الدين مبناه على ماذا؟ الخضوع للتكليف، الخضوع لتكليف الله -سبحانه وتعالى-، مفهوم الدين، الدين هو دين الله -سبحانه وتعالى-، المطلوب من العبد أن يلتزم بدين الله -انتبه لكلمة يلتزم هذه مهمة جدًا في الاصطلاح- يلتزم بالدين، هو يقول: أنا ملتزم أن أخضع لدين الله -سبحانه وتعالى-، أنا مستسلم لأمر الله، أي شيء يأمر به الله أنا مستسلم، هذا الإجمال، هذا الالتزام الإجمالي، الاستسلام لأمر الله، لحكمه، التكليف الوارد من الله -سبحانه وتعالى-، لأمر الله ونهيه، هذا الاستسلام والخضوع، والذلة له، والانقياد له، الإجمال المبدئي من حيث المبدأ، بشكل كلي مطلق أنا ملتزم بدين الله -سبحانه وتعالى-، ملتزم بحكم الله، أي أمر لله -عز وجل- أو نهي أنا ملتزم به، أفعل ما يأمرني وأنتهي عما نهاني عنه، هذا الالتزام هو دين الله -سبحانه وتعالى-، هو الخضوع لأوامر الله -سبحانه وتعالى-، حاصلها أن الدين مجموعة من التكاليف.

التكاليف هذه فيها مشقة؛ ولذلك التكليف هو -في الأصول-: إلزام ما يشق، إلزام ما فيه مشقة، أو طلب ما فيه مشقة، واختلفوا في التعريفين، وتناظروا واختلفوا وذكروا الفرق بين الإلزام والطلب.

على كل حال، الدين معناه التكليف، التكليف مطلوب منك تأدية شيء فيه بعض المشقة، والمشقة هذه مرات تكون بسيطة جدًا كطاعة الوالدين سهلة، الصلاة متوسطة، الجهاد هذا مشقة كبيرة جدًا، الهجرة، ترك الديار والأوطان، هذا شاق جدًا -يا جماعة- شاق جدًا جدًا لدرجة أن الله -سبحانه وتعالى- قرنه في القرآن في

مواضع بقتل النفس، قال الله –تعالى–: {وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ}

وفي عدة مواضع: {فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ}

ومواضع أخرى: {قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا}

وأيضًا: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا}

وما تعرض له الأنبياء كقتل النفس، إخراج الإنسان من أرضه كقتله، الهجرة؛ ولهذا جاء رجل إلى النبي ﷺ قال: إني أريد الهجرة. قال: (ويلك ويحك إن الهجرة أمرها شديد ولكن اعمل من وراء الحديد) أو كما قال ﷺ الحديث في البخاري.

الهجرة أمرها شديد جدًا وعظيم، مفارقة الأهل والأولاد، والقوم الذين تربى فيهم الإنسان والديار والوطن الذي أحبه الإنسان وعاش فيه، فليس أمر سهل، هو شاق غاية المشقة، هذا التكليف صعب. لكن أحيانًا يكون لا بد منه، الله –سبحانه وتعالى– أخبرنا أنه لم يكلفنا إلا ما هو تحت طاقتنا، في حدود طاقتنا، قال الله –تعالى–: {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا} {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا}، الله –سبحانه وتعالى– لا يكلفنا إلا ما نطيق {رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا} فالله –سبحانه وتعالى– أوجب وتعهد –سبحانه وتعالى– أنه لا يكلفنا إلا ما نطيق، إلا ما نقدر عليه، إلا ما هو داخل تحت استطاعتنا وقدرتنا، لكن هذا الذي داخل تحت استطاعتنا وقدرتنا أنواع وأصناف، منها تكاليف بسيطة وصغيرة سهلة على كثير من الناس، ومنها المتوسطة، ومنها الشاقة جدًا، من أشقها: الهجرة والجهاد؛ ولهذا كان الجهاد أيها الإخوة –لا سيما إذا كان معه هجرة– ذروة سنام الإسلام، يعني القمة العالية جدًا، التي يصل إليها الإنسان في إسلامه، أعلى شيء، ذروة سنامه، تشبيه ذروة سنام الجمل يعني أعلى شيء فيه، فهذا ذروته، وذروة الشيء أعلاه.

فالتكاليف إذن متنوعة، كلها فيها مشقة، طلب ما فيه مشقة أو إلزام ما فيه مشقة، لكن المشقات مختلفة.

أتانا العدو وهجم على أرضنا، ابتلانا الله، امتحننا الله، اختبرنا الله، كتب علينا أن العدو جاءنا وهجم على أرضنا، مكلفين بالجهاد، وقع التكليف واتفقت كلمة العلماء هنا على أن الشريعة تأمر حينئذ بالتصدي للعدو ومقاومته ومجاهدته، ورده، ودفعه، ومصاولته، ومعارضته، حتى نصده عن بلاد المسلمين، ثم بعد ذلك لما ندفعه ويرجع إلى أرضه، مطلوب منا حتى أن نمشي وراءه، لكن هذا طلب آخر بعده، جهاد ثاني، جهاد الطلب. لكن جهاد الدفع هذا واجب متحتم، متفقة عليه الكلمة على الإجماع، من أقوى الإجماعات في الشريعة، تدبرتُ أنا مجموعة كبيرة من الإجماعات، من أقوى الإجماعات -يقترب من الإجماع القطعي- هذه المسألة، كثير من مسائل الشريعة في فروع الشريعة التي أُدعي عليها الإجماع وحكي فيها الإجماع، ونقل فيها الإجماع منظور فيها، ومعظمها قابل للقدح بإثبات المخالف، ومعظمها ظني، لكن هذا الإجماع ما فيه أقوى منه تقريبًا، يقترب من الإجماع على وجوب الصلاة، والإجماع على وجوب الزكاة، والإجماع على وجوب صوم رمضان، طبعًا هذه إجماعات قطعية، معلومة من الدين بالضرورة، أقول هذا يقترب منها.

لكن هذا في الفروع الظنية من أقوى الإجماعات، المذاهب الأربعة كلهم يصرحون، علماؤهم وغيرهم، إجماع العلماء على وجوب دفع العدو الصائل المعتدي علينا، العدو إذا اعتدى على أرضنا ونزل بعقر دارنا، واحتل شبرًا أو أقل، نزل بل حتى إذا لم ينزل، إذا اقترب، جاء يهدد أرضنا غازيًا لنا، يجب على المسلمين أن يدفعوه الأقرب فالأقرب حتى تحصل الكفاية، واجب على المسلمين، ويتسع الوجوب الأقرب فالأقرب، إن عجزوا أو تكاسلوا يجب على من يليهم، ثم من يليهم، ثم من يليهم، إذا عجزوا، الطبقة هذه تعجز مع الأولى والأولون يعجزون أو يتكاسلوا ويتركون، يجب على من يليهم إلى أن يعم فرض العين الأمة كلها، أو الأرض كلها كما قالوا، هذا من أقوى الإجماعات، جميع المذاهب متفقة -المذاهب الأربعة وغيرهم، الظاهرية، وبعض العلماء المستقلين، والأئمة الأولين غير الأربعة مثل سفيان الثوري والليث والأوزاعي وغيرهم، كلمة العلماء جميعًا سلفًا وخلفًا، متفقة عليه ما فيه أصل خلاف ولا شائبة خلاف.

أقوى الإجماعات، النصوص الشرعية واضحة في الدلالة على هذا، إذا كان جهاد الطلب أصلاً اختلفوا فيه السلف، منهم من قال واجب عيني -والأصح أنه كفاية-، هذا جهاد الهجوم والطلب والفتح، نحن عندنا أرضنا وعندنا بلادنا ودولتنا ومستقرين وممكنين ومالكين الدنيا، هل يجب علينا أن نفتح هناك؟ هذا واجب عيني يجب

عليك أن تجاهد، لكن الصحيح أنه واجب كفائي. أما إذا جاء العدو وهجم على أرضنا فلا يوجد خلاف أصلاً، نصوص الكتاب كلها الدالة على الجهاد يدخل فيها دخولاً أوليًا هذا، ونصوص السنة طبعًا كذلك، وشيء لا يحصى من هذا.

أحد الحضور: طيب يقولوا الآن بأنه كفاية؟

الشيخ: دعنا منهم، ضالون.

المقصود أن الله –سبحانه وتعالى– ابتلانا هنا في هذا المثال الذي ضربته، سلط علينا عدو، امتحننا، اختبرنا، ما الواجب علي؟ الواجب علي أخرج أجاهد، هذا الجهاد هو دين، تكليف، التكليف هذا شاق في هذه المرة، شاق وصعب جدًا، لا بد أن أدخل في دين الله {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً} ادخلوا في الدين كافة، ادخلوا في دين الله جميعًا، قوموا بالدين، السِّلْم أو السَّلْم.

أحد الحضور: يا شيخ، إذا كان العدو في أفغانستان وأنا هاجرت إليها، فهل أدخل في الذين أخرجوا من ديارهم؟ وأنا هاجرتُ مختارًا!

الشيخ: في هو في الأصل مثل كثير من الإخوة خرجوا مختارين، لا يوجد من اضطرهم بالمعنى المباشر الواضح، لكن أُخرجوا بوجه من الوجوه، بدليل أنك لا تستطيع أن ترجع الآن، أنت في حكم المخرج، أنت مخرج الآن من أرضك.

انتبه هذا مهم جدًا، لا يلبسوا عليكم، أنت الآن مخرج من أرضك، بدليل أنك لا ترجع إلا تحت سلطانهم، وتحت إخزائهم وذلهم، أعاذنا الله وإياكم من هذا، والله للموت أحب، قاعدين ينادوا فينا تعالوا مكرمين معززين، القذافي قعد ينادي فينا، أنا شخصيًا بعثوا لي أكثر من مرة عن طريق أهلي وكذا.

لكن هذا ليس معززًا مكرمًا، هذا ذليلاً حقيرًا أنك ترجع وتقول والله نحن نشكر القائد العظيم ونحن رجعنا للوطن، لازم تقول هذا الكلام، إذا كنت درويش ممكن يسامحوك ويقولون لك تعال واسكت، ولا يخرجوك في التلفزيون، هذا أحسن شيء ممكن، ولكن هم لازم يخرجوك في التلفزيون، خاصة الناس البارزين، لا بد أن

يخرجوك في التلفزيون، وفي النهاية في التلفزيون سيضغطون عليك وسيعطونك صيغ معينة وفي النهاية لازم تشكر القائد، والمعلومات يقولون لا بد أن تتعاون معنا وتعطينا وكذا.

فهذا خزي الدنيا، حتى في الدنيا الإنسان انتهى معناه لو فعل هذا -والعياذ بالله نسأل الله العفو والسلامة، نسأل الله أن يعيذنا وإياكم من مواقف الذلة- ولكن خزي الآخرة أشد، وخسارة الآخرة أشد، بعد أن يكون الإنسان قد ارتقى في الجهاد، والعياذ بالله هذا شيء نسأل الله العافية والسلامة، نسأل الله أن يعيذنا، لا حول ولا قوة إلا بالله، اللهم عافنا يا رب، نعوذ بالله.

المقصود أنت خرجت مختارًا، ومهاجرًا في سبيل الله لنصرة دين الله في أرض معينة فيها طائفة تجاهد، مشيت تناصرهم؛ لأن الناس تكاسلوا وتقاعسوا وقعدوا وتركوا، أنت مهاجر، مجاهد، -انتبهوا لأني سمعت بعض الناس يقولوا هذا ليس مهاجرًا! هذا جهل عظيم والله، من أعظم الجهل الذي سمعته- يقولون هذا ليس مهاجرًا!، كيف غير مهاجر؟! هذا مهاجر في سبيل الله؛ لنصرة دين الله، لكونه مع طائفة تجاهد في سبيل الله، بعد أن تقاعس الناس، هذا مجاهد مهاجر في سبيل الله، هذا أعظم من الذي هاجر لكونه غلبه الكفار ووجبت عليه الهجرة، هذا أعظم منه، مشى مختارًا بعد أن رأى تقاعس الآخرين، الذين قبله المفروض يهبوا ويسدوا الكفاية، لم يسدوها وتقاعسوا وقعدوا، فطلع، هذا مهاجر في سبيل الله، وجاهد في سبيل الله، والآن أيضًا بالاعتبار الذي قلناه أنت مخرَج من أرضك، هذه كلها أنت مكتوب في هذه الدواوين -إن شاء الله- فاعتصم وتمسك به، أنت في دواوين عظيمة عند الله، ديوان المهاجرين، ديوان {الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ} ديوان المجاهدين في سبيل الله، نسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يجعلنا وإياكم أيضًا في الديوان الأعظم من هذا وحصيلتها ديوان الشهداء في سبيل الله.

أحد الحضور: والرباط يا شيخ؟

الشيخ: والرباط أيضًا ذكرتني بارك الله فيك، ديوان الرباط مهم جدًا، نحن في هذه الأرض، نحن في رباط كذلك، لأننا كلنا في رباط؛ لأن نحن قيد الاستعداد أن نمشي، أسلحتنا كلها معنا، هذا رباط لا شك أنه رباط، قطعًا مئة في المئة، والله ما فيها شك أبدًا، تأمل عبارات العلماء كلهم، وتعريفاتهم كلهم، وتقييداتهم كلهم، وشروحهم

كلها لمعنى الرباط، إن لم يكن صورتنا نحن هنا في وزيرستان وباكستان، وما حولها والمناطق الحدودية وغيرها وطبعًا أفغانستان من باب أولى، إن لم نكن في رباط معناه لا يوجد رباط أصلًا، معناه لا يوجد رباط في الشريعة! هذا هو من أوضح صور الرباط، نحن بفضل الله -سبحانه وتعالى- في نعم عظيمة، مكتوب في هذه الدواوين كلها، دواوين شريفة عظيمة عند الله، من أعلى الدواوين.

فاعتصموا بالله -سبحانه وتعالى- وافتخروا بها عند الله -سبحانه وتعالى- وليس عند الخلق، اعتزوا بها وحافظوا عليها حتى تأتوا بها عند الله -سبحانه وتعالى- يوم القيامة ويكون لكم أجرها، كما قال الله -تعالى-: {مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا} {مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا} من جاء، قالوا: جاء معناها: عملها وحافظ عليها حتى يأتي بها؛ لأن كثير من الناس يعملوا حسنات لكن لا يأتوا بها، يضيعوها في الطريق بالمراءاة، بالتسميع، بالمنّ، بعوامل المبطلات المحبطات، نسأل الله العفو والعافية والسلامة.

إذن الدين هو مجموعة من التكاليف، الأوامر والنواهي كلفنا الله بها، التكليف أصلًا لا بد يكون فيه مشقة صغرت أو كبرت، والتكاليف منها الصغير ومنها الكبير، ومنها يحبها الإنسان، كلفنا الله -مثلًا- بأن نفرح أيام العيد (أيام أكل وشرب) كما قال النبي ﷺ، الناس تأكل وتشرب وتفرح وهي تحصل في الأجر.

النبي ﷺ سُئل: أيأتي أحدنا شهوته وله فيها أجر؟ قال: (نعم، أرأيتم إن وضعها في حرام أكان عليه وزر؟) قالوا: نعم. قال: (كذلك إن وضعها في الحلال فله أجر)

الإمام أحمد سئل عن هذا فقال كلمة صارت عند العلماء وطلبة العلم تجري مجرى المثل، سئل عن طالب الحديث -في الماضي هم يقصدون بطالب الحديث طالب العلم؛ لأنه كان طلب الحديث والرحلة في طلبه كانت هي المشهورة في ذلك الوقت- سئل عن طالب الحديث -يعني يرحل في طلب الحديث، ويشافه الأشياخ- فيحصل له مكانة في الناس، وتعظمه الناس، فقال: "حظٌ وافق حقًا". يعني حظ للنفس وافق حقًا، اتفق مع الحق، وانتظمه الحق انتظامًا وأقرته الشريعة، أنت ما سعيت له؛ ولهذا طالب العلم أو الإنسان الذي يعمل الصالحات يمدحه الناس، وقال له النبي ﷺ: (عاجل بشرى المؤمن) لما سئل عنها في حديث أبي ذر -رضي الله عنه- في صحيح مسلم، سئل عن الرجل يعمل العمل الصالح فيمدحه الناس، قال: (ذلك عاجل بشرى المؤمن)

إذا عمل حتى يكسب ثناء الناس ومدحهم يصير هذا -والعياذ بالله- مراءاة يعمل لغير الله، الرياء هذا، هذا يعمل لكسب ثناء الناس، لكن إذا هو عمل عملًا صالحًا ومدحه الناس، قالوا: هذا رجل طيب يعمل الخير، الحمد لله، أن الله -سبحانه وتعالى- جعل ذكري حسنًا عند الناس، الحمد لله، هذه نعمة الله -سبحانه وتعالى- عليه، لكن أنا لا أعمل لها، وأجاهد نفسي ألا أعمل لها.

فالمقصود أن الدين هو مجموعة من الأوامر، مجموعة من التكاليف نحن مأمورون بها، نخضع لها، ونطبقها ونؤديها على قدر استطاعتنا، قال الله -تعالى-: {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا} عجزت؟ تقول: والله يا رب أنا حاولت واجتهدت ولكن عجزت، ما قدرت، لم يستطع أن يصلي قائمًا، يصلي جالسًا، يصلي مضجعًا، لم يستطع صوم رمضان قال له الله -سبحانه وتعالى- عليك فدية، لم يستطع أن يجاهد في سبيل الله، يده مقطوعة وأعمى وكذا، قال: يا رب لم أستطع، هذا العجز، الذين هم أصحاب الشرعية الذين لم يستطيعوا أن يطبقوا العبادة على نحو ما، إما الله -سبحانه وتعالى- نقلهم إلى بديل، أو أعفاهم بالكلية.

الشريعة فيها تفاصيل هذا، لكن نحن نذكر أمثلة، قلنا في البداية أن معظم كلامنا سيكون في الكليات، وليس في التفاصيل، فالمقصود هنا بيان معنى الدين، الدين هو مجموعة أوامر ونواهي، وتكليفات.

ومعنى التكليف أنه شيء فيه مشقة، طلب ما فيه مشقة. يجب علينا أن نلتزم ابتداء أننا نطبقها ما استطعنا "وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت..." نقولها كل يوم صباح ومساء في سيد الاستغفار، ونعاهد الله -سبحانه وتعالى- ونجدد كل يوم؛ ولذلك هذه هي فائدة الأذكار، تذكير هذه النفس البشرية دائمًا أن تجدد العهد مع الله {وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا} المسلم يقول: سمعنا وأطعنا، سمعت وأطعت لبيك يا الله، سمعت وأطعت، أنا ملتزم، ثم إذا أتى في حالة لم يستطع، يقول: يا رب والله لا أستطيع، أنت تعلم يا رب بحالي، ما قدرت، ما استطعت في هذا. فإما -كما قلنا- الشريعة نقلته إلى بديل، وإما عفت عنه في هذا الأمر كاملًا.

فهذا هو الدين -أيها الإخوان- يجب الالتزام المبدئي والقول سمعنا وأطعنا هذا مبدئيًا، الالتزام المبدئي، ثم المحاولة، أن نطبق أمر الله -سبحانه وتعالى- ونطبق هذه التكاليف ونعمل بها، لم نستطع بعد ذلك، عجزنا والله أعلم بنا. هذا هو الدين.

بعض الناس عندهم خطأ في فهم الدين، في بعض مفاهيم الناس وموجود في الحركة الإسلامية وموجود عند بعض الدعاة وهكذا، لا سيما المتأثرين ببعض الحركات الإصلاحية التي تأثرت بالغزو الفكري والأفكار غير الإسلامية، تحول الدين عند بعضهم إلى برنامج للحياة السعيدة مثل ما تخيلوها هم، يعني سعادة في الدنيا بحبوحة في الدنيا، يعني أنت بالإسلام ونحن سنطبق الإسلام، والإسلام هو الحل، الإخوان المسلمين ومجموعة من هذه -فيهم وفيهم أخلاق طبعًا هم- وبعض الحركات الإسلام، وتكونت حركة وحيد الدين خان في الهند وعنده امتداد في ليبيا، كان عندهم جماعة في ليبيا في طرابلس، يسموها "الحركة التعميرية" أظن هكذا يعبرون عن أنفسهم، حركة يهتمون بالرجوع إلى الدين كوسيلة دين، كوسيلة وسبب لاستعادة العزة، وأن نكون، وأن نكون، وأن نكون، ونحن أمة، والدين هذا جزء من آثار الدين، وجزء مما يؤدينا إليه تماسكنا بالدين، ولكن ليس هو هذا الأساس، يعني مش قاعدين نرجع إلى الدين نتخذ الدين كما يقولوا استغلوا الدين لأغراض سياسية، نحن لا نستغل الدين، الدين ليس وسيلة حتى تعيش مبحبح، لا! وإن كان هذا أيضًا -إن شاء الله- {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً} من المقاصد، لكن ليس هو المقصود بالقصد الأول، إنما هو مقصد ثاني، ثانوي، ينتضمنه انتضامًا الدين يأخذه معه، واحد التزم بالدين يعيش حياة طيبة، المفروض هكذا يعيش حياة طيبة، ولكن هذا في ضمن اجتماع كله ملتزم بالدين، ولكن ممكن إنسان يلتزم بالدين ثم يأتي الكفار يأخذوه ويضعونه في الحبس، يجلس عشرين سنة في الحبس! لا عاش حياة طيبة، عاش مسكين مبهدل طول عمره عشرين عام زهرة شبابه كلها وهو في السجن يعذب، ما الحياة الطيبة التي عاشها؟

فحينئذ الآية كيف نفهمها؟ حينئذ في حق هذا الإنسان المسلم المؤمن الصالح التقي المعذب الذي تسلط عليه الكفار والمجرمون الظلمة والطغاة، وسجنوه وعذبوه وقهروه وأذلوه وجعلوه يعيش في ضنك شديد وفي عذاب، هذا كيف نقول في حقه بالنسبة للآية هذه، كيف الآية تنطبق عليه؟ إشكال يقع للناس {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} في الآخرة بعد ذلك،

لكن المقصود منها هنا {فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً} وين حياة طيبة؟ حتى هو نفسه هذا المعذب في السجن ممكن لما يقرأ هذه الآية يقول وين هذه الحياة الطيبة؟! الجواب -والله أعلم-: إما أن يكون المقصود بهذه الآية ليس المسلم كفرد، إنما المسلمين كاجتماع، أو المسلم بقيد كونه في الاجتماع، في الدولة المسلمة، في الكيان، لو أن الناس عاشوا هكذا في الإسلام والتزموا بالإسلام وعملوا الصالحات لحيوا حياة طيبة، كل واحد منهم يحيى حياة طيبة. ممكن هذا وجه محتمل.

الوجه الثاني: أن تحمل الحياة الطيبة على معانٍ متعددة، الحياة الطيبة إما أن تكون بكاملها وإما أن تكون جزئية بمعنى حياة سعادة النفس، فهذا المؤمن المعذب في الدار ولكنه بالأنس بالله -سبحانه وتعالى- واختياره الكون مع الله -عز وجل- فهو يحيى حياة طيبة، خالية من الكفر، خالية من مناقضة الفطرة، ومناقضة أمر الله -سبحانه وتعالى- وشريعته، خالية من التمرد على الله، خالية من مناكدة الضمير والفطرة، فهو عايش حياة طيبة، وهذا واقع نقطع به لا محالة، والذين عاشوا في السجون سنين طالت أو كثرت يعرفون هذا جيدًا، يعرفون أن الإنسان المؤمن الصالح في السجن يعيش حياة طيبة أطيب من حياة جلاديه المنعمين وقاعدين مبحبحين في فللهم وفي قصورهم، وفي كل مساء يعذبوا فيه! يأتونه ليعذبوه وهو مطمئن، الله -سبحانه وتعالى- يكلؤه وينصره عليهم بالحجة وبالبرهان وهم مقموعين أمامه، كما كان يحكوا لنا الإخوة كثير جدًا في السجون سواء سجون المرتدين أو سجون الأمريكان، ولعل الشيخ أبو يحيى والذين خرجوا من السجن جربوا الأمريكان هناك، وبعض الإخوة الآخرين لعل بعضكم سمع منهم كذا، جربوا الأمريكان وعاشوا في سجونهم، كيف كانت معنوياتهم وكيف كان انتصارهم وهم في السجن منتصرين عليهم، والأمريكان مقموعون أمامهم، حتى يضرب أو يبخ عليهم أو كذا أو يسجنه حبس انفرادي لكن هو مقموع، وهو خائف، وهو نكد، والأخ جالس في حياة طيبة، حياة طيبة بهذا المعنى، بهذا الاعتبار، ممكن نحمل الآية عليه.

المهم، المأخوذ من مجموع الشريعة، لا بد أن نفهم الموضوع في كل مسألة من كل الدلائل، من مجموع الأدلة ونجمع بينها، المفهوم من كل الأدلة الشرعية أن المسلم المؤمن الصالح التقي قد يعيش في هذه الدنيا حياة مرفهة، حياة متوفر له فيها الأكل والشرب وحرًا طليقًا، ربي فتح عليه، وقد يعيش مسكين محروم فقير ممكن، وهناك أنبياء عاشوا فقراء، وهناك أنبياء عاشوا متسلط عليهم العدو وقتلتهم أعداؤهم بعد ذلك، بنو إسرائيل كم قتلوا

من الأنبياء؟ وهكذا، أنبياء! وكذلك من الصالحين ومن أولياء الله -سبحانه وتعالى- وأهل الأخدود مثال ضربه القرآن لنا، المثال الخالد، وهكذا.

ولهذا قلنا نحن -مثلًا- إنسان مسلم مؤمن تقي صالح يعيش في النيجر وأصابته المجاعة، أصابته المجاعة مسكين وبطنه منفوخة هكذا من المجاعة، ولا يجد ما يأكل، هيكل، هذا أسعد حياة من "بيل جيتس" أغنى رجل في العالم مالك مايكروسوفت، هذا عايش حياة طيبة -إن شاء الله-؛ لأنه عايش بالله -سبحانه وتعالى- وآنس بالله -سبحانه وتعالى- ومؤمن خاضع لأمر الله، مطمئنة نفسه، ويقول: يا رب هذا كله امتحان، وهذا اختبار منك، وأنا صابر لأقدارك، محب لك راضٍ بقسمتك، خاضع لأمرك، أرجو فضلك في الآخرة، هي صبر ساعة وتنتهي، وأكون أنا الفائز. بهذه المعاني والتحقق بها وملاحظتها هو عايش حياة طيبة، وهذاك هذه جنته ثم يفضي إلى الآخرة ليس عنده شيء، رغم أنه في بحبوحته لكن تجد النكد في حياته، طبعًا ألفوا الكثير من الكتب هم نفسهم الغربيون وبعض الذين لامسوا الحضارة الغربية والثقافة الغربية ألفوا كتب كثيرة في حياة المترفين هؤلاء، وأن حياتهم مليئة بالمنغصات وبالنكد وغيرها، وكثير من رؤوسهم ومن رجالاتهم ينتهون إلى الانتحار، ما عندهم الحياة السعيدة.

المقصود أن بعض الناس في الحركة الإسلامية في عصرنا هذا، تحول الدين عندهم إلى برنامج لحياة سعيدة، والحياة السعيدة بمفهومهم هم، أن كلمة سعيدة هذه لفظ مجمل، السعادة وحياة سعيدة وهكذا، لا بد أن نشرحها، ما هي السعادة؟ معنى السعادة اختلف فيه البشر، كل واحد يشرحه ويفهمه على حسب ما يسع فيه الذي عنده السعادة أن يأكل ويشرب ومبحبح، هذه هي السعادة عندهم، لكن أمور أخرى! أين سعادة القلب في اتصاله بخالقه وبمولاه -سبحانه وتعالى-؟ عبادته لله، وتوجهه إلى الله، وخضوعه إلى الله -سبحانه وتعالى-، لا يوجد عندهم، تجد عندهم النكد دائمًا، نكد المشركين.

فالمقصود أن الدين -يا جماعة- ليس برنامج سياسي، وليس برنامج من أجل أن نعيش حياة طيبة، وليس وسيلة نتخذها لكي نعيش حياة طيبة، لا، الدين هو بالأساس هو عبادة الله -سبحانه وتعالى-، عبادة، نحن عبيد الله، مكلفون بهذه الأوامر والنواهي والتكليفات، خاضعون لأمر الله، نلتزم بدين الله -سبحانه وتعالى-

وأمره ونهيه وهذه التكليفات التي أمرنا بها، مستسلمون له ولأمره ولحكمه، بعد ذلك نحن إذا فعلنا ذلك الله – سبحانه وتعالى– وعدنا بأن نعيش حياة طيبة، ولو أن المسلمين جمهرة من البشر فعلوا هذا وعاشوا في مجتمعٍ ما بهذا الشكل لكانوا كلهم قوة واحدة ويعيشوا حياة طيبة بكل المعاني، لكن أن نتخذ الدين وسيلة للسياسة، نتخذ الدين وسيلة من أجل أن نعيش حياة طيبة، ونوظف الدين حتى نغلب الأمم بالصناعات، ونغلب الأمم بالتكنولوجيا وغيرها، ونحن مقصرون؛ لأننا تركنا ديننا ونرجع إلى الدين حتى نغلب! لا يبحث غالبيتهم إلا عن التكنولوجيا، وكثير من التكنولوجيا أصلاً هي خراب، نحن لا نحتاجها، وما احتجنا إليها في كثير من الحالات إلا لكي نتكافأ معهم، ولكي نحاربهم، نحتاج إليها في حرب، وإن كثيرًا من العلم الذي عندهم والتكنولوجيا هي باطل أصلاً، لا حاجة لنا فيها، تعب بشري فقط. المقصود أن هذا الدين بالأساس –إخواننا– هو عبادة الله – سبحانه وتعالى– وتكليفات نحن نرجع إليها، نخضع لها.

أحد الحضور: بالنسبة الآن إلى بعض التكاليف منها الشاقة ومنها السهلة، بعض التكاليف الشاقة الإنسان يؤديها، فبعضهم يتعلل بهذا الشيء في الهجرة والجهاد يقول أنا ما أطيق، وهؤلاء ناس وجدناهم، موجودين، يقول: فيني حب الدنيا مع أني أقر أن الجهاد فرض عين. ولو قلت له عن الهجرة قال: أنا لا أستطيع. فما هو ضابط الاستطاعة؟

الشيخ: لا، عدم الاستطاعة المدعى خطأ، هذا ادعاء كاذب. يعني مثل واحد كافر تقول له: أسلم واعبد الله. يقول لك: ما أستطيع أن أطيع الله. دعواه عدم الاستطاعة دعوى كاذبة غير صحيحة بل هو يستطيع وهذا في مقدوره، وما يمنعه هو تشبثه بالدنيا، اختياره للدنيا فقط، إذن أنت مقصر أنت اخترت الدنيا حقيقة أمرك أنك اخترت الدنيا على الآخرة، ثمّرتَ دنياك، اخترتها وفضلتها وقاعد تثمرها وتركت الدين وتركت الآخرة، هذه حقيقة الأمر، ولكن هذه دعوى، هو يقول أنا لا أستطيع، كيف لا تستطيع، عندك الفلوس وعندك منسق، هيا جاهد في سبيل الله، ما يمنعك؟! عدم الاستطاعة مدعاة وهمية وغير صحيحة هذا تلاعب بالألفاظ، هو يقولها لك غير صحيحة، ليس هذا الذي ينظر إليه الإنسان، ينظر الإنسان إلى حقيقة الأمر، حقيقة الأمر أنه مستطيع وأنه قادر ولكنه ما زال يفضل الدنيا على الآخرة، فهذا ما وفقه الله وتعذر بأنه لا يستطيع، الاستطاعة

ليست هي عدم الاستطاعة التي هي بمعنى العجز عن تأدية التكليف التي عذر الله صاحبها، لا، ليست هي. الإنسان معه عدم الاستطاعة المذكورة في قوله تعالى {مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ}

قوله -تعالى-: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ* الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ* أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ} هذا عدم الاستطاعة، فهذا ما كان يستطيع؛ الله -سبحانه وتعالى- منعه، منعه من هذا حرمه لم يوفقه الله -سبحانه وتعالى-، وهو يتعذر بأنه لا يستطيع لكن هذا تعذر لفظي وادعاء كاذب -كما قلت لك- لا يغني شيئًا، يضحك على مَن هو؟ يضحك علي أنا أو عليك أنت؟! نحن بشر عبيد ما نساوي شيئًا، يضحك علينا، لكن يخادع الله؟ ما يستطيع، ما يستطيع أن يخادع الله، الذي يقول لا أستطيع هذا غير صحيح، الذي لا يستطيع {لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا} الإنسان الضعيف المريض أعمى إلى آخره، لم يهتدِ سبيلًا {لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا} يعني ما وجد، مسكين يبحث ولم يجد الطريق، وخائف والعدو متربص به، جالس ومتربص ومتمني ومريد، مسكين ولكنه لم يجد طريق، هذا معذور، هذا عذره الله في نص القرآن، نيته هذا مجاهد في قلبه، وهذا داخل لا شك في قول النبي ﷺ: (ما سرتم مسيرًا ولا قطعتم واديًا إلا شركوكم في الأجر)

لكن واحد يستطيع وعنده آلات والقوة والحمد لله والتمكن ووجد السبيل ووجد الزاد والمال، ثم يقول لك: والله أنا لم أستطع!

هذا ليس عدم استطاعة، هذا عدم توفيق من الله، الله خذله {وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ} الله ثبطه وخذله وتخلى عنه ولم ينصره ولم يعنه ولم يوفقه، كل هذا باختصار، فهذا فقط مجرد تعبير خاطئ عن واقع معين، والله أعلم.

أحد الحضور: يا شيخ، الآن نحن قرروا لنا في المدارس إذا العدو داهم أرض المسلمين [غير مفهوم...] الآن خمس سنوات في العراق، وثمانية سنوات في أفغانستان، الآن ما قدرت الناس ترد العدو، ما هي حجة الذين يقولون أن الجهاد إلى الآن فرض كفاية؟ ما حجتهم؟

الشيخ: هم يقولون أن المجاهدين غير محتاجين للرجال مكتفين، هذه حجتهم، يقولون كفاية، ما هي الكفاية؟ يعني أنت مكتفي من الرجال، ساحة أفغانستان غير محتملة لرجال آخرين -وأنت قاعد يا شيخ فلان وشيخ فلان، الناس تريد أن تأتي وأنتم قاعدين توقفوا فيهم- يعني فرض كفاية! هم عندهم حجة هي هذه الحجة فرض كفاية، فيقولون أن بعض قيادات المجاهدين صرحوا لنا أنهم غير محتاجين للرجال، الجيش الإسلامي في العراق يقول ناصر العمر يقول لأصحابه نحن غير محتاجين، العراقيين يكفوننا، نحن نحتاج فقط إلى مال، إيتوا لنا بالمال، نحن عندنا الكثير من العراقيين جالسين وما يجدون سلاح أصلًا بسبب عدم وجود المال، قد يكون جزء من هذا صحيح وأنا لا أنفيه بالكلية، لكن لا بد من بعض التقييدات والتحريرات، لعلنا نتكلم فيها مرة ثانية؛ لأن هذا ليس موضوعنا الآن.

ولكن جزء من هذا الكلام صحيح، بمعنى أنه لو تحقق عندنا أننا لسنا محتاجين للرجال حينئذ نقول: اكتفينا في هذه الساحة، لكن لا بد من نظر كلي، طيب في الساحات الأخرى؟ لأنه عندما نقول الجهاد فرض عين الآن، ليس قصدنا في أفغانستان فقط أو العراق فقط، طيب والساحات الأخرى؟ والساحات التي ليس فيها جهاد أصلًا؟ الأندلس طيب ما فيه جهاد، حتى في بلادنا نفسها، وبلادنا نحن: ليبيا، ومصر، وتونس، والجزائر، والمغرب، وموريتانيا، والشام، وبلدان الخليج، من يجاهد؟ فقولنا الجهاد فرض عين الآن في هذا الوقت يحتاج إلى ضبط وتحرير، أنا شرحته في بعض المواضع مكتوب على الإنترنت وفي بعض المواقع وفي لقاء الحسبة لعلكم رأيتموه أنا شرحت هذا وقلت أنها تلخصه عبارة الشيخ عبد الله عزام لما قال: "الْحق بالقافلة"

هذه العبارة أنا أراها تعبير كشعار وكعنوان يلخص فرض العين الآن، الإنسان الذي لحق بالقافلة وقال: أنا مستعد، أنا معكم يا مجاهدين مروني أين أكون، مروني بما شئتم، ضعوني حيث ترون الصلاح والخير. هذا إنسان برئت ذمته وأدى الذي عليه. وإلا الإنسان ذمته تبقى مشغولة، لا تبرأ ذمته إلا أن يبذل نفسه.

مثلًا: هذا في السعودية إنسان من هناك اتصل على المجاهدين وقال لهم: أنا معكم، مروني بأمركم، تريدوني أن آتي عندكم وتحتاجوني عندكم أنا مستعد آتي، أبقى هناك أخدمكم أنا مستعد، أو أجلس أدعو لكم وخلاص، وأنا -إن شاء الله- لعلي تجدوني ذخيرة لكم في وقت لاحق، مروني، ما المناسب الآن، ما هو الخير؟ ما هو الذي يحتاجه الجهاد ويأمر به الله -سبحانه وتعالى- الآن من مجاهدة الكفار في هذا الحين أنا باذل هذا من نفسي، مستعد. فهذا قد برئت ذمته، فإذا جاء الأمر من القيادة يقول: لا، أنت كن في مكانك الآن عندنا عدد يكفي، أنت كن في مكانك يحتاجونك هناك إما ساعدنا في الدعوة هناك أو الإعلام والذب علينا بالكلمة ونشر دعوتنا والتحريض، ساعدنا ماليًا واجمع أموال، استثمر واعمل مشروع، ساعدنا مثلًا بمجموعة من العلاقات إذا كان عندك معارف قل لهم كذا.

مثلًا وجدناه يستطيع أن يتعلم: اذهب وتعلم في الجامعة الثلاث سنين هذه وادرس مثلًا هندسة الكيمياء، فسنحتاجك بعد سنتين أو ثلاثة نحتاج إلى كوادر في هذا، يمشي يتكلف بأمرنا، هذا برئت ذمته، هذا مجاهد في سبيل الله مثل الذين في الميدان، هذا لحق بالقافلة.

لكن الذي لم يفعل ذلك أنا عندي أنه آثم مقصر، المسألة ليست متعلقة بقضية الرجال؛ ولذلك نحن نوقف الناس، نوقف الناس بالفعل، ونختار وننتقي؛ لأننا نحن نعرف قدراتنا الاستيعابية، لا نستطيع أن نستوعب الناس، لا من الناحية المادية وأكلهم وشربهم وطعامهم ولباسهم وأغطيتهم وغيرها، ولا من الناحية الأمنية نحن في قصف وغيره، أين نضع الناس؟ ولا من الناحية حتى الإدارية والناحية التربوية، يعني الناس أتوا كيف نربيهم وكيف نعلمهم وكيف نكون مسؤولين عن دينهم وعن أخلاقهم، لا نستطيع أن نستوعبهم، ولا حتى الساحة هنا والقوم هنا، الأتراك هنا قاعدين سبعين مليون في تركيا عدد سكان تركيا، فيهم ملايين من الشباب قاعدين متحمسين للمجيء للجهاد لو فتحنا لهم الباب على مصراعيه بدون أي ضوابط وقيود، ممكن يأتيك في سنة واحدة مليون تركي لوزيرستان!

تركستان الشرقية عندنا ملايين هنا بجانب الصين، بس افتح لهم الباب وقل لهم: تعالوا ويعطونكم اتصالات وكفالات، وبيوت، تجدهم يأتون جريًا بالآلاف، لكن نحن نقول لهم: ما عندنا كفالات ولا عندنا... نشد على

الناس، لو أي واحد يأتي يقول: أنا عندي حق، نقول: لا، ما عندك حق وما عندك حاجة، اجلس هناك أنت، نحن الذين نختار، نحن أعطانا الله هذه الأمانة وخولنا هذا المنصب، نحن نمارس حق ومسؤولية، النظر فيها إلى مصلحة الإسلام والمسلمين والقيام بهذه الأمانة وهذا الجهاد، لا يصلح الجهاد أن يأتيه كميات كبيرة ضخمة جدًا جدًا ثم تكون عبءًا علي ثم أهلَكُ أنا، وما يقدر أحد يرعاهم ولا يدير شؤونهم، وتصبح مجموعات وفوضى كثيرة جدًا ويصبح البشتون يشكوا منا، والطلبة يشكوا منا، وبيت الله هنا يطردنا، وهؤلاء يقاتلونا، ما ينفع أبدًا، يعني مستحيل هذا، هذا فساد عظيم، فالذي لا بد أن يحصل الآن هو عملية انتقاء، واختيار الناس بحسب قدراتنا، ونتوسع نتوسع، الذي لحق بنا بمعنى اللحاق، الذي تكلمت عليه هذا رجل في السعودية هناك أرسل وقال: أنا معكم مروني بما ترونه مناسب لي، أنا طالب أجيد كذا، أعمل كذا، عندي مهارات كذا، تعلمت كذا، آتيك؟

لو قال: أنا طبيب.

قلنا له: تعال جري نريدك. وجب عليه المجيء، نحن محتاجين إلى أطباء هنا الآن، مهندس الكترونيات، مهندس في الكيمياء، وفي السموم، تعال جري لا تشاور، محتاجين لك.

طالب علم ومتخرج من جامعة الإيمان ودارس عند الشيخ البراك والغنيمان ورجل مزكى ورجل طيب، طبعًا التزكية هذه دائمًا لا بد منها يكون رجل صالح في البداية، ثم بعدها ماذا يحسن من المهارات، وماذا عنده من الإمكانيات، تعال جري محتاجين طلبة علم هنا، هذه الأصناف نحتاجها؛ ولذلك في خطاباتنا كلها نحرض في الكوادر والطاقات وغيره، لكن كجنود عاديين، لا، مكتفين إلى حد ما، لا نقول فرض كفاية بمعنى انتهى وبحبحوا يا ناس وتمت الكفاية ولا نحتاج أحد! لا، لكن أنا حكمتني ظروف معينة، سياسية، جغرافية، اجتماعية، مالية، مادية، أنا حكمتني الظروف، فما أستطيع أن أقول أن الكفاية حاصلة في الساحة الفلانية.

أما حصول الكفاية على مستوى العالم الإسلامي، على مستوى الدنيا، فهذا لا نستطيع أن نقوله أبدًا، أسبانيا الآن المحتلة لأرض المسلمين الأندلس، هذه من يجاهدها؟ هذا الذي يقول وهو جالس مثلًا في الكويت يقول: هذا فرض كفاية!

وفلسطين وأسبانيا وهذه الدول المسيطر عليها المرتدون هذه كلها من يجاهد فيها؟ وهذه سنغافورة التي هي من بلاد الإسلام وسيطر عليها الكفار، هذه دار من دور الإسلام احتلها الكفار الذين أصولهم صينين، استولوا عليها وسموها سينجابور، صار عندها اسم جديد وصبغة جديدة، بلاد كفار خلاص صارت رسمية، وغيرها وغيرها، من يجاهد هؤلاء؟!

لا بد للمسلمين أن يجاهدوا في سبيل الله، فالجهاد متعين علينا، لكن ما هو القدر المتعين، أنا شرحتها، يلحق الإنسان بالقافلة، فيه قيادة مجاهدة فيه طائفة تجاهد في سبيل الله، حصلت لها بفضل من الله -سبحانه وتعالى- نوع وثوق وأمانة وسلمتها الأمة أمانتها وجمهرة كبيرة من الأمة، ما نقول الأمة كلها؛ لأن الأمة جزء كبير منها فساق وكفرة وزنادقة منتسبين للأمة الإسلامية، لكن أنا أقول جمهرة لا بأس بها من أمة الإسلام من أخيارهم، صالحيهم، اعترفوا بهذه الجماعة ووثقوا فيها وسلموها قيادتهم، واعترفوا بها كقيادة للمجاهدين، هنا مثلًا: القاعدة وطالبان، هؤلاء الْحق بهم، هذه قيادة موجودة، الْحق بهم، وقل لهم: أنا مستعد، مروني بأمركم، إذا قلتم لي تعال أنا آتي، إذا قلتم لي لا، ابقَ هناك، أو امشِ إلى مكان ثاني أنا سآتمر بأمركم ما استطعت، بهذا برئت ذمته، وأدى الذي عليه. هذا معنى وجوب الجهاد الآن.

أما بمعنى أن كل واحد لازم يُحضِر نفسه، لا، ما أقول هذا، لكن نحن نختار من الناس.

الإخوة في الصومال، الإخوة في الجزائر كذلك، وهكذا، قيادات الجهاد محليًا في كل مكان هي تختار الناس بحسبها، لكن على الناس أن يكونوا مستعدين وأن يبذلوا أنفسهم، فمن قيل له: أنت بنفسك نحتاج إليك لأنك طبيب أو مهندس أو كذا، طاقة معينة، فيجب عليه المجيء بنفسه، ومن لم يكن عنده هذه الخصوصية وكان مجاهد عادي، فرد، يحمل الكلاشينكوف ويجاهد، فهذا بحسبه، يأخذون بحسب الحاجة، هذا والله أعلم.

الإخوة في الشيشان أيام خطاب وغيره حتى بعده وصلوا في مرحلة من المراحل وقالوا: لا نحتاج رجال.

هم أدرى بتقييم ساحتهم وحاجتهم، هذا ليس عيب، والقيادة هي التي تقرر هذا.

أحد الحضور: حتى الناس يحبوا الكلام هذا، كلمة ناصر العمر الذي يقول: العراق غير محتاجين رجال.

الشيخ: لأن إطلاق هذا القول يثبط الناس لكن نحن علينا أن نشرح هذا للناس، الناس لا بد أن تجاهد في سبيل الله وأن تكون مستعدة للبذل في سبيل الله، متعين عليكم كل واحد أن يلحق بقافلة الجهاد وأن يبذل نفسه، وهذا هو القدر المتعين، احفظوها يا إخوة؛ لأن المسألة دقيقة، القدر المتعين على كل أحد الآن هو أن يبذل نفسه وأن يكون مستعدًا للحاق بالمجاهدين، وأن يأتمر بأمر الجهاد والمجاهدين، فإن قيل له تعال والجهاد محتاج إليك، وجب عليه، وإن قالوا له اقعد خلاص، أنت أبحث عن الأنسب لك، ساحة أخرى، أو ابحث عن عمل آخر تنفع به المجاهدين، يأتمر بالأمر.

أما هؤلاء الملايين الذين هم من قومنا ومن أمتنا، الذين يمشون كالبهائم، يخرجوا في الصباح ويروحوا في العشية، كل عمله ثمان ساعات في النهار، ثم في الليل يكون كالجيفة النائمة، جيفة ملقاة على الفراش ويمارس حياته البهيمية والحيوانية ولا يدري عن جهاد ولا عن هجرة ولا على إسلام ولا على الطواغيت ما عملوا، ولا عفسوا على المصاحف، ولا عذبوا المسلمين، لا يشعر بالكلام هذا، ولا يهمه أصلًا، ولا باكي.

هذا مقصر لا شك أنهم مقصرون واقعون في كبيرة من الكبائر، ترك الجهاد المتعين كبيرة من الكبائر {إِلا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلا تَضُرُّوهُ شَيْئًا}

{قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا} هذه الأشياء الثمانية إن كانت {أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ} المقصود هو الجهاد في سبيل الله، وذكر الله ورسوله هي كالتوطئة {أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ}

فأشار إلى أنهم فاسقون بهذا.

ترك الجهاد المتعين يصرح بها العلماء في الكبائر، والجهاد يتعين مواضع ثلاثة أو أربعة أو خمسة حسب ما رتبه العلماء، إذا عُين الإنسان بنفسه من قيادات الجهاد، استُنفر الإنسان بنفسه لحاجة الجهاد إليه، أو تعينت الحاجة فيه وعرفها هو، تعين عليه، حتى لو لم يستنفره أحد، أنا مثلًا إنسان مسلم عربي عايش في الإمارات، عرفت أن المجاهدين في أفغانستان محتاجين لخبير في جانب معين، ولا يوجد عندهم، وأنا هذا الخبير، أنا عندي

هذه الخبرة، أعرف هذا العلم، عندهم أجهزة والكترونيات وكذا يستطيعون يضربون بها العدو، أجهزة تصنت وأجهزة تشويش على هذه الجاسوسيات وحتى إنزالها مثلًا، وأنا عندي هذه الكفاءة وأستطيع أعمل هذا.

المجاهدين عندهم أجهزة، ولا يستطيعون أن يشغلونها لأنه لا يوجد عندهم من يفهم في الأمور هذه، وعلمت أنا بهذا، يجب علي أن أنفر مباشرة، جري، ولو لم يستنفرني أحد، ولا أحد شعر بي، تعين علي؛ لأني علمت التعين، هذا من مواضع التعين.

كذلك إذا نزل العدو في العقر، فهذه المسألة التي كنا نتكلم عليها، نزل بأرض المسلمين فيتعين على من قرب دفعه وهكذا حتى تحصل الكفاية.

إذا حضر الإنسان الصف وجب عليه، إنسان ماشي هكذا، وجد الجهاد أمامه والحرب قامت فيجب عليه أن يكون مع المسلمين، لا يقول أنا كنت آتي أسلم على أخي هنا وماشي، لا ينفع، أنت أتيت والحرب قامت يجب أن تحضر.

هذه مواضع يتعين فيها الجهاد، يتعين الجهاد أيضًا بتحرير أسارى المسلمين، هذا موضع لم يذكره الكثيرون، ولكن ذكره البعض وهو صحيح، لتحرير أسارى المسلمين يتعين الجهاد، الآن من أحد أسباب تعين الجهاد على المسلمين تحرير أُساراهم، من يحرر الأسرى؟ من يحرر إخواننا الذين في كوبا وإخواننا الذين في باغرام وإخواننا الذين في أفغانستان وفي العراق، مليئة العراق، الأمريكان عندهم 11 ألف، من يحررهم هؤلاء؟ في كل البلاد أيضًا من يحررهم؟ واجب على المسلمين أن يجاهدوا في سبيل الله لتحريرهم، كيف يقولوا فرض كفاية؟ جهل عظيم هذا، لا يوجد فرض كفاية، ولكن أنا أقول ما هو القدر الواجب على كل إنسان، هذا فقط حاولوا تدققوا فيه وتفهموه تنحل عندكم المسألة، والله أعلم.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

الدرس الثالث

" الابتلاء والاختبار والامتحان والفتنة "

بسم الله الرحمن الرحيم

تكلمنا عن الدين، وقلنا من الأخطاء التي تقع في الدين أن يُنظر إلى الدين –هذه وقع فيها بعض الحركات الإسلامية وبعض المفكرين والمثقفين– أن ينظر إلى الدين على أنه برنامج لحياة سعيدة –كما عبرنا– والحياة السعيدة بمفهومهم أن هذا الدين نستغله لكي نحيا حياة جيدة، كي تعيش الإسلام على أنه شيء جميل، وهو جميل بلا شك، ولكن هذا ليس هو المعنى الأساسي، المعنى الأساسي هو دين الله –سبحانه وتعالى– وهو مجموعة التكاليف والأوامر والنواهي، التكليفات الشرعية التي ابتلانا الله وامتحننا الله واختبرنا الله –سبحانه وتعالى– بها، حيث أمرنا بالخضوع لها وتطبيقها والعمل بها. فهو عبادة لله –سبحانه وتعالى–، لبّه هو عبادة الله، وهو الذلة، كمال الذلة وكمال الخضوع لله –سبحانه وتعالى– والانقياد لأمره ومتابعة رسله.

فمن الأشياء أيضًا في فهم معنى الدين وشرحه أن كثير من الناس... تعرفون طبعًا قضية العنف والإرهاب وكذا، والدين دين التسامح ودين الرحمة، النظر إلى الدين من جانب واحد، لا شك أنه دين التسامح، ولا شك أنه دين السلام، ولا شك أنه دين الرحمة، لكنه أيضًا دين الحرب، ودين الجهاد الذي تسمونه أنتم عنفًا، جاء الإسلام بعنف مشروع وهو الشدة على الكفار وقتالهم وقتلهم وذبحهم، فأين هذا؟ لماذا لا تذكرونه؟ هذا عادة لا يكون من سوء الفهم، هذا يكون عادة من الغرض، مقصود وغرض عند أصحابه من الزنادقة وأمثالهم الذين يحاولون تصوير الإسلام على أنه دين جمالي دين رقة ورحمة! وهو ليس كذلك، هذا دين الله فيه شدة الرحمة، وفيه شدة العذاب أيضًا على الكفار وعلى مستحقيه، يعطي كل أحد وكل شيء حقه وما يستحقه من عنف أو لين أو ما يستحقه من حكم، هذا دين الله –سبحانه وتعالى– ففيه الرحمة لمن يستحق الرحمة، وفيه السلام وقد يكون السلام هو المراد والمحبوب لله –سبحانه وتعالى– والأرضى، السلام للمسلمين ومع من يدخل في هذا الدين أو تحته أو في أمانه أو فيمن يسالمه، وفيه القوة والشدة والعنف والقسوة والدماء والأشلاء، هذا كله موجود في الدين، قال –تعالى–: {أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ} {أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ}

جاء الله –سبحانه وتعالى– بالأمر بالبراءة من الكافرين ومن المنافقين، وموالاة المؤمنين، وأمر بقتال الكفار وأصناف الناس التي جاءت الشريعة بقتالهم.

فإذن، نحن لا بد أن تكون هذه المفاهيم عندنا واضحة.

كذلك أيضًا من ضمن الفرعيات التي ترد علينا في خطاب الكفار لنا وحربهم الإعلامي علينا أن يحاولوا يشوهوا صورة الدين ويشوهوا صورة الإسلام بمجموعة من الحجج التي يستعملونها، حجج داحضة في الحقيقة كقولهم مثلًا: أن هذا الإسلام دين العنف، دين الإرهاب، دين ضد حرية المرأة فيه عنجهية وفيه تخلف، وفيه عدم احترام لحقوق الإنسان أو حقوق المرأة، فهذه كلها محاكمة للإسلام الذي هو دين الله –سبحانه وتعالى– إلى أهوائهم هم وإلى خزعبلاتهم وسخافاتهم وأفكارهم الشيطانية، فهذا كله بالنسبة لنا لا يساوي شيء، تحت أرجلنا كله، الحق –كما قلنا– هو ما أحقه الله –سبحانه وتعالى–، والدين هو دين الله –عز وجل– ما جعله الله دينًا وارتضاه لنا دينًا فهو ديننا، الذي نتدين لله –سبحانه وتعالى– به، ونحن عبيد الله.

من الشُّبه أيضًا يقولوا: تلجأ الناس إلى هذا الدين وإلى الإسلام وإلى التدين بصفة عامة –تلاحظوا هذا في خطابات الزنادقة والمحللين دائمًا– يلجؤون إليه بسبب المشاكل الاقتصادية، كثير من هؤلاء الشباب يلجؤون إلى الجهاد ويلجؤون إلى التدين وإلى الحركة الإسلامية بسبب الظروف الاقتصادية! ويأتوا هم بدراسات مبنية على إحصاءات ونظر واستبيانات واستطلاعات، تبين أن أكثر المتبعين للحركة الإسلامية وأكثر شبابها وأفرادها وكذلك الحركة الجهادية على وجه الخصوص أنهم من الطبقات إما المتوسطة وإما الضعيفة في المجتمع اقتصاديًا، فيجعلون هذا من باب أنهم يحاولوا ينفروا عن الإسلام، يجعلوا أن غرض هؤلاء الأفراد الذين انتسبوا إلى الإسلام وتدينوا واتبعوا الحركة الإسلامية هم غرضهم اقتصادي، ناس لا تجد وفي جهل وفي فقر وناس لا تجد حلول إلا الذي يشبع رغبتها في التحدي، رغبتها بالخطب الرنانة، بالدين، الدين يملأ الفراغ، فطبعًا هذا كله زندقة وكفر.

نحن نرد عليهم أن هذا من نعمة الله –سبحانه وتعالى– على الفقراء والضعفاء أن جعلهم أكثر تهيؤًا وأكثر استعدادًا وأكثر خلوًا من الموانع ومن العوائق ومن العلائق بحيث يكونوا أقرب إلى اتباع الدين، واتباع الحق، وهذا فرق لما جاوب أبو سفيان عن تلك الأجوبة التي أفادتها وعلق عليها، قال له هرقل: سألتك أأشراف الناس

اتبعوه أم ضعفاؤهم فزعمت أن ضعفاؤهم اتبعوه، وهم أتباع الرسل. فهذه علامة استدل بها، علامة على أنه رسول حق فعلًا. من ضمن مجموعة العلامات التي يستدل بها.

فأتباع الرسل هم الضعفاء، وجرت سنة الله مع الأنبياء جميعًا والأقوام لما أرسل الله إليهم الأنبياء والمرسلين أن المترفين والسادات والكبراء والأشراف ما يؤمنون في الغالب، فإن آمنوا منهم قليل في بعض الحالات فهو قليل ونادر؛ السبب في ذلك واضح جدًا، لأن الأشراف والسادة والرؤساء والملوك ورؤساء الأقوام والمترفون الذين مثالهم فرعون وقارون وهامان، هؤلاء عندهم عوائق كثيرة تعوقهم عن الاستسلام لله -سبحانه وتعالى- والخضوع والذلة لأمر الله -عز وجل-، ومتابعة الرسل، عندهم أموالهم وعندهم جاههم، وعندهم سلطانهم، ويخافون أن يفقدوا هذه المكاسب التي بأيديهم، بخلاف الفقير المسكين الضعيف ليس عنده ما يخسره، فإذا جاءه الحق وعرض عليه هكذا بسيطًا فإنه يتبعه؛ لأنه ليس عنده عوائق.

أما المترفون والسادات والكبراء فإنهم يعرفون الحق ولكن لا يتبعونه؛ خوفًا على مكاسبهم الاجتماعية والاقتصادية وغيرها، هذا طبيعي، وهذا ممتد ومستمر إلى يوم القيامة. وهم أتباع الرسل هؤلاء الضعفاء، الضعفاء هم أتباع الرسل؛ لأن الله -سبحانه وتعالى- منَّ عليهم وهيئهم، جعلهم أكثر تهيئًا كما قلنا أكثر استعدادًا أكثر قابلية لأن يتبعوا رسل الله -سبحانه وتعالى- ورسالات الله -عز وجل- ويعملوا بها، هذه منة من الله -سبحانه وتعالى- عليهم.

فليس عيب أن الدعوة يتبعها الضعفاء.

[**انقطاع**] يقصد بالمصطلحات الأربعة، الألفاظ الأربعة: الرب، والدين، والعبادة أو العبودية، والطاغوت، إن لم أكن مخطئًا.

أحد الحضور: ما اسم الكتاب يا شيخ؟

الشيخ: المصطلحات الأربعة.

أحد الحضور: كم صفحة يا شيخ؟

الشيخ: ممكن يكون في ستين صفحة.

(الابتلاء والاختبار والفتنة والامتحان)

نحن تكلمنا عن الدين، قلنا الدين هو مجموعة تكاليف، هذه التكاليف التي كلفنا الله -سبحانه وتعالى- بها فيها نوع مشقة، التكليف هو طلب ما فيه مشقة أو إلزام ما فيه مشقة، قلنا أن المشقات منها كبير ومنها صغير، والله -سبحانه وتعالى- إذن ابتلانا بهذا الدين، قال الله -تعالى-: {إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ} خلقناه لنبتليه، وهذه جملة نبتليه في موضع الحال، يعني خلقناه مبتلين له، أو مبتلينه، مبتلين إياه، فالله -سبحانه وتعالى- خلقه وهو يريد أن يبتليه، أن يختبره، وأن يمتحنه، بماذا اختبره؟ اختبره بالتكاليف؛ لينظر الله -سبحانه وتعالى- وليستخرج في عالم الشهادة عبوديته، أو تمرده على الله ورفضه لعبادة الله -سبحانه وتعالى- هذا الابتلاء والاختبار والامتحان.

التكاليف هذه -كما قلنا- الامتحانات هذه والابتلاءات هي التكاليف، منها الشاق ومنها الخفيف، في حال العافية وحال السلامة وحال الرخاء وحال الخلو من المحن، الناس كثير من الناس تدخل في الدين وتبذل طاعة الله -سبحانه وتعالى-، لكن إنما يتميز العابدون لله -سبحانه وتعالى- حقًّا في وقت الشدائد ووقت الامتحان ووقت الابتلاء، إذا وُضعوا على هذه المحكات فإنه يتميز الخلق، كما قال الله -تعالى-: {مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ} فيه إشارة إلى أن الله -سبحانه وتعالى- (وهو كذلك) يعلم الغيب، يعلم حالهم لا يحتاج أن يمتحنهم لو الأمر متعلق بعلم الله، لكن الله -سبحانه وتعالى- أراد أن يظهر هذا إلى عالم الشهادة، الله -سبحانه وتعالى- لا يعذب أحدًا إلا على ما ظهر منه، إنما يعاقب العباد أو يثيبهم على ما تحقق منهم في عالم الشهادة، الشيء الذي ظهر منهم في عالم الشهادة، عالم الغيب هذا يعلمه الله -سبحانه وتعالى- استأثر به، لكن عالم الشهادة يظهره الله أمام الخلائق.

فالله –سبحانه وتعالى– لا يعذب أحدًا إلا على ما ظهر منه في عالم الشهادة. لا يعذب أحدًا بعلمه الغيبي، والله أعلم.

فالمقصود أن الله –سبحانه وتعالى– خلق الإنسان ليبتليه ويكلفه، وجعل محل الابتلاء هي هذه الدار الدنيا هي دار ابتلاء ودار امتحان ودار اختبار، تبدأ فيها مرحلة امتحان الإنسان من مرحلة تكليفه أن يبلغ العقل، يبلغ البلوغ الذي أنيط به التكليف، وهو مرحلة تهيؤ العقل بشكل مناسب لأن تناط به التكاليف، يخاطب بالأحكام من لحظة بلوغه إلى أن يموت الإنسان عاقلًا تنتهي فترة الاختبار، تسحب منه ورقة الامتحان، ويُنظر بعد ذلك إلى صحيفته وفي إجاباته هل أحسن الإجابة أو لم يحسن. هذه فترة الدنيا فترة الامتحان وفترة الاختبار.

الامتحانات أحيانًا تكون شاقة وصعبة، وكما قلنا امتحان الجهاد وامتحان الهجرة وبعض هذه، امتحان أن الله –سبحانه وتعالى– يسلط علينا عدوًا ويسلط علينا طواغيت؛ لينظر الله –سبحانه وتعالى– ماذا نعمل، فلا يُعترض على الله –عز وجل– أن كيف اختبرتنا بهذا، نحن نريد نعيش في سلام وكذا، نحن عبيد الله لا يُسأل الله عما يفعل ونحن العبيد نُسأل. {لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ} الله –سبحانه وتعالى– هو خالق الخلق، وهو مدبرهم، وهو ربهم وهو مالكهم، يفعل ما يشاء فيهم، لو عذب أهل سماواته وأرضه لم يكن ظالمًا لهم ولا يسأله أحد، فالله –سبحانه وتعالى– أحيانًا يختبر العباد بشيء مهم.

من الأمثلة التي ضربتها الشريعة وجاء بها الرسل، كلهم جاؤوا بهذا المثال وهو ليس مثال ولكن هو أشبه بالمثال لأنه لم يأتِ بعد، لكن هو واقع يعني سيأتي، وهو: الدجال، أشهر مثال للفتنة الكبيرة والامتحان الكبير هو اختبار الدجال.

الرسل كلهم حذروا أقوامهم منه (ما من رسول إلا حذر أمته من المسيح الدجال) قاله النبي ﷺ، فالمسيح الدجال هذا مثال كبير للفتنة وللامتحان والاختبار الذي يأتي كبيرًا أحيانًا على الناس، ولكن لا أحد يعترض ويقول: كيف امتحان، وليش يُختبر فينا هكذا. هذا معناه سقط من البداية رفض يدخل الامتحان، الله –سبحانه وتعالى– لا يُسأل عما يفعل؛ ولهذا نحن العبيد أول شيء نحن نعترف بأننا عبيد لله –سبحانه وتعالى–

مستعدون للقيام بأي تكليف الله -سبحانه وتعالى- يكلفنا به نحن نقول: سمعنا وأطعنا، نحن عبيدك يا الله، نعبدك، ونشكرك، ونصبر لأمرك، وقضائك، وحكمك، ولا نخرج عن حكمك، وعن أمرك، نطبق ما استطعنا مما تأمرنا به ما استطعنا إلى ذلك سبيلًا، ما قدرنا وما وسعنا، فإن عجزنا رجونا عفوك ومغفرتك، هكذا الإنسان ملتزم، إذا جاءه تكليف كبير نستعين بالله ونطبق، إذا جاءه تكليف صغير نطبق، نفس الشيء، نحن عبيد الله -سبحانه وتعالى- في كل حين.

الدجال هذا مثال سريع، الدجال يبعثه الله -سبحانه وتعالى- في وقت من الأوقات عندما يشاء وهو في آخر الزمان ومن علامات الساعة الكبرى، يخرج المسيح الدجال، خلق من خلق الله -عز وجل- هذا المسيح الدجال، أعطاه الله -سبحانه وتعالى- مجموعة من القدرات؛ ابتلاءً للعباد، لا يقال: كيف هو، ولماذا، وهو إنسان أو غير إنسان، هذه مباحث كلها لا طائلة تحتها، لكن هو مخلوق من خلق الله -سبحانه وتعالى- أعطاه الله -سبحانه وتعالى- قدرات معينة فتنة للعباد واختبارًا، وجعلها من أعظم الاختبارات والامتحانات التي تمر على البشر من لدن آدم إلى آخر الدنيا، ما يمر عليهم فتنة أشد من المسيح الدجال، صرح بها نبينا ﷺ، المسيح الدجال يخرج يوم يأذن الله -سبحانه وتعالى- بخروجه، يأمر الناس بعبادته هو، المسيح الدجال يدعي الألوهية ويزاحم الله -سبحانه وتعالى- في ربوبيته وإلهيته، يدعي الألوهية ويدعو الناس لعبادته هو، لذات نفسه.

فينقسم الناس، مع أن صفاته يتضح فيها جدًا أنه عاجز لا يكون إله؛ لأنه أعور العين اليمنى، كأن عينه عنبة طافئة، وعليه علامة واضحة الله -سبحانه وتعالى- جعلها هكذا واضحة للعباد كلهم، مكتوب على جبهته كافر، يقرأها كل مؤمن، يقرأها الناس المؤمنين، ومع هذا كثير من الناس الذين يخرج فيهم ما ينتبهوا لهذا ويغترون ببعض المزايا والغرائب التي عنده والخوارق والأشياء التي تدل على قدرات، فيتبعونه ويمشون معه فيكفرون طبعًا ويسقطون في الامتحان وينتهوا إلى الجحيم، نسأل الله العفو والعافية والسلامة.

هذا المسيح الدجال هو أكبر فتنة، وهو أوضح مثال للدجاجلة على مر بتاريخ البشرية كلها، ومر هذه الإنسانية كلها من لدن آدم إلى آخر عمر الدنيا. أكبر مثال للدجاجلة والفتن والابتلاءات الكبيرة؛ لأن هذا الرجل يمر على القرية فيأمرهم أن يؤمنوا به ويتبعوه، فيرفضون ويكفرون به، فيأمر الأرض أن تجدب ويأمر

السماء أن تمسك يعني ما تنزل القطر، ويأمر القرية فتتبعه كنوزها لا يبقى شيء لهم ثمين إلا ويتبعه ويمشي كيعاسيب النحل، ويبقوا هم وراءه في حال سيء جدًا وكرب عظيم لكنهم كفروا به، تمسكوا بعبودية الله – سبحانه وتعالى– وحده لا شريك له.

ويمر على القرية الأخرى فيدعوهم على الإيمان به واتباعه، فيتبعونه فيأمر السماء فتمطر، ويأمر الأرض فتخرج نباتها على أزهى صورها وأحسنها، كل هذا ابتلاء من الله –سبحانه وتعالى–؛ لأن الله –سبحانه وتعالى– أقدره هذه القدرات، ولما يقول للسماء أمسكي فتمسك، ولما يقول لها أمطري تمطر، جعل هذه الأشياء منقادة له؛ فتنة للعباد.

وهو شرير مجرم مدعي الألوهية يدعو الناس إلى أن يعبدوه، فالناس يصبح في ضيق شديد هؤلاء الذين كفروا به، والناس الذين يؤمنون به ويتبعونه يكونوا في بحبوبحة، بحبوبحة تغدوا عليهم سارحتهم وتروح، نوقهم وبقرهم ومعيزهم تصير ضروعها كبيرة والحليب... فتنة للناس كبيرة. لكن أمره بسيط، نهايته قريبة هو يبقى أربعين يومًا، يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، ويوم كبعض أيامكم، فتنتهي.

تنتهي فتنتهم، وينزل عيسى بن مريم ثم يقتله عيسى –عليه السلام– وربح من ربح، وخسر من خسر، انظر هذه مدة بسيطة تقيسها أنت سنة وشهر وأسبوع وزد عليها سبعة وثلاثين يوم، احسبها في النهاية تكون سنة وشهرين، شيء بسيط، فتنة مرت علينا، نحن عندنا الأمريكان هنا داخلين أفغانستان سبع سنين! يعني سنة ونيف فيها هذا كله!! مدة الدجال وفتنته، ولكن انظر كيف ينقسم الخلق وهو يطوف الأرض كلها لا يبقى موضع إلا ويدخله، وينقسم الناس قسمين، إلا مكة والمدينة حفظهم الله –سبحانه وتعالى– وحرزهم منه ومنعه قدرًا وكونًا منه، لا يستطيع أن يدخلهم أبدًا، يأتي ليدخلهم فتصده الملائكة فلا يستطيع.

فهذه فتنة عظيمة أخبرنا بها النبي ﷺ وأخبر بها الأنبياء السابقين أممهم كذلك؛ تحذيرًا وتنبيهًا، وأيضًا من باب ضرب المثال لجنس الدجاجلة، وجنس أسباب الابتلاءات والفتن والامتحانات الكبيرة، وإلا نحن لو نظرنا إلى الواقع الذي نعيشه الآن ولو نظرنا أيضًا إلى التاريخ لوجدنا دجاجلة كثيرين خرجوا، أمريكا الآن هذه مثال

للدجال، هذه مثال صغير تعتبر أيضًا على كبرها، أمريكا هذه يقولوا كبيرة وأكبر قوة في التاريخ، هي في النهاية بجانب الدجال لا تساوي شيئًا، الدجال قدراته خارقة.

فأمريكا هذه مثال للدجال الآن، تدخل أمريكا للعراق فينقسم الناس، ناس يتبعوها ويكونوا معها، لماذا يتبعوها؟ رضا بالحياة الدنيا، واستعجالًا بالحياة الدنيا، وطلبًا واختيارًا ورضاءً وقناعة بالحياة الدنيا، ما عندها من الدولار وما عندها من الفلوس وما عندها من خدمة وما عندها من ضرع وزرع، حتى كثير منهم ربما غير مقتنعين بأمريكا هذه، وفيه الذي عنده قناعات معينة من خلال الثقافة الأمريكية، لكن كلها راجعة في النهاية إلى استحباب الحياة الدنيا على الآخرة، والرضا بالحياة الدنيا واختيارها وتفضيلها على الآخرة. فتجدهم يتبعون أمريكا، وطوائف قليلة جدًا -دائمًا أهل الحق هم القلة- هم الذين يكفرون بهذا الدجال ويحاربونه، فهذا هو الحاصل في العراق وفي أفغانستان في أي مكان حيثما نزلت الدجاجلة، وقبلهم الاستعمار الإنجليزي والفرنسي والإيطالي وغيرهم، وقبلهم التتار -مثلًا- لما هجموا على أمة الإسلام قديمًا على المشرق الإسلامي هنا واكتسحوا دولة الخلافة العباسية وأسقطوا الخلاف سنة ستمئة وستة وخمسين، فكانت فتنة عظيمة جدًا جدًا.

تصوروا أن جماعات كبيرة جدًا من العلماء في ذلك الوقت كان فيه فلاطحة من العلماء أسراب دخلت مع التتار! دخلوا مع التتار، واقرؤوا (البداية والنهاية)، و(الكامل) لابن الأثير في هذه السنين بالذات، طبعًا هم استمروا في فتنتهم مدة طويلة، هم هجموا عدة هجمات قبل سقوط الخلافة ثم وقفوا مدة ثم هجموا لما جاء هلاكو الذي أسقط الخلافة ثم بعد إسقاطهم خلافة بغداد مشوا إلى الشام وسيطروا على معظم الشام، وكادوا يأخذون بقية الشام، ومصر متجهين إليها، فسخر الله لهم قطز وبيبرس وقادة المسلمين السلاطين والمماليك وغيرهم ومن معهم من الفرسان والأبطال والعلماء والأئمة الذين وقفوا معهم، شيخ الإسلام بن تيمية كان من أبرز العلماء الذين وقفوا مع هؤلاء الطائفة المجاهدة وقفة عظيمة، فالله -سبحانه وتعالى- نصر المسلمين عليهم، وإلا كانت فتنتهم فتنة كبيرة جدًا جدًا.

ودخل معهم خاصة بعد سقوط الخلافة في هذه المرحلة التي سقطت فيها الخلافة وما بعدها، دخل معهم جماعات كثيرة جدًا من العلماء، دخلوا في حكمهم ودخلوا معهم في وظائفهم وصاروا يفتون لهم ويعملوا معهم

ويساعدوهم، فهذا شيء فضيع جدًا حتى من العلماء، أما العامة فحدث ولا حرج، هكذا الناس ينقسمون في وقت مجيء الدجال ينقسم الناس.

هؤلاء الذين أسلموا وصبروا، يعني آمنوا بالله -سبحانه وتعالى- وكفروا بهذا الطاغوت وبهذا الدجال، ضاعت عليهم دنياهم، وخسروا كثير من المتع، ضحوا بدنياهم، لكن هذه التضحية هي مرادة لله -سبحانه وتعالى- محبوبة لله -عز وجل- أرادها الله منهم وأحبها منهم، أحب أن يبذلوا دنياهم في سبيل الله -عز وجل- وأن يظلوا بتوحيد الله وبعبودية الله وحده لا شريك له، والإيمان بالله -سبحانه وتعالى- واتباع رسله والتحاكم إلى شريعته وترك ما سواها.

هذا الامتحان لا شك أنه امتحان كبير وقاسٍ لدرجة كبيرة، ولكن هذه هي الامتحانات، على المسلم المؤمن أن يكون مستعدًا دائمًا للابتلاء والامتحان وشعاره دائمًا سمعنا وأطعنا، لا يقول: لماذا وكيف ولماذا أنا فقط. ولا يعترض على اختيار الله -سبحانه وتعالى- وحكمته، وعلى قضاء الله -سبحانه وتعالى- وحكمه، لا يعترض، بل يخضع ويذل وينقاد، ويكون في صف الله -سبحانه وتعالى-، هذه كلها الامتحانات والاختبارات المراد منها من يكون مع الله ومن الذي يمشي مع أعداء الله.

كما قلنا أن الأمريكان -مثلًا- الآن هم عبارة عن دجال صغير.

خلاصتها -يا إخواننا- أن الحياة الدنيا هذه كلها هي دار فتنة وابتلاء وامتحان واختبار، الله -سبحانه وتعالى- خلقنا فيها للامتحان والاختبار، والاختبارات هذه بعضها يكون شديد، قاسي جدًا جدًا فعلينا أن نستعد لهذا، نحن ما خلقنا إلا له، خلقنا لكي يبتلينا الله ويمتحنا ويختبرنا، ونسأل الله -سبحانه وتعالى- العافية دائمًا، شرعت لنا الشريعة وأمرنا النبي ﷺ واستحب لنا وبين لنا ومدح هذا الأمر وهو أن نسأل الله دائمًا العافية، ونطلب العافية، ولا نجرب الله، ولا نجرب أنفسنا، لا تقل: أنا قوي وما يضرني شيء. لا، ابتعد عن المصائب وابتعد عن الابتلاءات والفتنة، العافية أن يعافيك الله -سبحانه وتعالى- ولا يضعك على المحك، لا يختبرك ولا يمتحنك ولا يبتليك، يبعد عنك أسباب الابتلاء والمحن، وإن كان كل إنسان لا بد أن يصيبه البلاء، لا بد، مبتلى الإنسان، لكن أن يعافيه الله -سبحانه وتعالى- بمعنى يخفف عليه ويبعد عنه الابتلاءات الكبيرة والشرور

والامتحانات والفتن، فسؤال الله العافية هذا من الأدعية المهمة، وجاء في بعض الأحاديث أنه ليس شيء أحب أن يسأله من العافية ببعض الألفاظ: اليقين والعافية، فدائمًا نسأل الله -سبحانه وتعالى- اليقين والعافية، أن يرزقنا الله اليقين وأن يعافينا.

لكن إذا وقع الابتلاء ووقعت الشدة، علينا أن نصبر ونستعين بالله -سبحانه وتعالى- وحينئذ ينزل الصبر على الذي يستعين بالله، فيه حديث: (ومن يتصبر يصبره الله) يتصبر ويستعين بالله يصبره الله -سبحانه وتعالى- ويعينه ويقويه؛ لأن الإنسان ضعيف، ما يقدر على شيء إلا أن يقدره الله، إلا أن يعينه إلا أن يصبره الله، إلا أن يهديه الله، إلا أن يوفقه الله، وينصره الله. فهذا ما يتعلق بالامتحانات والابتلاءات.

الفتنة -يا إخواننا- اعلموا أن الفتنة تأتي بمعنى الابتلاء والاختبار والامتحان، وتكون هذه بمعنى هذه.

الفتن وواحدها الفتنة أكثر استعمالها جرى -والله أعلم- هو ما جرى في لسان الشرع والسنة، أكثر استعمالها ورد على الابتلاءات والاختبارات والامتحانات التي تكون في جانب الشر، والفتنة في لسان الشرع في القرآن بالذات قال العلماء وقعت على معاني متعددة جاءت في عدة معاني:

- جاءت بمعنى الصرف عن الدين.

- وجاءت بمعنى الاختبار والامتحان المجرد، مطلق الاختبار والامتحان.

- وجاءت بمعنى العذاب {ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ} {إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ} عذبوهم.

- الاختبار والامتحان جاءت في آيات {وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ} {لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ} {وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً} اختبارًا وامتحانًا، في القرآن تكررت كثيرًا كلمة فتنة.

- وجاءت بمعنى الشرك والكفر {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ} وتحتمل أيضًا في هذه الآية معنى الصرف عن الدين والصد عنه؛ لأنهم قالوا أن أصل الفتن هو الصرف، ومنه فتنة الذهب: تنقيته وتصفيته من الشوائب عندما يحرق بالنار ويُغلى ويذاب ويصفى من الشوائب ثم تُعاد صياغته.

آية: {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ} تحتمل المعنيين، وهذا كل مذكور في التفسير أيضًا، ذكر السلف المعنيين؛ ولذلك بعض المفسرين جمع بينهما، حتى لا تكون فتنة، حتى لا تكون كفر وشرك، أي: ظاهرٌ غالب تقع منه الفتنة للمؤمنين بالصرف عن دينهم؛ لأن {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ} ليس المقصود القضاء على الكفار بالكامل، بدليل أن الكفار يبقوا تحتنا أهل ذمة، ولكن المقصود حتى لا تكون فتنة، يعني الكفر والشرك ظاهرٌ له كلمة، لا بد أن يُضرب حتى يكون تحتنا.

الكفار إذا غلبوا وكان لهم تمكن وسلطان يفسدون فسادًا عظيمًا، يفسدون الدين والدنيا، وهذا الواقع الآن.

فالفتنة لها معاني يا إخواننا، لكن أنا أحببت أن أنبه على معاني في الفتنة، أولاً أن الإنسان عليه أن يفر من الفتن؛ لأنه جاءت الشريعة عندنا بالتشريع والأمر بالفرار من الفتن، باب من الإيمان الفرار بالدين من الفتن، يفر بدينه من الفتن (يوشك أن يكون خير مال المؤمن غنم يرعى بها شعث الجبال، يفر بدينه من الفتن) أو كما قال ﷺ.

الفرار بالدين من الفتن هذا مطلوب في الشريعة، إذا وقعت الفتن وحلت الفتن حاول تهرب، لا تواجه الفتنة، لا تدخل فيها ولا تقربها، ابتعد عن الفتنة.

أحد الحضور: يا شيخ، نحن نعتبر فارين من الفتنة؟

الشيخ: إن شاء الله، لا شك أن الإنسان إذا هاجر وترك هذه البلدان وغيرها وانضم إلى طائفة مجاهدة مهاجرة مالكة لنفسها مقيمة لحكم الله -تعالى- في نفسها وفيما حولها وفي البقعة التي هي فيها فهذا قمة الفرار من الفتنة. الفتن كثيرة لا شك.

أولًا: يكثر الإنسان من الدعاء أن يقيه الله الفتن، نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن، الظاهر والباطن، الخفي والجلي، الفرار من الفتن أو الهرب من الفتن يعني لا نواجهها ولا ندخل في الفتنة ولا نقاربها ولا نكون عندها -كما قلنا- سؤال الله العافية وطلب العافية، هذا منه، أن تفر من الفتن، يعافيك الله منها، اطلب العافية، واطلب عمليًا وادعُ الله بها، اطلب عمليًا.

كنا مرة في موريتانيا كنا ندرس هناك وكنا في جنوب موريتانيا بعيد جدًا في بلدة هكذا قرية صغيرة، فوجدنا مركز شرطة، غرفة طين عاملين نقطة، نحن كنا قريبين، قال لي أحد الإخوة -كان معي-: امشِ نسألهم -نسألهم عن شيء معين-، قلت: هؤلاء شرطة لا تقرّب منهم.

كنا عايشين حياة عادية أصلًا هناك معنا جوازات ولا أحد يبحث عنا ولكن مهما كان الإنسان يبعد عنها، فقال: أنت ليش خايف؟ فمشى هو إليهم فشدّوه! وأخذت منها درس طبعًا.

بعدين الحمد لله طلبوه وأخذوه لمركز المدينة وصارت شغلة: أنتم من متى هنا ولماذا لم تسجلوا ولماذا لم تأتوا من البداية للشرطة...، فسايرناهم وهربنا بطريقة سلمية.

لكن استفدت منها أن الفتن ابتعد عنها، لا تقل: لا يوجد مشكلة، الشرطة وعادي! ابتعد عن الشر يبعد عنك، هذا مثال لطلب العافية دائمًا، ولا تجرب نفسك، ما استطعت أن تبعد ابتعد، ونحن كذلك في حركتنا هنا إذا استطعت حتى في الحالات العادية ابتعد من الفتن والمشاكل، اطلب العافية، الفرار من الفتن الدينية التي تفسد دين الإنسان من فتن النساء، وفتن الأموال، وفتن المناصب، فتن الكفرة ومبهجاتهم، وزخارف الدنيا وغيرها يفر منها الإنسان عمومًا الفرار من الفتن ومن مفاسد الدنيا الصادَّة عن سبيل الله، يفر منها الإنسان، يفر بدينه، هذه الشريعة حثت عليها جدًا وهذا من الإيمان.

الفتن هذه -يا إخواننا- تقع بأسباب متعددة، تكون الفتن في العلم، والفتن في الدين، وفتن في الفكر والمنهج، فتن في فهم الأشياء في التصورات والتصديقات، فتن لها أسباب متعددة، ولهذا الله -سبحانه وتعالى- كما أمرنا أن نفر من الفتن ونهرب منها ونحاول ألا نقع فيها ولا نواجهها، أين وجدت الفتنة تهرب من الفتنة ما استطعت، أمرنا كذلك ألا نكون فتنة للناس، ألا نفتن الناس، ألا نكون سبب لفتنتهم، قال الله -تعالى-: {رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ}

أمرنا الله -سبحانه وتعالى- ألا نكون فتنة للناس عمومًا، وللقوم الظالمين على الخصوص، ألا نكون فتنة لهم، كيف لا نكون فتنة لهم؟ يعني لا نكون سبب لفتنتهم، وهذا عموم في عموم الناس وإن كان هذه الآيات وردت في القوم الظالمين فلها معنى أخص، ولكن هذا مطلوب في ظل الأدلة وفي مجملها على أن المطلوب من المؤمن

على أن يفر من أن يكون فتنة للناس عمومًا، ما يكون فتنة للناس، لأن الله -سبحانه وتعالى- لا يحب أن نفتن الناس، ويحب العافية، وأمرنا الله -سبحانه وتعالى- أن نسأله العافية، فلا نفتن الناس، يعني لا نكون سببًا لفتنتهم، حتى القوم الظالمين، حتى لو كانوا عدوًا يعني نحاربه، لا نكون فتنة له، كيف لا نكون فتنة له؟

فسرت هذه عند السلف كمجاهد وغيره من السلف {رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} معناها قالوا: لا تظهرهم علينا فيظنوا أننا لو كنا أولياء الله حقًا لنصرنا الله، فيفتتنوا، فيقولوا لو كان هؤلاء أولياء الله لنصرهم الله، فيفتتنوا. تحصل لهم فتنة، هكذا فسرت وفسرت بغير هذا، لكن المقصود المعنى المهم العام أنه فيه تعليم وتلقين من الله -سبحانه وتعالى- لنا أن ندعوه ألا يجعلنا سببًا لفتنة الناس؛ ولهذا نحن نحاول دائمًا أن نبتعد عن أن نفتن الناس بكلمة، بتصرف معين، سواء الناس الذين من أوليائنا وأحبابنا وإخواننا وأهل الإسلام، أو من الخصوم من أهل الإسلام نفسهم، أو من الأعداء من غير أهل الإسلام، نحاول ألا نفتن الناس، بل نحاول دائمًا أن نسهل على الناس طريق الإتيان للحق، طريق أخذ الحق وقبول الحق واتباع الحق، لا نفتنهم عن دينهم، في خطابنا في كلامنا.

مثلًا: عندما تتكلم مع الناس، عليك أن تراعي عقولهم، كما قال سيدنا عبد الله بن مسعود في مقدمة (صحيح مسلم): "ما أنت محدث قومًا حديثًا إلا كان لبعضهم فتنة" وكما قال سيدنا علي -رضي الله عنه- في (صحيح البخاري): "حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يُكذب الله ورسوله؟" ممكن بعض الأحيان تحدث الناس الحديث وبعض الأشياء شرعية صحيحة ولكن الناس ما تستوعبها فيكذبونك، يكذبون ما تقوله، وفي الحقيقة كذبوا الله ورسوله، فلا تفتن الناس ولا توقعهم في تكذيب الله ورسوله، كيف أنت تعظم الله، المفروض تتجافى وتتجنب أن يكذب الله ورسوله بسببك وقدامك.

يعني ما تأتي لقوم تحدثهم حديثًا لا تبلغه عقولهم ولا يستطيعون أن يستوعبوه ولا يعرفونه بمعنى أنهم يجدونه منكرًا، وليس بمعنى أنهم لا يعرفون أنه يجب أن تحدث الناس بشيء يعرفوه، معناها لا تعلموا الناس شيء جديد! لا، ليس هذه. معناها الشيء الذي يعرفونه عندهم بمعنى أنه ليس بمنكر، من المعروف الذي هو بمنكر، ضد

المنكر، ليس من المعروف بمعنى أنه ضد المجهول، انتبه إلى هذا "حدثوا الناس بما يعرفون" يعني بما لا ينكرون هذا المقصود، أتحبون أن يكذب الله ورسوله؟

الفتن تقع -يا إخواننا- في أرض الجهاد وفي ساحة الجهاد وفي العمل السياسي بشكل كثير جدًا، فعلى القيادات وعلى المتصرفين والأولياء والمسؤولين أن يحذروا من أسباب الفتن، مثلًا: تفضيل بعض الناس بالعطاء دون بعضهم، تقريب بعض الناس بشكل معين في الولاية أو في المجالس دون بعض، فيقع فتنة لبعض الناس.

مثلًا: كلمة تقولها أحيانًا تصدر منك لا تنتبه لها فتكون فتنة لبعض الناس، وهكذا التصرف -مثلًا- من إنسان مقتدى به أو منظور إليه لا يفهمه الناس أو لا يعرفون وجهه فيكون فتنة لبعضهم.

هذه الأشياء تقع كثيرًا ويبتلى بها الولاة والمسؤولين فعليهم أن ينتبهوا لها أشد الانتباه؛ لأنه صار عليه تكليف إضافي غير التكليف العادي، لو كان هو إنسان عادي ممكن تكون حريته أكثر أن يتصرف يعني ينام بشكل عادي، يتكلم بشكل عادي، لكن لما كان منظور إليه يجب أن يضبط نفسه أكثر؛ لأن الناس حساسة للأمراء وحساسة للمسؤولين ينظرون إليهم، ويقيمون من خلالهم -مثلًا- جماعتهم أحيانًا، فأنت تمثل جماعة، يقيمون أحيانًا الدين من ورائك أنت، هذا الدين وهذا الإسلام الذي تدعو إليه يقيمون من خلالك، يقتدون بك، الناس متشوفة للاقتداء بالمسؤولين وبالكبراء، فصار هناك تكليف جديد على المسؤول أن ينتبه.

المقصود أن عموم الناس عندهم -هذا في البشر كله وفي طبيعة البشر- عندهم ميل إلى أن يقتدوا بكبرائهم، الكبراء والناس المنظور إليهم وليقال: هذا فلان اقتدوا بهم انظروا كيف يعمل وكيف...

فإذن على المسؤولين وعلى القيادات وعلى كل من يمثل الدعوة والكبار والعقلاء، بغض النظر عن منصب أو غير منصب، ممكن يكون شيخ محترم أو داعية أو رجل كبير أو رجل قديم في الجهاد وفي الدعوة، كلهم عليهم مسؤوليات، هذه مسؤولية ورعاية عليه أن يرعاها، أنه ينتبه ما يكون فتنة لبعض الناس، بكلمة بتصرف...إلخ، يضبط نفسه وينوي بذلك أن يحافظ على دين الناس من خلال اقتدائهم به، وألا يكون فتنة لهم، ويكون حينئذ انضباطه وتحرزه عمل صالح، ليس مقصوده فقط أن يقال عليه أنه ما شاء الله منضبط، هذا لا ينبغي أن ينظر إليه، لكن يغلب الجانب الآخر وينظر إليه، يعني الناس تقتدي به، والناس تحاول تبحث عن عيب، بعض

المتربصين -مثلًا- أو بعض النفوس الضعيفة أو بعض الخصوم الضعيفة أو البعض عندهم مشاحنات يحاولوا يبحثوا له عن شيء أصلاً حتى يغلط فيه فقط، ويا ويلك!

الفتنة بمعنى الفتنة بين الناس والتفريق، هذه أيضًا من معانيها كذلك، ومنها حرب الفتنة، يعني الناس حصل بينهم حرب في حالة الفتنة، حرب الفتنة التي لا يُعرف وجه الحق فيها، ضابطها أنها لا يعرف وجه الحق فيها.

والناس يفتن أيضًا: يصرف بعضهم عن بعض، داخلة في معنى الصرف، قلنا من معانيها الصرف؛ لأنه -مثلًا- يقولوا: رجل فتان.

النبي ﷺ قال: (أفتان أنت يا معاذ؟) تفتن الناس عن الدين، صلى بهم فأطال وهم ناس بسطاء، هذا يخدم طول النهار، ثم يأتي في الليل صلى المغرب وينتظر للعشاء، جاء معاذ متأخر وصلى بهم فأطال جدًا، فغضب منه النبي ﷺ غضب شديد وقال: (أفتان أنت يا معاذ) تفتن الناس عن الدين فهذا مثال نبوي علمنا إياه النبي ﷺ من خلال قصة معاذ هذه، أننا لا نكون فتنة للناس، لا نفتنهم في تصرفاتنا الجهادية، تصرفاتنا السياسية وغيرها، لا نكون فتنة للناس، انتبه جدًا من تنفير الناس من الدين من خلال أخطائنا وأخلاقنا السيئة، لا نفي بالوعد، لا نفي بالعهود، نحلف الحلف الحانث -والعياذ بالله- هذه الأشياء تنفر الناس تنفيرًا عظيمًا، كما في الآية وهي قوله -تعالى-: {وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} حذرنا الله -سبحانه وتعالى-، نهانا أن نتخذ أيماننا دخلاً بيننا بمعنى أن نحلف الأيمان ولا نفي بها، أن نحنث فيها تعمدًا، هذا اتخاذ الأيمان دخلًا بيننا.

{فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا} هذا قدم الإنسان الذي دخل في الإسلام ولما تثبت ولما ترسخ قدمه في الدين بعد فتزل بعد ثبوتها، وكذلك من باب أحرى وأولى الكافر الذي لم يدخل بعد في الإسلام، ويُراد منه ويُرجى منه أنه يدخل ويريد أن يدخل ربما، فلما يأتي ليدخل يراكم أنتم هكذا أخلاقكم، فينصد عن الدين، يراكم أنتم سارقين، متكالبين على الدنيا، مهتمين بالسفاسف، كذب وحلف بالباطل، وتعمد الحنث، والأيمان الغموس، عدم الوفاء بالعهود، عدم الوفاء بالأمانات، خيانات، أيش الدين هذا؟ فينصد، يترك، وتكونون أنتم فتنة له وسبب في

انصداده عن الدين {وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} وهذا وعيد شديد، نسأل الله العفو والعافية والسلامة.

فليتنبه المسلم خاصة أهل الجهاد والدعاة إلى الله -سبحانه وتعالى- والعلماء والقيادات والناس المقتدى بهم عليهم أن يتنبهوا جدًا جدًا إلى هذه المعاني، لا يصدوا الناس عن دين الله بسوء ومقابح أعمالهم، هذه الفتنة.

الفتن أسبابها كثيرة متعددة غير منحصرة، وعلى الإنسان أن يحذر منها وينتبه لها، الفتنة أحيانًا تكون بسيطة جدًا، النبي ﷺ في قصة صفية، سهروا عنده نساءه وكان معتكف آخرهم كانت صفية وكان بيتها في العوالي وبعيدة قليلًا، فخرج...يشيعها يعني يمشي معها حتى تقترب من البيت ويتركها، فأتى اثنين من الأنصار رأوه مع امرأة في الليل، معه امرأة! ماشي وأنت معك امرأة في الليل من يعرف أنها مرتك أو غيرها؟ فناداهم النبي ﷺ قال: (إنها صفية) يعني اعلما أن هذه صفية زوجتي، فطبعًا استعظما الأمر وقالا: والله يا رسول الله ما كنا نشك. أو كما قالا، فقال: (إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما أو في أنفسكما شيئًا) فبين لهم أن هذا الإجراء إجراء وقائي من النبي ﷺ شفقة منه ورحمة بهم، شفقة منه ﷺ وهو الذي وصفه ربه -سبحانه وتعالى- بأنه بالمؤمنين رؤوف رحيم {عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَاعَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} فحرصًا منه وشفقة على أمته وعلى هؤلاء الأنصار وهؤلاء الاثنين أن يبين لهم حتى لا يترك فرصة للشيطان أن يقذف في قلوبهم شيئًا؛ لأن ممكن الآن ما عندهم شيء، ولكن مثلًا يذهبوا ثم يأتي الشيطان يوسوس، وممكن تمشي وأنت عادي طبيعي جدًا، ثم تحصل حادثة أخرى تقول: نعم، معنى هذه التي رأيتها المرة الفائتة إذن هي هكذا! ولهذا على الإنسان أن ينتبه.

قال لهم ماذا؟ قال لهم وقفوا هذه صفية، انتبهتم؟ روحوا، فقط، فهو تنبيه حتى لا يقذف الشيطان في قلوبهم شيئًا لا في الحال ولا في المستقبل، وهذا من تمام شفقة النبي ﷺ بأمته ورحمته بهم وعطفه عليهم وكمال حرصه عليهم ﷺ، وقد يكون طبعًا موقف محرج للأنصار، مساكين هم جاؤوا طبعًا استعظموا هذا الأمر، وقد يكون تعليم للأمة، تعليم لنا نحن، كيف نتصرف في مثل هذه الحالات.

أسباب الفتن كثيرة، رجل من الصحابة وهو عبد الله بن أبي سعد بن أبي السرح، تعرفون أنه آمن ثم ارتد ثم آمن، قصته مشهورة لما جاء واستأمن له عثمان وكذا والنبي ﷺ ما أراد أن يقبل منه في البداية وسكت، وكان عثمان يلح، والنبي ﷺ ساكت، ثم قال النبي ﷺ بعد أن قبل منه في النهاية، قال للصحابة أنا سكتُّ من أجل أن يقوم إليه واحد منكم فيضرب عنقه، قالوا: يا رسول الله، هلا غمزت لنا؟ فقال: (ما كان لنبي أن تكون له خائنة الأعين)

فالمهم عبد الله بن أبي سعد بن أبي السرح روي -عدم صحتها لكن لا بأس نذكرها؛ لأنها ممكن تقع سواء صحت القصة هذه بعينها أو لا، يعني ممكن يقع في الوجود، فيُتأمل ويعتبر- روي أنه... لعله سبب "القشة التي قصمت ظهر البعير" القشة التي قصمت ظهر البعير هو مثال معناه الحاجة الأخيرة، البعير لما تضع عليه الحطب الكثير، وهو يتحمل، يتحمل، يتحمل، وفي النهاية ممكن تأخذ قشة وتحطها عليه ممكن يسقط هو، فيقولوا القشة هذه قصمت ظهر البعير، ليس من قوة القشة هذه ولكن من الذي قبلها، فلعلها هي، مثل الذي أتى للبيت فيجد الطعام مالح شوي فيطلق المرأة، هو لم يطلقها يعني لأن الطعام مالح، بل من الذي قبلها، ممكن المشاكل المتراكمة، لكن السبب المباشر الأخير، أو مثلًا: يقولون الذي يكسر في حطب بالفأس يكسر يضرب، يضرب، يضرب، في النهاية هي أوشكت لو ضربها الضربة الأخيرة ستنكسر، وهو لم يعلم، لا يعلم الغيب، فترك الفأس ومشى، فأتى غيره ضعيف أو طفل، فقالوا: انكسرت! الله أكبر، الدقة الأولى! ساعة يدق فيها، فالمقصود هذه القشة التي قصمت ظهر البعير هو المثال هكذا، على كل حال هو رجع إلى الإسلام وصحابي تثبت له الصحبة؛ لأنه مات على الإيمان وقد رأى النبي ﷺ مؤمنًا.

المهم حصلت له فتنة فيما روي وقيل أنه كان من كتاب الوحي -تعرفون أنه كان من كتاب الوحي- فيقال في هذه الرواية أن النبي ﷺ لما نزل عليه آية {فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ} فيُملِ عليه النبي ﷺ هكذا {ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ} فقال هو -عبد الله بن السرح- تعجب من هذا السياق فقال من نفسه: تبارك الله أحسن الخالقين! فقال له النبي ﷺ: (اكتبها هكذا نزلت) {فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ} فحصلت له منها فتنة، فلما مشى وكفر وارتد، قال أنا الذي أملي عليه القرآن، قلت له هذه الآية فقال لي اكتبها هكذا! انظر كيف، هذه فتنة عظيمة جدًا.

لكن هو بالتأكيد كان فيه أشياء أخرى وليس هذه فقط، غالبًا هكذا.

غالبًا الذين تقع لهم الفتن هو يكون أصلاً –وهذه نقطة ثانية أريد أن أتكلم عليها الفتنة تضر من؟– هو غالبًا أن هذه ليست هي الوحيدة، هو رجل قوي الإيمان واليقين وكذا، وجاءت حاجة أسقطتها! لا، هذا الذي قدمت وقلت قشة قصمت ظهر البعير، هو الغالب أن فيه ظروف معينة، فيه كفار ملقين له شبهات قبلها أو شيء، فلما مشى هناك قال أنا الذي أمليت عليه، وأنا الذي قلت له، ما أقوله يكتبه وهكذا.

حاشا رسول الله ﷺ، بآبائنا هو وأمهاتنا ﷺ، لكن هي الفتن لما تقع للإنسان.

فنريد أن نقول: الفتن تضر من؟

دلت الأدلة –والله أعلم– حسب ما يظهر من الاستقراء من القرآن والسنة أن الفتن –النبي ﷺ قال في الحديث المشهور الذي في الصحيحين: (تعرض الفتن على القلوب كعرض الحصير عودًا عودًا، فأيما قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء، وأيما قلب أنكرها نكتة فيه نقطة بيضاء) فالمقصود أن الفتن تعرض على القلوب كعرض الحصير، تمثيل بالتدريج ونقطة نقطة، محكات كلها، فالقلب الذي ينكر الفتنة يكون أبيضًا سالمًا، والقلب الذي يشرب الفتنة هذه يأخذها تنكت فيه نقطة سوداء، تبدأ الفتن كل مرة تأتي له الفتن فتنقط نقطة سوداء حتى يصبح القلب أسود، لما يسود القلب يتكون عليه نوع من الران، هذا الران وهذا الغين ثم الختم والطبع، والعياذ بالله، يصبح القلب ماذا؟ وصفه النبي ﷺ في آخر الحديث بأنه (كالكوز مُجَخيًا لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا إلا ما أشرب من هواه) فيصبح أنه عاش لا يقبل الهدى.

قلوب العباد، والإيمان في القلب –والعقل واللب هو القلب كما قلنا– العباد تعرض عليهم الفتن فمنهم الذي يسلم ومنهم الذي يتأثر بالفتنة ويمشي، لما تأتي الفتنة تأتي للناس سواء كانت هذه الفتنة عقلية علمية فكرية منهجية مقالية تتعلق بالتصورات والأحكام، أو كانت فتنة عملية، عمل، عراك بين الناس وفتن ومرج وهرج وحروب وهكذا، فلما تأتي الفتن الناس ينقسمون، كيف ينقسمون بناء على ماذا؟ تأمل في هذا وانظر فيه تجد أن فيه أسباب معينة يظهر –والله أعلم– من دلالات القرآن أن الفتنة في الغالب تضر الظالمين، قال الله –تعالى–: {إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ} في ماذا هذه؟ في شجرة الزقوم، في سورة الصافات.

{أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ* إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ* إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ* طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ* فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ* ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ* ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ* إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ* فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ} يظهر من إشارات القرآن...

أحد الحضور: يا شيخ، آخر الحديث (إلا ما أشرب من هواه) ما المقصد من هذا؟

الشيخ: (لا يعرف معروف ولا ينكر منكرًا إلا ما أشرب من هواه) هذا الذي يعرفه أشرب من هواه، إلا الذي أشربه هو وتشربه من الهوى، من هوى نفسه فقط، هذا الذي يقبله، يصبح متبعًا لهواه اتباعًا خالصًا.

فيظهر من إشارة القرآن أن الفتنة تضر الظالمين ضررًا خاصًا، معناها علينا أن نحذر من الظلم، أكبر شيء يجعل الفتنة تضرنا هو أن نكون في موضع الظالم، كما قلنا من أسباب الهداية: تحقيق الحق، والقيام بالقسط، والعدل والإنصاف، ولا نظلم، ونبتعد عن الظلم.

الفتنة تضر الظالمين لما يأتي الإنسان الظالم الذي لا يحق الحق ما يقسط ولا ينصف ولا يقوم بالقسط تضره الفتنة، لكن لو حقق الحق؟ في المثال عبد الله بن أبي السرح لو حقق الحق وأنصف، لكان تريث وتثبت وقال لا، لعلي أنا قلتها فاتفق بطريق الاتفاق والمصادفة، الحمد لله وافقت ما عند الله، وافقت ما نزل.

فأي عيب في هذا؟ ما فيه عيب، حقق الحق وأنصِف، قد يكون كذا لها وجه، محتملة كذا، ومحتملة كذا.

طيب، أنت لماذا رجحت هذا الاحتمال الذي رجحته؟ أين نسفت النبوة؟ هذا محمد ﷺ! نبوته، وكماله، وجلالة قدره، وعظمته، وهذا الصدق، وهذه الأمانة وهذا العقل، وهذه البلاغة وهذه الفصاحة وهذه الكمالات العظيمة المبهرة للألباب أين نسفتها كلها بشيء مثل هذا؟!

فعليه أن يحقق الحق، لكن لو حقق الحق ما تضره الفتنة، لكنه ظَلم فتضره الفتنة {إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ} والآية التي ذكرناها قبل قليل وهي تكررت في موضعين، في سورة الممتحنة {رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}

في سورة يونس في قصة موسى وهارون {وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ}

{فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً}

في آية أخرى {رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} هذه بعدها، نرجع إلى الخلف، أصعب شيء الرجوع إلى الخلف.

يقولون الحجاج كان يتحدى -الحجاج طبعًا مشهور في التاريخ أن الحجاج كان عنده قوة في حفظ القرآن عجيبة، وعنده حاجات أخرى في القرآن عملها مثل التحزيب والشكل والنقط، كلها تنسب إليه، وكان معتني بالقرآن على كل حال، هو جبار وضال- المهم فمرة كان يختبر في الناس كثيرًا بهذه أن يأتي بالآية التي قبلها وليس التي بعدها، التي بعدها هذه لا توجد فيها مشكلة.

وحتى عندنا زمان أذكر حاضر كم مرة المشايخ عندنا في الكتاتيب وكذا هذه كانوا يعملوا فيها مسابقات، تأتي بالذي قبلها وليس الذي بعدها، الحفاظ الذين يكونون متقنين.

المهم الحجاج قال لواحد ائتي بالذي قبلها آية الزمر {أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ}

فقال له: {قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ}

فقالوا: لم يسأل أحدًا بعده.

أحد الحضور: سورتين يا شيخ {وَقَالَ مُوسَى يَاقَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ* فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ* وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ}

الشيخ: وفي سورة الممتحنة آية شبيهة بها فيها: {وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ* رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}

فالله –سبحانه وتعالى– في الموضعين علمنا ولقننا أن ندعوه ألا يجعلنا فتنة للذين كفروا، ألا يجعلنا فتنة للقوم الظالمين، على كل حال، آية يونس أيضًا فيها إشارة إلى أن الفتنة تضر الظالمين، وآية الممتحنة فيها القوم الكافرين، فينتبه الإنسان لهذه المعاني؛ لأن الفتنة إذا جاءت تضر الإنسان إذا لم يكن محققًا للحق، لم يكن معتصمًا بالله، أما الذي يعتصم بالله وبنور الله وبحبل الله ويلجأ إلى الله –سبحانه وتعالى– ويحقق الحق وينصف ويقسط ينجو –إن شاء الله– من الفتن، فتن عامة هذه التي تصيب الناس ولا مناص منها، وهي تحصل كثيرًا سواء –مثلما قلنا– كانت فكرية أو عملية، وإلا الأصل المطلوب من الإنسان أن يهرب من الفتن ويفر منها ويبتعد عن الفتن –كما قلنا في البداية– هذا ما يتعلق بالفتنة، وما أكثر الفتن التي تحصل في الواقع اليومي.

نكتفي بهذا القدر.

سبحانك اللهم وبحمدك نشهد ألا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.

الدرس الرابع

" الدنيا والآخرة والعدل والفضل"

كنا نتحدث عن معاني الدين ومعاني الابتلاء والفتنة والمحنة، والمقصود: تصحيح بعض المفاهيم والتركيز في فهم هذه الألفاظ وهذه الألقاب الشريفة والكلمات الكبيرة الشرعية، فهمها والتركيز على فهم معاني معينة لمواجهة أعدائنا وفي معرفة ما يدور حولنا من أفكار ومناهج والحكم عليها.

من المقدمات الضرورية التي أذكر بها أن الكلام الذي نقوله هو درجات، الكلام ليس له طبقة واحدة أو درجة واحدة، منه كلام نقول هذا حكم الله –سبحانه وتعالى–، كلام مقطوع به في الشريعة أو دلَّ عليه النص الواضح أو إجماع أو ما في حكمه من حيث قوة الدلالة، ومنه أشياء هي محل اجتهاد ومحل نظر فنحن نختار فيها ونرجح ونناقش ونجادل ونحاول نوضح الذي نعتقده، وفي النهاية نقول الله أعلم، فهي مسائل مختلفة، فانتبهوا لهذا، وأي شيء يحتاج إلى نقاش أو شيء دائمًا نناقشه.

تكلمنا عن الدين وكنت أريد أن أقول عن علاقة الدين بالدنيا والآخرة، لما تكلمنا وقلنا أن الدين ليس برنامجًا سياسيًا ولا برنامجًا لحياة سعيدة كما يتصورها الناس: حياة رغدة، منعمة مترفة وراحة واطمئنان، وليس هو برنامج سياسي مثلًا: يأتي حزب يأخذ الدين ويوظفه ثم يقولون استغلال الدين لأغراض سياسية أو شيء! لا، الدين هو دين الله –سبحانه وتعالى–، هو التكاليف والأوامر والنواهي التي نعبد الله –سبحانه وتعالى– عليها، على أساسها، بها، نعبد الله ونتدين، هذا هو أساس الدين.

لكن الدين في أساسه في داخله في جملته هو ينتظم سعادة الإنسان الدنيوية كما ينتظم سعادة الإنسان الأخروية، الغرض الأساس والمقصود الأول هو سعادة الإنسان الأخروية، أن ينجح بين يدي الله –سبحانه وتعالى–، أن يخرج من هذا الامتحان –امتحان الدنيا–، دار الممر هذه، دار الزوال، دار الفناء، هذه الدنيا يخرج منها ناجح يقول: {هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ* إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ} أو يكون حتى أعلى من هؤلاء جدًا الذين يمشون بغير حساب ولا عذاب، أو يكون من الشهداء، المهم أن يكون الإنسان ناجح، هذا هو المقصود

الأساس؛ لأن الله -سبحانه وتعالى- خلقنا وأوجدنا في هذه الدنيا وأوجدها لنا؛ ليختبرنا ويبتلينا، ابتلانا بالعبادة {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ* مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ* إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ} خلقنا لعبادته، امتحننا بهذه العبادة، أنزل لنا الكتب وأرسل لنا الرسل، بيّن لنا كيف نعبده، عرّفنا بنفسه -سبحانه وتعالى-، انقسم الناس إلى مؤمن وكافر، تقاتلوا تناحروا تشاجروا أفلح من أفلح، وخسر من خسر، والإنسان العاقل الذي أتاه الله هداه فآمن بالله واتبع رسله، المقصود الأساسي أن ينجّح نفسه بين يدي الله.

ولهذا أهم الشعارات التي سنكتبها هنا -إن شاء الله-، أول شيء فليكن شعار الإنسان المؤمن دائمًا هو "نفسي نفسي" يعني أنا أنجي نفسي بين يدي الله، أنا أكون رابح أولًا.

يا إخواننا، نحن ندعوا إلى الله ونجاهد في سبيل الله وفي حرب ومعارك شرسة، وشهداء ودماء وأشلاء، وبعدين في النهاية!! لنفترض أننا أقمنا دولة الإسلام ثم دخلنا النار، ما الفائدة؟! استفدنا شيء؟!

"إن الله لينصر هذا الدين بالرجل الفاجر وبأقوام لا خَلاق لهم" يعني لا نصيب، خلاق هو النصيب، لا نصيب لهم فيما فعلوا وفيما تحقق وفيما أُنجز، نسأل الله العفو والعافية والسلامة.

ولهذا هناك عبارات تتكرر على الساحة يأتيك أخ يقول: أنا أخدم دين الله. اخدم روحك! اخدم نفسك أولاً لا أن تخدم دين الله، دين الله غني عنا جميعًا، حتى العبارة هذه وإن كان لها معنى حسن تحمل عليه، ولكن نخشى أنها صارت تعبير عن مفهوم سيء، فلهذا لا بد من التنبه لها.

فالمقصود: أننا لم نخدم في دين الله، نحن نخدم في أرواحنا، نخدم في أنفسنا، المطلوب أن أخدم نفسي، أنجي نفسي بين يدي الله -سبحانه وتعالى-، أنا أعبد الله -عز وجل-، عبد لله، جندي من جنود الله، أعمل ما يرضي الله -سبحانه وتعالى-، ما هي مصلحتي؟ على ماذا أبحث؟ أن أفوز، أن أكون من الفائزين المفلحين الرابحين الناجحين المرضيين عند الله -سبحانه وتعالى-، هذا هو الأساس، ما خالفه وشذ عنه تحت رجلي ولا أنظر إليه، إنما هذا يدخل فيه أنني أعمل لإقامة دولة الإسلام، أدعو الناس إلى دين الله، وأحرص على هداية الناس.

أنا لماذا أحرص على هداية الناس؟

أولاً: أول شيء هو أنا، أنا نفسي، أمرٌ أنا مكلف به، عبادة لله -سبحانه وتعالى- أؤديها، أوجبها الله علي بمقتضى أن علمني الله شيئًا من العلم، علمني القرآن، وعلمني الفقه والعلم الشرعي والحكمة، فأنا أقضي بها بين الناس وأعلمها الناس وأدعو الناس إلى دين -سبحانه وتعالى-، أعبّدهم لله، وأدلهم على طريق الله وأرشدهم، وآمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر، فهذه أوامر إلهية أنا أطبقها.

أطبقها لماذا؟

لا لأنجح أنا سياسيًا وعندي برنامج سياسي، لا، أطبقها لأنها عبادة لله -سبحانه وتعالى- أنا أقوم بها أولاً، لكن -كما قلنا- في ضمنها السعادة، فهذه عبادات أنا أؤديها مقصدي الأساسي الأول والمقصد الكلي والمقصد العظيم هو أني أنا أنجح، أنا أفوز برضوان الله -سبحانه وتعالى-، أؤدي ما علي فيرضى عني الله -سبحانه وتعالى- وأنقلب إلى ربي مسرورًا محبورًا، هذا هو مقصدي.

هذا المقصد لا شك أنه ينتظم -يعني يأخذ في طريقه وهو ماشي- ينتظم سعادة الإنسان في هذه الحياة الدنيا، سعادة الاجتماع البشري، الغلبة على الكفار ونعيش أحرار، هذه كلها معاني قصدها الشارع، وحثَّ على تحصيلها وجعلها من الخير الذي يُسعى له، لكن الإنسان يضيع المقصد الأساسي ويلهى بالتفاصيل هذه، هذا مغبون، مخدوع، انتهى، مثل هذا الذي ضربه لنا النبي ﷺ مثلًا: (إن الله لينصر هذا الدين بالرجل الفاجر، وبأقوامٍ لا خلاق لهم) هذا الحديث والله يخلع القلب، تصور أنت تقيم دين الله -سبحانه وتعالى- ودولة الإسلام وتهزم الكفار ثم تجد نفسك معهم في النار! ما الفائدة؟! المقصد الأساسي هو نحن "نفسي نفسي" هذه فلتكن شعارًا لنا.

فقلنا: تريد تخدم دين الله؟ تعرف كيف تخدم دين الله، فيه علم شرعي، وفيه معارف، وفيه وسائل لمعرفة الخير والهدى، دعونا نعرف الخير فنفعله، هذا أول شيء، لما يأتي لك إنسان يقول أنا أريد أن أخدم دين الله وسأذهب للمكان الفلاني! لا ليست هناك خدمة دين الله، تريد تخدم دين الله حقًا وأنت صادق فيه طريقة لنعرف كيف يُخدم دين الله.

ثم ما المقصود من خدمة الله؟ أولًا نفسك أنت، رضوان الله -سبحانه وتعالى- عليك، هذا أول مقصود الذي يجب أن تحصله.

فمثل هذه الأحاديث "إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وبأقوام لا خلاق لهم" هذه المفروض دائمًا تكون نصب أعيننا ما ننساها ولا نغفل عنها، مقاصد الإنسان ومقاصد الشريعة، ولماذا الله -سبحانه وتعالى- خلقنا؟ خلقنا لنعبده ولننجح ونفوز، هذا الامتحان، نحن في امتحان في هذه الدنيا، كلنا في امتحان وفي اختبار.

وهذا الامتحان والاختبار يحتوي على جزئيات من الأسئلة والتفاصيل، وفروع متكاثرة جدًا على الإنسان أن ينجح، كما ينجح في معركته مع عدوه، أول شيء معركته هو نفسه الداخلية وهو جهاد النفس، جهاد الهوى، جهاد الدنيا، جهاد الشيطان، هذه الأشياء التي هي العوائق والعلائق والحجب عليه أن ينتصر عليها، يستعين بالله -سبحانه وتعالى-؛ لأن الإنسان ضعيف ما يساوي شيئًا ولا يقدر يعمل أي شيء إلا أن يقدره الله، إلا أن يوفقه الله، إلا أن يعينه الله -سبحانه وتعالى-، واستحضار معنى العبودية في كل تصرفاتنا وكل أفعالنا باستمرار، نحن عبيد الله ونحن جنود الله، نسأل الله أن يقبلنا في جنده وألا يطردنا.

المقصود أن هذا الدين ينتظم هذه السعادات الدنيوية، أحيانًا تمر علينا مسائل في عملنا السياسي وفي عملنا الجهادي والدعوي تمر علينا مسائل، مثلًا: أن الناس لا بد أن تخاطبهم أحيانًا بشيء مما يحصلون به أو يشعرون أنهم يحصلون به ويكسبون به سعادتهم الدنيوية؛ لأن الناس نظرهم قاصر -عوام الناس، معظم الخلق، جمهور الناس- يعني ليس كل الناس تتعلق بالآخرة فقط ولا تنظر إلى الدنيا ويستطيع أن يأكل ماء وتمر وفقط، الناس تحتاج رفاهية.

ولكن بالأساس وفي مراحل معينة يكون التركيز على الدين وعلى الآخرة والوعد بالجنة فقط، كما كان النبي ﷺ في أول مراحل الدعوة لما كان يعرض نفسه على القبائل -قبائل العرب- ويقول: (من يؤويني حتى أبلغ دعوة ربي)

وكان بعض الناس يقولون له: فماذا لنا إن نحن أويناك ونصرناك؟

يقول: (لكم الجنة)

وأتى بنو عامر وقالوا: نشترط عليك أن تجعل لنا الأمر من بعدك.

قال: (لا، الأمر لله يؤتيه من يشاء).

في مراحل معينة أنت أيها الداعية، أنت أيها المجاهد، أنت أيها القائد للناس، ليس من المستحسن وليس من الجيد وقد يكون من السيء جدًا أن تعد الناس بوعود دنيوية في مراحل معينة، فهذا يختلف بحسب المرحلة ومتطلباتها، لكن أحيانًا يكون الناس -لا سيما إذا كان الناس بالجملة مسلمين، محكوم عليهم بالإسلام- ونحن نريد أن نحرضهم على أن يلتزموا بالدين فلا بأس أن ندخل في دعوتنا بيان محاسن الدين، هذه يتكلم عنها العلماء يقولون: "محاسن الشريعة، محاسن الإسلام، محاسن الدين الإسلامي"

من محاسنه أنه ماذا؟ سعادة الإنسان فيه نفسه، وسعة الإنسان في الحياة الأسرية إذا التزمت بالإسلام الله -سبحانه وتعالى- ينزل عليكم البركات {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آَمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ}

{فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا* يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا* وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا} هذا في الدنيا، المقصود هنا في الدنيا، والله أعلم.

فلا بأس أن يوعَد الناس أحيانًا، هذا من تكميل البيان ومن تكميل المقاصد، لكن المقصد الأساسي دائمًا لا بد أن يكون حاضرًا وهو توحيد الله -سبحانه وتعالى-، أننا نحن عبيد لله -سبحانه وتعالى-، ندعوكم إلى عبادة الله حتى تفوزوا وتفلحوا وتكونوا من الناجحين الرابحين المفلحين الفائزين الذين يرضى الله -سبحانه وتعالى- عنهم ويدخلهم جنات النعيم، هو هذا الأساس، وأن هذه الدار هي دار امتحان وابتلاء وفتنة واختبار، أنتم في دار ممر تمرون فيها وتختبرون، ثم ينتهي الامتحان في نقطة معينة وهي نقطة الموت فيفترق الناس {فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ}

فلازم تحرص بكل قوة، هذا رأس مالك وهذا وجودك وهذا كل شيء بالنسبة لك أنت، يجب أن تحرص أن تكون من الفائزين، هذا المعنى دائمًا لازم يكون حاضر في خطابنا وفي دعوتنا.

لكن أحيانًا من بعض التكميلات -وجاءت الشريعة بها مثل هذه الآيات التي قلناها وغيرها- لا بد أحيانًا يقول له الناس: الدين الدين الدين، والدنيا؟

فلازم الدين، ودنيا تدخلها للناس، وهذا لعله من لطف الله -سبحانه وتعالى-؛ لأن البشر لا تتحمله، والناس مولعة -الإنسان بفطرته وغريزته مُولع- بالعاجل، قال الله -تعالى-: {كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ* وَتَذَرُونَ الْآَخِرَةَ} الإنسان مُولع بالعاجلة يعني يريد الحاجة القريبة، يقول: عصفور في اليد ولا عشرة في الشجرة.

وبعض الناس يطبقوها، هكذا بعض الزنادقة -سمعت بعض الزنادقة طبقها على الدنيا والآخرة- يقول عصفور في اليد يعني الدنيا هذه، أنا متمكن منها الآن، ولا عشرة في الشجرة يقصد الآخرة، بعض الزنادقة هكذا طبقها، فهذا من الفتنة له.

وهذا من الخطأ الذي يقع في التشبيهات، الخطأ في التشبيهات من أكثر الأخطاء التي تقع في الجدل، يأتي لك بمثال يحاول أن يقنعك به في حين أن المثال هذا غير منطبق على الشيء الذي يريد أن يطبقه عليه، يعني الدلالة لا تطابق المدلول، الدعوة أعرض وأعم وأكبر من المدعى، فيقع في الخطأ كثير جدًا من الناس، فتجد حتى في أهل العلم، في الدعاة، في الناس، في الخطباء، في القُصّاص، في الناس التي تقنع الآخرين وتستعمل أدلة خطابية وكلام يأتوا بتشبيهات معينة، مثلًا: تتناظر مع واحد في طرائق التغيير الآن أو الجهاد والدعوة والسلفية فيأتي لك بتشبيهات، فالتشبيهات هذه يقع فيها الخطأ كثيرًا، يقع فيها الخطأ في وجه الشَّبه مثلًا، العلماء حتى في البلاغة -طبعًا في علم الجدل وكذا نبهوا عليه- وفي علم البلاغة نبهوا عليه، ممكن نمر عليه -إن شاء الله- إن أسعفنا الوقت.

لكن المقصود المهم أن الدين أساسه هو هذا الذي شرحناه: عبادة الله -سبحانه وتعالى-، والاختبار، وأنه لازم أن نكون ناجحين في الاختبار، ونذهب هناك نحن ناجحون رابحون مفلحون، لكن هو ينتظم -عبارة ينتظم هذه عبارة يستعملها العلماء- ينتظم مجموعة من الخيرات الدنيوية، والمنافع الدنيوية، منها:

- أن نعيش سعداء

- وأن نغلب الأعداء

- وأن نعيش أحرارًا ونكون في عزة وكرامة

- ونبني دولتنا

هذه كلها معاني صحيحة ومرادة لله، لكن مرادة، ليست هي الأساس، ليست بالقصد الأول كما يقولون، إنما هذا القصد الثاني يعني مرتبة ثانوية.

إذن الدنيا والآخرة صارت في نظرتنا شيء واحد، ربعي بن عامر قال: الله ابتعثنا لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ضيق الدنيا -التي أنتم يا كفار يا جهلة حاصرين أنفسكم فيها، واستفرغتكم هذه الدنيا واستغرقتكم وتفرغتم لها ولا تعرفون غيرها {بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآَخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ} {يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآَخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ} الدنيا هذه التي أخذتكم، الدنيا هذه ضيقة في النهاية، لا تساوي شيئًا- نحن الله ابتعثنا كي نخرجكم -إذا آمنتم واستجبتم لنا واتبعتمونا تخرجوا- من ضيق الدنيا هذه إلى سعة الدنيا والآخرة.

فالمؤمن ينظر إلى الدنيا والآخرة كله شيء واحد هكذا ابتداءً، هذه دار ممر وأنا أمشي للآخرة، علي أن أنجح هنا، وهذه مزرعتي للآخرة فالذي أزرعه هنا أحصده هناك.

ولهذا سيدنا إبراهيم قال لمحمد ﷺ في الإسراء: (وأن الجنة قيعان -يعني أبلغ أمتك- أن الجنة قيعان وأن غراسها سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر) فالمقصود ذكر الله -سبحانه وتعالى- وخاصة هذه الأذكار، هذه غراس الجنة، المقصود الغراس هنا هذا ترغيب وحث على ذكر الله -سبحانه وتعالى- ولا سيما بهذه الأذكار الشريفة والألفاظ التي الله -سبحانه وتعالى- شرعها واختارها لنا، سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر.

(لا حول ولا قوة إلا بالله كنز من كنوز الجنة) كما جاء في الحديث الآخر، وهكذا، فأنت تغرس هنا وتحصد هناك، تجني هناك.

وهكذا (من بنى لله مسجدًا بنى الله له قصرًا في الجنة) ومن فعل كذا أعطاه الله في الجنة، ما هذه؟ هذه الأعمال الصالحة تعملها أنت هنا تجنيها هناك، فصارت عند المؤمن وفي نظرة المؤمن وفي تصور المؤمن الدنيا والآخرة شيء واحد، متصلتان، وصار نظره متسعًا، وأُفُقه واسعًا جدًا جدًا.

أما الكافر في ضيق الدنيا؛ لأن الآخرة ليس ناظرًا إليها، حتى وإن قال الكفار مثل اليهود والنصارى، الآن يقولون أنهم يؤمنون بالآخرة وفيه آخرة وفيه جنة، وديانا دخلت الجنة وماما تريزا هذه في الجنة، هؤلاء أكابر أهل الجنة عندهم! لكن ما عندهم علم بهذا أو حتى ظن غالب، مجرد أوهام مقتبسة من آثار النبوات السابقة التي هم منتسبون إليها، نبوات الأنبياء التي ينتسبون إليها، موسى والتوراة، وعيسى والإنجيل، وأنبياء بني إسرائيل عمومًا داوود وسليمان وغيرهم من الأنبياء والرسل -عليهم الصلاة والسلام- لا شك أن جميع الأنبياء جاؤوا بإثبات هذه الأصول كلها، الحشر والنشور والجنة والنار، جاؤوا به واتفقوا عليه جميعًا ودعوة الناس إلى اتباع السبيل الموصل إلى الجنة والنجاة من النار.

فهذه من آثار هذه النبوات التي لا تزال عندهم وما زالت في كتبهم مكتوبة هم يؤمنون بها، يظنون أن فيه جنة، لكن هل فيه يقين؟ هل فيه إيمان حقيقي يجعلهم يعملون لهذه الجنة وللنجاة من النار؟ ويتحرقون ويخافون ويبكون؟ لا يوجد أصلًا هذا منعدم؛ لأنهم في الحقيقة هم كافرون بهذه الرسالات، ليسوا معظمين لله -سبحانه وتعالى- ولا لأمره ونهيه، ولا متبعين منقادين عابدين خاضعين خاشعين، ليسوا كذلك، وليس هناك يقين ولا حتى غلبة الظن، إنما باقي آثار عندهم: نؤمن بالله، ونحن نكون من الجنة، وبوش يقول لك: أنا في الجنة، وشارون يقول لك: أنا في الجنة، كلهم يقولون هكذا!!

هذا الذي عبر الله -سبحانه وتعالى- عنها في القرآن بالأماني {تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ} ألم يقولوا: {لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} أحضروا، أروني، هل عندهم براهين أو عندهم قناعة أو يقين يعملون له؟ لا، هذه بقايا من النبوات السابقة أنهم يقولوا نحن مؤمنون بها، يقولوا نؤمن

بالله، الأمريكان كاتبين على الدولار نؤمن بالله، ونثق في الله، ونحن نوحد الله، واليهود يقولون: نوحد الله! وهي بمعنى أنهم لا يعبدون غيره عبادة صريحة هذا صحيح، وإن كانوا يعبدون الشيطان ويعبدون أهوائهم؛ لأنهم كفروا بمحمد ﷺ.

أما المؤمن فهو الدنيا والآخرة، نظرُه مشدود ومنصب على الآخرة هناك، هي الأساس، الدنيا ليست مشكلة إن خسرناها، يعني لو ربنا عافانا وربنا سهل لنا والله أنعم علينا وكنا فيها أحرارًا وكنا فيها غالبين ومقتدرين على الأعداء ومنتصرين فهذا فتح من الله ونعمة وزيادة خير، لكن ممكن -كما قلنا- ممكن الإنسان يكون في النيجر وضربته المجاعة، وممكن يكون معذب في السجون، لكن الدنيا هذه لا يبالي بها الإنسان، إنما الفوز الحقيقي الذي هو رأس ماله وكل شيء بالنسبة له هو الفوز بالآخرة هناك، الذي هو البقاء الأبدي السرمدي الذي لا انتهاء له، فصار الدين والدنيا والآخرة في نظرة المسلم هكذا، والدين هو كيف يعبد الله -سبحانه وتعالى- ويتعبد لله -سبحانه وتعالى- وكيف ينجح، هو برنامج للنجاح بين يدي الله -سبحانه وتعالى- هناك، هو هذا إن شئت.

(العدل والفضل)

موضوع الثقافة والوعي، غرضنا الأساسي -كما قلنا في المقدمة- أننا نتناول بعض المفاهيم نشرحها ونحاول إذا كان فيه بعض الأخطاء عندنا موجودة منتشرة أو شائعة ننبه عليها؛ حتى لا نقع فيها والإخوة يتفطنون لها، نسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يوفقنا وإياكم.

بسم الله الرحمن الرحيم

الله -سبحانه وتعالى- حكم عدل، الله -عز وجل- من صفاته ومعدود في أسمائه أنه العدل، أو أنه حكم عدل هكذا اسم مركب.

أحد الحضور: من أسماء الله هذه؟

الشيخ: نعم، من أسماء الله الحكم العدل.

الله -عز وجل- قائم بالقسط {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} الله -عز وجل- شهد حال كونه قائمًا بالقسط، وكذلك الملائكة وأولو العلم شهدوا، قائمًا هذه حال على كونه {قَائِمًا بِالْقِسْطِ}

فالله -عز وجل- قائمٌ بالقسط في خلقه، والله -عز وجل- حرم الظلم على نفسه وجعله بين عباده محرمًا، الله -عز وجل- لا يظلم أحدًا، نفى الله -سبحانه وتعالى- في القرآن عن نفسه الظلم في مواضع عديدة: {وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا} {وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ}.

الله -سبحانه وتعالى- حكم عدل وقائم بالقسط وحرم الظلم على نفسه وجعله بين عباده محرمًا، ويكره الظلم، ويحب العدل والقيام بالقسط ويأمر به، وينهى عن الظلم، وجعل هذه الحياة لا تستقيم -السموات والأرض كلها- إلا بالعدل والقيام بالقسط، لهذا لما بعث النبي ﷺ عبد الله بن رواحة لليهود يجذ لهم النخيل، يخرص عليهم نخيلهم، الجذاذ يعني جني الرطب، قص العراجين أو بالطرق المختلفة حسب ما يناسب النخل، أهل النخيل يعرفون.

نحن بالنسبة لنا ومناطقنا النخيل لا نقص العراجين، نحن ننقي النخل عدة مرات في الموسم، في بعض المناطق نخيلها يقصوها قصة واحدة، على كل حال هذا الجذاذ، لكن قبل الجذاذ يأتي الخرص، الخرص: نأتي بواحد خبير يعرف النخل، ينظر في النخيل أربعين نخلة أو خمسين نخلة ويقول هذه تأتي بمقدار مثلًا ثلاثة قناطر، يخرصها، هذا يسمى الخرص، هو تخمين كم يكون عدد التمر؛ لأنهم لما يبدؤوا يأكلوا فيها لا تستطيع أن تعرف حسبتها، لكن من الأول قبل الجذاذ يخرصوا.

بعث النبي ﷺ عبد الله بن رواحة لليهود يخرص عليهم نخيلهم، فخرص عليهم فحاولوا يراودوه عن هذه الحسبة فقالوا له: انقص أو زد قليلًا.

فقال لهم: والله لأنتم أبغض خلق الله إليَّ، ومع هذا لا يحملني بغضي لكم أن أظلمكم.

فقالوا له: بهذا قامت السموات والأرض.

يعني هذا العدل وهذا القسط. هو يقول لهم أنكم أبغض خلق الله إليَّ أنتم اليهود، ومع هذا فإن بغضي لكم لا يحملني -{وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا} هذا هو معنى الآية، فهو قال لهم هذا المعنى- قال لا يحملني بغضي لكم أن أظلمكم، والله لا أظلمكم أبدًا، أخرص بالضبط مثل ما أعتقد وأتحرى وأدقق وأخرج الخرص كما هو، لا أزيد عليكم ولا أنقص، تحسبوني أني جئت لأظلمكم! هذا معناه، هو يريد أن يقول لهم هكذا، فلما رأوا هذه الكلمة منه ورأوا هذا الفقه قالوا: بهذا قامت السموات والأرض، وطبعًا هم عندهم قليل علوم ومعارف، يعرفون العدل.

{قَائِمًا بِالْقِسْطِ} قائم: حالٌ من هوَ، والعامل فيه معنى الجملة (...) مفرد قائمًا.

وقيل: هو حال من اسم الله، أي شهد لنفسه بالوحدانية حال كونه قائمًا بالقسط.

فالمهم أن العدل هذا منزلته، به قامت السموات والأرض ولا يمكن أن تقوم السموات والأرض ولا ينتظم حالها إلا بالعدل والقيام بالقسط، ولو وقع فيها الظلم على مستوى كبير تفسد هذه الأرض، السموات ما فيها... - المكلفون في الأرض-، والجن أيضًا إذا طلعوا فوق السماء تضربهم الشهب، فالمكلفون هنا، فلو كثر الظلم كثرة عظيمة يفسد نظام الأرض قطعًا لا شك، ولهذا العدل أيضًا الذي جاءت به الرسل وأمرت به وجاءت به شرائع الله -سبحانه وتعالى- وأمرت به، هو كما أنه موصل إلى رضوان الله -سبحانه وتعالى- كما قلنا في معنى الدين، هو أيضًا ينتظم سعادة الناس والبشرية في هذه الدنيا كما قال الله -تعالى-: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ} من الرحمة التي أتى بها هذا العدل الذي أسسه في هذه الأرض.

والثقافات الأخرى بعد ذلك اقتبست الكثير جدًا جدًا من معاني العدل ومن تفاصيل العدل والقسط، اقتبسته من الشريعة الإسلامية، فاستفادت أوروبا من خطوط التّماس الثقافي التي كانت بين أوروبا على البحر المتوسط والشام وتركيا وإسبانيا هناك وغيرها، فاستفادوا وأخذت أوروبا في عصور الظلام -التي سموا هم فيها أنفسهم

عصور الظلام- العصور الوسطى التي كانوا هم فيها في قمة التخلف، وكانت إمبراطورية الإسلام ودولة الإسلام قائمة عندنا، اقتبسوا الكثير من العلوم حتى تخاذلنا نحن وحصلت عصور الانحطاط الإسلامي هذه، وهم بالمقابل هناك استفادوا من حضارة الإسلام، واستفادوا من المفاهيم الإسلامية، وترقوا، وأخذوا بالأسباب الدنيوية وجاؤوا وغلبونا ونحن جلسنا مغلوبين مهزومين، لكن هم في النهاية تنوروا ببعض أنوار الشريعة واقتبسوا شيئًا من أشعتها، استفادوا منها، هذا كما قال العلماء يدخل في قوله -تعالى-: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ}

إنما العدل الكامل المنجي والمفيد في الدنيا والآخرة هو العدل الذي عند المسلمين القائمين بالقسط الملتزمين بدين الله -سبحانه وتعالى-، شريعة الله كلها عدل، دين الله كله عدل، ليس عدل فقط، هو عدل ورحمة وإحسان، هذه ثلاث صفات قال العلماء أنها لم تجتمع أبدًا في أي حضارة ولا في أي فكر ولا في أي ثقافة إلا في الإسلام فقط، العدل والرحمة والإحسان، صرح بهذا العلماء ومنهم ذكره الشيخ بشير الإبراهيمي -رحمه الله- قالوا لم تجتمع، ونقلها عن المؤرخين والحكماء أنهم صرحوا أنها لم تجتمع إلا في الإسلام وفي الفتوحات الإسلامية، كان كلها عدل ورحمة وإحسان.

لكن ما معنى العدل؟ هو هذا الذي نريد أن نصل إليه.

ما معنى العدل؟ قال شيخ الإسلام بن تيمية: "فإنه ما من أمة إلا وهي تأمر بالعدل، ولكن قد يكون العدل عندهم ما رآه أكابرهم"

ما فيه أمة من الأمم في التاريخ قديمًا وحديثًا إلا وهي تأمر بالعدل وتدّعي العدل والعدالة، وتدعو إلى العدل وتمدح العدل وتذم الظلم، هل سمعتم أحد في الدنيا يمدح الظلم؟ فرعون أعتى إنسان وأظلم إنسان في الوجود في تاريخ البشرية ضربه الله مثلًا للفراعنة -فرعون! هو نفسه لقب لهذا المعنى البشع الفظيع- فرعون هل كان يأمر بالظلم أو يمدح الظلم؟ أو يقول أنا ظالم وأريد أن أظلم؟ لا، اتفقت البشرية كلها جميع الأمم كلها كافرهم وملحدهم ومسلمهم وغيرهم على ذم الظلم، ومدح العدل.

كل أمة من الأمم تدعي أنها تحكم بالعدل وتأمر بالعدل، لكن ما هو العدل؟ الدين الأمريكاني يقول لك: عدل، نحن حاكمين على خالد شيخ، ورمزي بن الشيبة ونطبق عليهم، ونعذبهم وحابسينهم المؤبد، عمر عبد الرحمن حاكمين عليه 240 سنة! ويقولوا هذا عدل.

نقول لهم: والله والعظيم إن هذا من أظلم الظلم يا مجرمين يا كفرة قاتلكم الله، لكن هو العدل هكذا عندهم، هم يفهمون العدل "حسب ما رآها أكابرهم" كما قال شيخ الإسلام، أكابرهم مثل الكونجرس الذي وضع هذه القوانين، هم أنفسهم مجتمعين وواضعين قوانين وكذا ومراعاة هذه القوانين هي العدل عندهم.

لكن نحن نقول: لا، العدل هو –على الجملة– العدل هو: ما جعله الله عدلًا، وما دلت شريعة الله على أنه عدل، كل ما جاءت به الشريعة من الحق فهو عدل، الشريعة كلها عدل، الشريعة لا تأتي بالظلم، تحرم الظلم، وتنهى عن الظلم نهيًا عظيمًا، الشريعة كلها عدل وكلها مصلحة وصلاح، ليس فيها فساد، أي شيء دلت أدلة الكتاب والسنة وما في معناهما على أنه مشروع فهو عدل وهو صلاح وهو رحمة وهو إحسان، وما سواه كل ما دلت الشريعة على أنه غير محبوب لله، أنه مكروه أو حرام فإنه ليس بعدل، مع أنه ممكن يكون فيه بحث في مسألة المكروه لكن المقصود كل ما لم يكن مشروعًا فهو ليس بعدل، بل هو ظلم.

العدل هذا تعريفه الصحيح: قال العلماء: "العدل هو: التسوية بين المتماثلين، والتفريق بين المختلفين" هذا هو العدل، أحسن تعريف وأضبط تعريف للعدل.

والشريعة –شريعة الله المطهرة– قاعدتها هي هذه، تأتي بالتسوية بين المتماثلين، تسوي بينهما في الحكم، تعطيهما حكمًا واحدًا، عطاءً واحدًا، وتفرق بين الشيئين المختلفين بحسبهما إذا كان الفرق الكبير إذا كان الفرق صغير، تعطي كل ذي حق حقه.

تعريف آخر للعدل تستطيع تقول أنه: إعطاء كل ذي حق حقه، يستعملها العلماء في تعريف الحكمة كذلك، الحكمة والعدل: وضع كل شيء في محله، وإعطاء كل شيء حقه، هذا هو العدل أيضًا.

العدل هو: وضع كل شيء في محله، هذا أين مكانه اللائق به المناسب الذي هو أفضل من غيره! يُوضع فيه، وإعطاءه حقه، إعطاء كل ذي حق حقه.

لكن التعريف الأضبط الأحسن هو: التسوية بين المتماثلين والتفريق بين المختلفين.

العدل هو: أن تسوي -أيها الإنسان الناشد للعدل- أن تسوّي بين الأشياء المتماثلة، أما إذا اختلفَت لا تسوي بينهما، تفرق.

مثال: أقدار الناس، الكبير والصغير، والسابق واللاحق، والعالم والجاهل، أقدار الناس المختلفة المتفاوتة، والمجاهد وغير المجاهد والمؤمن والفاسق، تعطي كل ذي حق حقه، لا تسوّي بينهم في الاعتبار {أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ}

نقول: هذا أفضل -في الحكم- ونقول: هذا صالح ونعطيه درجته، نقول: هذا فاسق أو يستحق كذا، كل واحد نعطيه حقه، ناس متساوية مثلًا فهي خلاص متساوية لم نعلم الفرق، يعلمه الله نحن لسنا مكلفين به، لكن الناس متساوية في السبق في الجهاد في الصلاح هؤلاء متساوون مثل بعضهم، فلا نأتي لواحد فاضل ونبخسه حقه من إيمان وجهاد وهجرة وصلاح وعلم وفضل ونجعله في مرتبة الناس الذين ليس لديهم هذا كله، نفرق بين الناس! فهذا التفريق بين المختلفين.

من أظهر الأمثلة التي نحتاج فيها إلى موضوع فهم معنى العدل هو مسألة العطاءات، كذلك مسألة الولايات، التقديم والتأخير فيها، والخطأ الذي يحصل عند كثير من الناس أنهم جعلوا العدل بمعنى التسوية مطلقًا، ولهذا حتى في الشعارات الحديثة مثل الثورة الفرنسية شعارها "إخاء وحرية ومساواة" اقتبسوها العرب منهم وترجموها.

العدل ليس هو المساواة! العدل هو: إعطاء كل ذي حق حقه، هو تسوية بين المتماثلات، لكن هؤلاء مختلفات كيف تسوي بينها؟ تفرق، لكن لما تأتي تفرق، تفرق بهواك؟ لا، فرّق على مقتضى الدليل، الدليل يقول: لا، هذان مختلفان، فرق بينهما، هذا يستحق كذا تعطيه كذا، وهذا يستحق كذا تعطيه حقه، تعطي كل ذي حق حقه، ففرقت بين أشياء مختلفة، لا تسوي بينهما في العلم والأفكار والمناهج والأحكام العلمية.

باب القياس مبناه على هذا، الأشياء المتساوية المتماثلة سوّت بينها الشريعة في الحكم، وهذا القياس، القياس هو: إلحاق فرع بأصل لجامع بينهما، إلحاق فرع بأصل في الحكم لتساويهما أو لانعدام الفارق، فهذا الفقيه أحيانًا يعتمد في القياس فقط على نفي الفارق، يقول لا يوجد فارق مؤثر بين هذا وهذا فحكمهما سواء، هذا يسموه "القياس بنفي الفارق" يعني هو صد نظره على نفي الفارق. وهذه كثيرًا ما نحتاجها في المسائل العلمية.

ينظر الفقيه ويقلب وجوه النظر يقول: هل هذا له تأثير أم ليس له، فيطلع في بعض المسائل يقول: لم أجد فارقًا مؤثرًا بين هذا وهذا.

المقصود بالفارق، هو الفارق الذي له تأثير، وإلا قد يكون هناك فارق هذا أبيض وهذا أسود، هذا وصف طردي ليس له تأثير.

وإذا كان قياسًا جليًا واضحًا الشريعة وضحت العلة في حكم معين وجاءت حاجة ثانية فرع نلحقه بهذا؛ لأن فيه نفس العلة واضحة جدًا، نلحقه به. لكن لا بد أيضًا ألا يكون فارقًا مؤثرًا، نفي الفارق لا بد منه.

إذن العدل في كل شيء، في الأحكام التي نطلقها على الأشياء -على التصورات كلها كيف نحكم عليها ونصدق عليها- في كل شيء، المتعلقة أيضًا بالأشخاص، والمتعلقة بالقسمة بين الناس والعطاءات والتوليات وفي أقدار الناس ومراتبهم وهكذا نحتاج إلى مفهوم العدل، الخطأ الشائع الذي يحصل عند الناس أنهم يظنون أن العدل هو التسوية.

ذو الخويصرة تعرفون ذو الخويصرة صاحب الخوارج، الأول الذي خرج في عهد النبي ﷺ وحديثه في الصحيحين، الذي قال فيه النبي ﷺ: (يخرج من ضئضئ هذا قوم...) وساق حديث الخوارج الطويل (تحقرون صلاتكم إلى صلاتهم...إلى آخره)

ذو الخويصرة هذا كان رجل فيه تنطع وسخافة عقل فرأى النبي ﷺ يقسم شيئًا من الغنائم، فقال: والله إن هذه قسمة ما أُريدَ بها وجه الله! نسأل الله العفو والعافية والسلامة

فغضب النبي ﷺ، غضبٌ لله -سبحانه وتعالى-؛ لأن هذه إهانة للرسول ﷺ، وتكذيب له في الحقيقة هو آيلٌ إلى التكذيب.

فقال ﷺ: (أيأمنني على أهل الأرض ولا تأمنوني!) أو كما قال ﷺ في لفظ: (أيأمنني على وحي السماء ولا تأمنوني) يعني الله -سبحانه وتعالى- اصطفاه واختاره واجتباه وجعله رسولًا، وأنت تأتي تخوّنه في قسمة عرم كبير وعرم صغير! أين عقلك أنت يا ذا الخويصرة؟!

دعونا نحلل قصد ذي الخويصرة، قصده أنه رأى القسمة فنظر بعقله أن هناك حاجة كبيرة وحاجة صغيرة مثلاً، نفرض لما جاء هذا القاسم الذي يقسم -وهو النبي ﷺ- قسم قسمة، عطاءات، خذ هذا لفلان، وأعطِ هذا لفلان، أو للعائلة الفلانية، أو بني فلان، فذي الخويصرة هو جلس ينظر إلى القسمة فلم تعجبه، رأى بعض الحاجات أكثر من بعض، فاكتفى بهذا وحكم به، هذه الرؤية التي رآها مجرد أن رأى نوع من عدم الاستواء، الأكداس ليسوا مثلًا أو الأشياء المقسومة ليست كمثل بعضها، فظن أنه لازم تكون كلها متساوية، لم يفهم موضوع العدل، فرأى هذا بعقله.

رأى أن هذه القسمة غير سوية، فاعتمد على هذا وحكم به، حكم بأن هذه القسمة باطلة وبالتالي ما أُريد بها وجه الله، ما فيها عدل، من نظرته هو، هو قال للنبي ﷺ: (اعدل فإنك لم تعدل) في حديث آخر أو...

فهو اعتمد على أن هذه كبيرة وهذه صغيرة وأنهم ليسوا كمثل بعض ولا توجد تسوية؛ لأنه هو في ذهنه أن العدل هو التسوية، وليس كذلك؛ لأنه ممكن هذا شخص كبير أو عائلة كبيرة عدد أفرادهم كبير أو أسباب الاستحقاق أكثر وأقوى فأعطاهم شيئًا كبيرًا، وأناس أقل عددًا أو فضلاً أو سابقة بحسب أسباب الاستحقاق فأعطاهم قليلًا، فهذا ما يستحقون، وهؤلاء أعطاهم ما يستحقون، فليست التسوية شرطًا، هو ظن أن العدل هو التسوية، لا، العدل ليس هو التسوية، العدل هو: إعطاء كل ذي حق حقه.

فإذا كانوا يفترقون في أسباب الاستحقاق تفرق بينهم بسحب ما يستحق كل واحد.

فذو الخويصرة لم يفهم معنى العدل ويظنه التسوية، هذا الشيء الأول.

وحتى لو فُرض أنك أنت رأيت فيه خطأ في التفريق، فأنت بهذا تلغي رسول الله ﷺ كله! الذي الله -سبحانه وتعالى- اختاره واصطفاه واجتباه وأرسله للعالمين رحمة، وائتمنه على وحي السماء وهو خير خلق الله، وأتقاهم لله وأعلمهم بالله وأشهدهم له خشية، وأرضاهم عند الله -سبحانه وتعالى- وخير خلق الله أجمعين وأكرمهم على الله، أنت هذا كله تلغيه بمجرد أنك رأيت شيئًا هكذا؟! فهذه هي عقلية ذي الخويصرة وهي عقلية لا تؤدي إلى النجاح، بل آيلة إلى الانحراف عن الدين والفساد والزيغ والضلال وهذا هو حال الخوارج.

إذن قلنا: التفريق بين المختلفات، كيف نفرق بينها؟ التفريق يكون بحسب أسباب الاستحقاق، في العطاء كما قلنا، نفرض أن عندنا شخصان هذا عنده عائلة وهذا عنده عائلة، لكن هذا العائلة عدد أفراده كبيرة، أو متولي أيتام يربيهم، هذا نعطيه أكثر وزيادة، ولا يُقال لي: أنت هذا لماذا أعطيته كثير وهذا أعطيته أقل!

إذن، الحاجة بسبب كثرة العدد، نحن لو كنا نقسم عطاءات أو شيء ممكن نراعي أسباب معينة، مثل بعض الناس يكونوا عايشين في بلدان أو في مناطق الأسعار فيها مرتفعة جدًا، ومواصلاتها تكون مكلفة جدًا أو نحو هذا، بحسب حاجات الناس، ولهذا مذهب سيدنا عمر في العطاء -في القسمة وفي الفيء وغيرها- من بيت المال، قال: "الرجل وحاجته، والرجل وسابقته في الإسلام، والرجل وغَناؤهفي الإسلام" اعتبر ثلاثة أشياء يمكن يقاس عليها غيرها.

الرجل وغناؤه يعني: نفعه، جدواه، بلاؤه، وغَناء بالفتح، أغنى يغني يعني: نفع {مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَه}

فغناؤه يعني: حسن بلائه ونفعه للإسلام، مثلًا أن يكون فارسًا أو مجاهدًا، اعتبره سيدنا عمر وقدمهم في العطاء.

"سابقته في الإسلام" سابقته في الهجرة والجهاد وهكذا، سابقته في الدين.

"الرجل وحاجته" أهل الحاجات، مقدار فقره وحاجته عنده عيال محتاجين أو كذا، يختلف هذا في العطاءات.

الغَناء، انتبهوا لها، الغِناء: هو المطرب الخبيث هذا في الغِناء بالكسر.

أما هذا غَناء، غناؤه يعني جدواه ونفعه.

هذه الأشياء التي لعلها تكون أساس أو أكثر أسباب الاستحقاق أو يكون غيرها.

حتى في التفريق بين الأبناء في العطية، طبعًا معلوم أنه لا يجوز التفريق بين الأولاد في الهبات، هذه تقريبًا أكثر العلماء عليها، والمفروض تكون محل اتفاق حقيقة لكن وقع فيها خلاف؛ لأن النصوص واضحة فيها، النبي ﷺ حرمها وردها، وقال: (لا تشهدني على زور) وقال: (أشهد على هذا غيري) وغير هذا، من الباطل أن يفضل بعض أبنائه في الهبة على بعض.

أحد الحضور: إذا كان مثلًا رجل ساكن في قرية، أبناؤه كلهم ذهبوا إلى المدينة وسكنوا في المدينة، إلا واحد من الأبناء بقي معه؟

الشيخ: نقول أن الأصل تحريم التفريق بين الأبناء في العطية -في الهبة- هذا هو الأصل، وينبغي أن يكون محل اتفاق؛ لأن النصوص فيه واضحة جدًا.

لكن قالوا: إذا وُجد سبب موجب لتفضيل بعضهم فهل يجوز؟ الصحيح أنه يجوز، لو كان واحد منهم عايب - لا سمح الله وعافنا الله وإياكم-، معاق مثلًا فيحتاج إلى نوع من التفضيل في العطاء لسد حاجته.

السائل: هذا جائز؟

الشيخ: نعم؛ لأن فيه سبب موجب، فيه سبب استحق به تفضيلًا وعطاءً أكثر من الباقي فهذا لا بأس.

أحد الحضور: طيب مسألة البر يا شيخ؟

الشيخ: لا، مسألة البر الصحيح عدم اعتبارها، لو واحد أبر من غيره فيفضله! لا، الصحيح لا يجوز؛ تحصل الشحناء بينهم والتحاسد.

الأسباب الظاهرة التي ترجع الناس إليها، يعرف الناس حتى الآخرين لما يعرفوا يقرون بهذا يقولوا صح هذا يحتاج أكثر لأنه مسكين مريض يحتاج إلى أن يُصرف عليه، فيجوز أن يفضله في العطاء لشيء.

المهم قالوا إذا كان هناك سبب موجب للتفضيل فلا بأس به، لكن الأصل هو هذا الذي يُلتزم ما لم يكن هناك سبب واضح ظاهر.

{ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ} في أزواج النبي ﷺ تكلم بعض أهل العلم – القاضي ابن العربي– في أحكام القرآن.

هذه مسألة تتعلق بشيء من هذا الباب، أنه أيضًا مما تسكن إليه النفوس وتطمئن إليه أن يُبين بالنسبة للمولّى والإنسان المسؤول يُبين للناس أسباب التفضيل، فإذا بينها لهم فإن نفوسهم تطمئن، وهذا الذي قاله الله – سبحانه وتعالى–: {تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا}

أمر الله –سبحانه وتعالى– أن يبين لهن أن الله –عز وجل– أذن له وشرع له وأباح له أن يتصرف كما يشاء، يأخذ من يشاء ويسرّح من يشاء وأنه ليس عليه حرج في هذا، وأنهن ليس لهن حق بحيث يدعين حقًا مثلًا، يقولوا: كيف فلانة قربتها وهذه كذا؟!

ما عندكن حق، جاءني أمر من الله أن آخذ من أشاء وأخلي من أشاء، ثم قال: {ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ} يعني لن يوجد من سيعترض عليك، فالبيان في مثل هذا جيد.

وهذا راجع إلى أسباب الاستحقاق؛ لأن الإنسان إذا ظن أن له حقًا يظل يطالب ويدعي وينازع، فيُبين له أنه لا يوجد حق لك عندي، نُبتلى نحن هنا في ساحات الجهاد بشيء من هذا في العطاءات في الأموال في الكفالات، يأتي لك إخوة يقول لك: أنا عندي حق لماذا لا تعطوني؟ فنقول له: العطاء كذا وكذا، هل أنت لك حق؟ نحن نرى شرعًا أن عندك حق أو نرى شرعًا أنه ليس عندك حق، وهكذا، فيُبين هذا.

أحد الحضور: (...) عمر –رضي الله عنه–؟

الشيخ: لا، أنا ضربته مثال، مذهب عمر هو في مقابل مذهب أبي بكر وهي أيضًا سنة النبي ﷺ وهو عدم التفريق بين الناس في العطاءات التي تعطى من الفيء، قسمة من بيت المال، عدم التفريق بينهم بسبب السبق مثلًا أو بسبب الغناء، بالذات هذين الاثنين، كان يعطي الجميع عطاءً متساويًا.

سيدنا عمر لما جاء كان اجتهاده ومذهبه أنه يفرق بينهم بحسب السابق أو بحسب الغَناء، وهو ذكر "الرجل وحاجته والرجل وسبقه والرجل وغَناؤه" وذكر الحاجة معهم، لكن هو يظهر الفرق بين المذهبين أصلًا في السبق وفي الغَناء، في السبق وفي النفع، أبو بكر ما كان يعتمد هذا وهكذا كان النبي ﷺ هذه سنة، وأقرب للسنة، سيدنا عمر كان هذا اجتهاده، هذه من المسائل التي اجتهد فيها سيدنا عمر فكانت مذهبين/ مذهب عدم التفريق في العطاء بين الناس بسبب السبق وبسبب الغَناء، ومذهب من يراعي هذا، سيدنا عمر مستند إلى أشياء، الشريعة في بعض الفروع راعت غَناء الإنسان، مثلًا في النّفَل –إعطاء من الغنيمة قبل القسمة–.

النّفَل: تنفيل الرجل الذي حسن بلاؤه، جائز للإمام أن ينفل الإنسان الذي يحسن بلاؤه، فاعتبرته الشريعة أيضًا، فسيدنا عمر راعى هذا كأنه رأى أن الناس يناسبهم هذا في ذلك الوقت، وأكثر لياقة بهم فاعتمده، والله أعلم.

أحد الحضور: فيه مسألة وهي مسألة بيت المال، أن بيت مال المسلمين يختلف عن بيت مال الجماعة، الآن نحن هل نعد مال لجميع المسلمين، أو بيت مال للجماعة؟ يعني هل الواحد مثلًا إذا أتى يقول أريد حقي وأريد كذا، هل فعلًا له حق مشروع إن كان بيت مسلمين أو بيت جماعة؟

الشيخ: لا، ليس بيت مال المسلمين، قطعًا، هذه ليست دولة الإسلام كل المسلمين خاضعين لها! لكن هناك بعض الأحكام تطبقها الجماعة وتأخذ أحكام جماعة المسلمين، العلماء قالوا في حالة عدم وجود الإمام فإن كثيرًا من الأحكام تُناط بأقرب شيء يقوم مقام الإمام، مثلًا: إن كان هناك قاضي في المنطقة يرجع إليه الناس ويتحاكمون إليه، إن كان هناك نظام قبلي معين، هذا كله ذكروه، بل إذا اصطلح الناس على رجل ولّوه الأمر وأقاموا حتى الحدود، حتى الحدود التي هي أمرها عظيم، وهكذا قسمة الغنائم إلى آخره لا بأس، يحل محله، وتزويج النساء اللاتي لا ولي لهن، وهكذا الوصاية على الأيتام ونحوها من يتولاها؟

تكلموا عليها في أبواب الفقه قالوا يقيمها إذا كان فيه قاضي أو عالم أو شيخ قبيلة أو نحو ذلك يرجع إليه الناس يخضعون له نوع خضوع، وإن كان ليس عنده تمكن كامل يعين لكن يستطيع هذه الأشياء يؤديها؛ ولهذا نقول: بالنسبة للجماعات القائمة الآن، جماعة مجاهدة كهذه الجماعة عندنا في هذه المنطقة تستطيع أن تقوم بكثير من الأحكام وهكذا، الأموال التي تأتي إليها هي إلى بيت مالها فهي تصرفه في المصالح التي تحت رعايتها ولا يلزمها أن تقسم على كل المسلمين في السينيغال عند إندونيسيا!! لا يلزمها هذا، ولا يجب.

بل هذا قد يكون من الفساد حينئذ، يكون من الفساد الذي يبغضه الله وينهى عنه، كيف يأتيني أموال نقسمها ونوزع هناك ونرسل! لا، هذه جماعة جهادية الأموال التي تأتي لها تعمل بها في الجهاد، فلو قسمناها بهذا الشكل انعدم تأثيرها وبطلت الجماعة التي تجمع الآن، بطلت أصلًا وغلبَنا العدو وانتهينا! فلا يصح هذا، هذا فساد ظاهر.

أما مثلًا أن يأتي لي أخ يسألني عن بعض المال، أقول له: ضعها في بيت المال، يقول: أين بيت مال المسلمين؟ نقول: أقرب بيت مال، حتى جمعية مثلًا في مكان معين في ناحية من الأرض، جمعية معينة وموثوقة ومأمونة بإمكانها أن تقبل هذا المال وهي تمثل بيت مال المسلمين في ناحية معينة –جمعية ليست جماعة بالمعنى الاصطلاحي، جمعية خيرية– بشرط أن تكون مأمونة في يد ناس أمناء، يستطيع الإنسان أن يعطيها تبرعًا أو الأموال التي لا يُعرف أصحابها أو أموال تاب عنها صاحبها مثلًا.

البغي التي كانت تأخذ أموالًا عن الزنا والفاحشة –والعياذ بالله– ثم تابت، سراق كان يسرق ثم تاب، واحد كان يصنع الخمر ويبيع ثم تاب، هذه الأموال ينبغي أن يخرج منها تمامًا لتوبته، ولا تصح توبته ولا تكمل توبته إلا بأن يخرج من هذا المال.

ماذا يفعل به؟

هناك مذاهب للعلماء، منهم من قال يتلفه، ومنهم من قال يضعه في بيت المال وهكذا، هناك تفاصيل أخرى إن كان مغصوبًا أو مسروقًا ثم لم يُعلم أصحابه قيل يتصدق به عن أصحابه وهكذا، لكن في حالة إذا كان لا توجد سرقة أو غصب مثل أن تكون بغيًا فهذه ليس لها إلا القولين الذين ممكن ينطبقوا عليها، الإتلاف أو

تضعها في بيت المال، الإتلاف هذا أضعف الأقوال، ولا تدل عليه الشريعة بل تدل على ضده؛ الله لم يأمر بإتلاف الأموال بل ينهى عن إتلاف الأموال، الصحيح هو أن يرجع إلى بيت المال.

طيب أين بيت المال؟ لا يوجد للمسلمين إمارة جامعة أو إمامة جامعة ودولة عندها بيت مال، أقرب بيت مال لجماعة قائمة ضعها وتُصرف في مصالح المسلمين.

بالنسبة للجماعات الجهادية مثل الآن ما عندها من أموال وخزينة وبيت مالها هي، هو بالأساس مصروف في مصالح الجهاد التي هي قائمة بها، قائمة بولاية معينة يصرف هذا المال في مصالح هذه المهمة والولاية القائمة بها وهي الجهاد في سبيل الله والدعوة إلى الله -سبحانه وتعالى-، هذا العمل الذي نحن فيه بكل عمومه وبكل تفاصيله، بحيث نحن حتى لو أنشأنا بها مدرسة مثلًا فإن ما ننشئه يخدم هذا المقصد الجهادي الذي نحن فيه، لو تألفنا بها إنسان فإنما يخدم هذا المقصد، فهي تكون في هذا المقصد، مقصد العمل الذي نحن قائمين به، مقصد الجهاد وما يخدمه بحسبه.

جاء واحد مثلًا من بلاد بعيدة يقول: أنا أريد كفالة، نقول له: لا نستطيع أن نعطيك كفالة، ولا نستطيع أن نكفل المسلمين جميعًا، نحن نكفل من احتجنا إليه في عملنا ومجاهد معنا ومحتاجين إليه نكفله؛ لأنه سيتفرغ للجهاد، ما دمنا قادرين -حسب الإمكان على كفالته-.

ولنفرض أننا عجزنا عن كفالته نقول له: لا نستطيع أن نكفلك، جاهد في سبيل الله ودبّر نفسك، لكن نحن ما دمنا قادرين وعندنا نوع قدرة -والحمد لله هذا موجود في المتوسط- نكفل الذي هو متفرغ للجهاد، الإنسان الذي سيتفرغ للجهاد ويكون معنا يأخذ من بيت المال بحسب حاجته وما يزيد عن الحاجة قليلًا بحيث لا يضيق عليه، وهكذا، نقدر تقديرات اجتهادية، لكن ما نستطيع أن نكفل المسلمين جميعًا.

ولهذا يأتينا الإخوان من تركستان ومن تركيا ومن بعض البلدان الكثيرة، وكثر جدًا لو نحن حاولنا نكفل هؤلاء الناس عادَ هذا على عملنا بالزوال والبطلان والخسران، فما نستطيع، لكن نحن بالانتقاء وبالاختيار.

بعض الناس معنا لا بد أن نكفلهم؛ لأنهم قائمون بمصلحة الجماعة والعمل بالجماعة هذه وبرامجها فلا بد الجماعة تسد حاجتهم، من قام بمصالح المسلمين وجب على المسلمين القيام بمصالحه، وهذا بحسبه.

لو قال: أنا أخدم هناك وأنا قائم بمصالح المسلمين. أقول: أنت تشتغل هناك لست تبعي ولا مسؤوليتي، لكن أنا باعتباري عندي ولاية أو مسؤولية أو أمانة معينة، عندي جهاد قائم به وعمل، من كان تحتي وتبعي ويخدم معي في هذا المشروع فالأموال التي تأتيني أنا أوزعها على الناس وأكفل الناس وأسد حاجتهم وخلتهم بحسب الإمكان، وغالبها هي راجع إلى هذا فينتبه الإنسان لها، ليست حقوقًا مستقرة بمقتضى الإسلام أن أي مسلم لا بد له حق! هذا إذا كان في دولة الإسلام والناس كلهم تحتها خاضعون لها، حينئذ الموجود هناك في أقصى الدنيا، القرش الذي يدخل بيت المال عنده فيه حق لمجرد كونه مسلم تابع للدولة الإسلامية، لكن الآن لا، الجماعات ليست بهذه المثابة.

فأسباب الاستحقاق ينظر فيها، يعني أي أمر من الأمور سواء المعنوية أو الحسية مثل العطاءات وغيرها ينظر في أسباب الاستحقاق، فالإنسان إذا كان يستحق شيئًا يُعطاه، الذي ليس مثله ولا يستحق يعني ليس عنده من أسباب الاستحقاق مثل ما عند الأول فبحسبه لا يُعطى مثل الأول. فيه شيء تريدون مناقشته؟

أحد الحضور: (...)

الشيخ: أنا فقط ضربتها كمثال طبعًا، ليس في كل شيء، من أسباب الاستحقاق حاجة الإنسان في العطاء، يُنظر إلى حاجته فتُسد حاجته، يُنظر إلى سبقه ممكن يُفضل بالسبق وهذا مذهب سيدنا عمر، غَناؤه في الحرب والجهاد وكذا، سيدنا عمر اعتبر هذا، قد نعتبر نحن الآن أشياء معظمها راجع إلى هذا كله.

في العمل الجماعي الآن نعتبر سبب التألُّف، تألف قلوب بعض الناس ونعطيها، وإن كان هذا ليس سبب للاستحقاق؛ لأنه هو في نفس الأمر لا يستحقه وإنما نحن أعطيناه لحاجتنا إلى تألفه، وقد يكون حرامًا عليه – انتبه إلى هذا– المتألَّف: الإنسان الذي نتألفه، هذا ممكن يكون حرام عليه أن يأخذ، ولكن نحن ليس حرامًا علينا، فتنفك جهة المعطي وجهة الآخذ.

السائل: لماذا يا شيخ حرام عليه؟ من أي ناحية؟

الشيخ: قد يكون حرامًا عليه، ليس دائمًا، انتبه، قد يكون حرامًا عليه إذا كان هو لا يستحقها، غني مثلًا وهذه الأموال نحن محتاجينها في أن نسد بها ثغرات أخرى وفي نفس الوقت هو آتٍ ويطمع في المال ويلمح أو لا يرضى حتى تعطيه أو لا يخدم الخدمة حتى تعطيه، فأنت تتألفه حتى لا يضرك وحتى تكون علاقته معك جيدة، فتتألفه فهو يأخذ وفرح بالمال ولا يستحقه في نفس الأمر، فقد يكون حرامًا عليه وهكذا، تنفك جهة الآخذ والمعطي في عدة مسائل ذكرها الفقهاء منها هذه، قد يكون هو حرامًا عليه، قد يكون.

أحد الحضور: لو وقفنا في هذه النقطة قليلًا يا شيخ، الوضع الحالي للجماعة، يأتي مجاهد من المجاهدين يريد أن تكفله، والحال صعب أن تكفله، يؤثر عليك ولا تستطيع أن تكفله، وترده أو أنك تبقيه! لو جاء لك عشرين أو ثلاثين شخص أو أربعين هكذا يريدون الدخول معك، أنت في الأول ترى ممكن واحد تحتاجه عنده شيء، تنتقي منهم انتقاء، لكن في حالة وصوله إلى هنا أو الجبهة هنا، ممكن الرجوع يؤثر عليه أو أن بقاءه هكذا...! ما الحل، ما العمل في هذه الحالة؟

الشيخ: نسدد ونقارب، نراعي ما نستطيع من المصالح، لكن ليس في كل مرة تستطيع أن تقبل الناس عندك في الجماعة، الناس كلها تريد تدخل القاعدة -على سبيل المثال-، تصور أنك قبلت الناس كلها ماذا يحصل لنا؟ هل يستقيم هذا، كثير من الناس نردهم؛ لعدم الإمكان والعجز نعتذر لهم.

السائل: وفي المستقبل القريب لا توجد إمكانية تنفتح طرق للمال؟

الشيخ: ما فيه شيء هكذا كبير، ممكن تتحسن الأوضاع قليلًا، لكن بقدر ماذا ستوف تتحسن؟ نبقى نحن جماعة محدودة في النهاية إلا أن يشاء الله -سبحانه وتعالى- وتكبر ويفتح لنا ربي فتوحات كبيرة وتنهار أمريكا -إن شاء الله- وتكبر الجماعة، لكن الآن ما زال مراحل، نحن جماعة محدودة عندها قدرات محدودة وإمكانيات محدودة ولا يناسبها الكثرة والانبساط جدًا جدًا، فما نستطيع نقبل، أن تقبل إنسان معك عضوية كاملة، أو بيعة أو عهد أو غيره معناها يصير عليك مسؤولية، أنت مسؤول عنه، فلا نستطيع أن نقبل كثير من المسلمين،

لكن نقبل بحسب حاجتنا وبحسب ما يستمر به عملنا بنجاح، ويحقق المصلحة، نحن قائمين بجهاد لا نستطيع أن نقبل ناس كثيرين فيعود علينا هذا بالفساد، السبب هو العجز، هذا نشرحه للناس.

قبل مدة أتوا لنا إخوة أتراك وشرحت لهم هذا فراحوا مطمئنين، فنحن عاجزون لا نستطيع أن تكونوا معنا، لكن ندربكم وترجعون إلى بلادكم وتكمنون في أرضكم.

النبي ﷺ أتى له أناس في مرحلة من المراحل وقال له: (ارجع إلى بلدك حتى إذا سمعت بي ظهرت فأتني) قالها لأبي ذر وقالها لعمرو بن عبسة وقالها لغيرهم، موجود هذا، ما كان يستطيع يقبلهم في مرحلة من المراحل، نحن أيضًا كذلك.

تصور أتوا لي آلاف من الأتراك مثلًا، لا أستطيع أن أقبلهم، فأنا اعتذرت لهم وقلت لهم لا نستطيع، هذا واقعنا، نحن جماعة صغيرة محدودة، مواردها محدودة، إمكانياتها محدودة، قدارتها –حتى المعنوية–، نحن كقيادة، كأفراد، ككوادر، كطاقات، ماذا يقدرنا أن نربي الناس، أن نعلم الناس، أن ندرب الناس، أو نأتي بهم ونضعهم هنا ونقول لهم تعالوا ثلاثين واحد أو أربعين في بيت، ثم؟ يتمردوا عليك ويعملوا عليك مظاهرة!! فلا يمكن، لا هم تربوا ولا تعلموا.

نحن هنا قليل مشاكل وشكاوي كثيرة من البطء في التدريب والدورات والانتظار وصعوبات الانتظار، مشاكل كثيرة جدًا كيف نستطيع أن نقبل عدد كبير؟! بالعكس نحن نتوقف في مراحل معينة، وبالفعل كنا موقفين في الثلاثة شهور الماضية عن استقبال الناس.

ومع هذا مع أننا آمرين بالتوقيف كان الناس بالإلحاحات وكذا ويعتذر الإخوة، ويرسلوا الإخوة من إيران: والله بالسيف قابلنا هذين الاثنين ويلحون جدًا وإخوة مضطرين، ويأتي الناس لنا ونحن موقفين، نحن بالأساس تنظيم عربي، والعرب هم الأساس عندنا في التنظيم وهكذا، حسب برنامجنا أيضًا وتكويننا وكذا فعندهم أفضلية قليلًا، وأيضًا أحوالهم أسهل، رددنا بعض الأتراك، أكراد إخوة من إيران رددناهم والله، دفعتين تقريبًا رددناهم.

الأكراد في إيران هناك مئات ممكن يأتوا لك لو تفتح لهم فقط، لو تقول لهم: تعالوا، هم يأتون لنا!

نقول: لا نستطيع أن نقبلكم كونوا هناك حتى يفتح الله، ما عندنا قدرة الآن، فكله راجع للعجز، لا لأننا لا نريد المسلمين ونمنعهم ولكن نحن عاجزون، باختصار، فنعتذر لكم لا نستطيع، لكن إذا لم نقدر أن نقبلكم ولم نقدر نستوعبكم ولم نقدر أن تكونوا معنا الآن في هذه المرحلة قد نستطيع شيء أقل من ذلك مثلًا التدريب، قلنا لهم: شيء جيد التدريب أرسلوا كل شهر كذا وكذا عدد نحن ندربهم معنا شهر أو ثلاثة ويرجعوا لأرضهم ويبقوا هناك، يوم يقوم جهاد في الشام، يقوم جهاد في تركيا نفسها، تسقط أمريكا، وإيران تقوم فيها حرب، التغيرات الدولية آتية، الله –سبحانه وتعالى– يفتح، يكون لكم دور وتكونوا مستعدين وأنتم ذخيرة، وأنتم الحمد لله أبرأتم ذمتكم بهذا حققتم فرض الإعداد وبذلتم أنفسكم وكنتم مستعدين للجهاد، قلنا لكم استريحوا هناك، أنتم أسقطتم الذي عليكم، لماذا مستعجلين؟ لازم كل واحد يكون معي الآن؟ مرحلة الانتقاء ومرحلة الاختيار ومرحلة جماعة صغيرة لا يناسبها أن نكون أعدادًا كبيرة جدًا فوقنا طيران يضرب فيهم ولا نستطيع نهرب، لا ينفع هذا، مرحلة عدد صغير.

أحد الحضور: ألا يمكن استغلال هذه المناطق مثل تركيا بتدريب مجموعة وإنشاء المعسكرات؟

الشيخ: غير ممكن هذا، تُضرب، ما رأيك نبعثك أنت ومعك ثلاثة أو أربعة؟

السائل: من الأتراك هناك.

الشيخ: الأتراك يعملوا هكذا ومع ذلك ينضربون وأمنيّاتهم ضعيفة وتحصل لهم مشاكل وتعرفوا أنهم حصلت عليهم حملات شديدة، الأمر ليس سهل، تقول لي: أرسل مجموعة ويعملوا هناك! أنت لا تشتغل وحدك في الساحة، أنت في ساحة عدوك فيها نفس الشيء وهو المسيطر وهو المتمكن، ليس سهل أبدًا، كيف ترسل مجموعة تتدرب هناك؟ لا يمكن، إلا على نطاق ضيق جدًا، نطاق سري للغاية، تدرب أعداد محدودة فقط لأعمال خاصة، أما تفتح معسكرات وتبعث ناس وكذا!! فقط أسبوعين ثلاثة فإذا بك عليك حملة وماسكين مئة أو مئتين وقاتلين كذا وكذا وانتهى، فهذا الذي حصل من قبل.

إخوة أبو خالد -أبو خالد التركي تعرفونه، أخ من القدامى الذين كانوا معنا- ذهب لتركيا هناك وكان عنده مجموعة وما زال امتداداتهم موجودة حتى بعض الناس الذين أتوا لنا مؤخرًا قالوا إنا كنا مع أبي خالد، فهو هناك حاول يفتح عمل تدريبي وعمل بعض الأشياء.

ليس عندنا فرع تنظيم القاعدة في تركيا ولكن يحاولوا إنشاء نواة وبدأ عمل تدريبي فقط إعداد وهكذا، ضربتهم الحكومة بسرعة، الأمر ليس سهل، دول مسيطرة عليها دولة!

السعودية، لماذا لا تبعث للسعودية مجموعة وتذهب هناك وتفتح معسكرات وتدريب وكذا؟ لماذا يأتوا لنا كلهم السعوديين هنا؟

ومصر، لماذا لا ترسل مجموعة هناك في مصر أيضًا تعمل تدريب، وليبيا وتونس والجزائر والمغرب والشام وغيرها!

صعوبات الواقع، ما تستطيع، لا يمكن، هذا غير ممكن إلا على نطاق ضيق جدًا جدًا ترسل شخصين ويكون لازم عندك أحد من أهل الأرض هناك من الأنصار يرتب لهم يكون سبقهم ورتب لهم، ويكون عندهم تموين أو مصدر هناك يأخذوا منه على نطاق ضيق، ويدخلوا ثلاثة أنفار أو أربعة يجندوهم ويدربونهم في بيوت -كلها في بيوت-، ثم ينتشروا، وبعدها يأخذوا دفعة ثانية، حاجة متقنة جدًا، وإلا لو إنسان هكذا يعمل كعمل بعض إخواننا عمل فوضوي فهذا ينضرب سريعًا، وينتهي.

فهذا غير لازم، الناس لا نتحمل مسؤولياتها، ما نستطيع، هذا عمل دقيق وعمل خطير جدًا في غاية الخطورة تقوم به مكاتب صغيرة جدًا جدًا، نحن عندنا في بعض البلدان تدرب نفرين أو ثلاثة فقط، أعمال خاصة فقط، أما تفتح معسكرات! كيف تفتحها في بلاد مسيطرة عليها دولة بوليسية، مسيطر عليها الاستخبارات! هذا لا يمكن فتح معسكرات فيها بهذا المعنى إلا أن يقوم فيها حرب، فتبقى ساحة حرب، يسقط النظام، يبدأ الاضطراب والفوضى والانفلات الأمني، مثل الشام الآن، لبنان يقولوا لنا ابعث لنا أو كذا -مع أنه لبنان ممكن تختلف قليلًا عن سوريا، حتى سوريا نفسها أحسن من بعض دول الخليج أو من مصر، وهكذا، يختلف من بلد إلى بلد، بعض البلدان- ممكن تبعث فيها اثنين ثلاثة مدربين ويبدؤوا يدربوا ويجهزوا الناس في أماكن معينة، فيها

صحاري وفيها جبال وفيها غابات، فيها مناطق فيها مجال للاختفاء والحركة والبعد عن سيطرة الطاغوت وهكذا، فيختلف من بلد إلى بلد.

تركيا فيها بعض المجال أيضًا، مناطق الأكراد بالذات ديار بكر وهذه المناطق التي فيها حزب الأكراد، فيها مجال، ولكن ليس بسهل، في غاية الصعوبة، ولهذا نحن محتاجين أن يأتي الناس ويتدربوا هنا ويتدرب أفواج وأفواج سنة وسنتين وثلاثة وأربعة وتتغير تأتي الظروف، تتغير ظروف الواقع العالمي، ممكن أمريكا أو إسرائيل يضربوا إيران في أي مرحلة من المراحل، ممكن يضربوها، وارد هذا ما زال احتماله مستمرًا.

أمريكا إذا انهارت وحصلت لها انهيارات تبعًا لها في الدول هذه وفي إسرائيل وغيرها سيكون فيه تأثيرات كبيرة في العالم، لو حصل انقلاب في باكستان هنا وانهيار للدولة، لو خرجت أمريكا من العراق وخرجت من أفغانستان، نحن منتظرين فرصتنا التاريخية، المهم نكون دائمًا مستعدين، ودائمًا على أهبة الاستعداد وفاهمين ومنتظرين، وغير مستعجلين، لا تستعجل، هذه جماعة سوريا يقولوا سوريا سوريا والعمل والشام ورسائل وكل يوم يرسلوا لي مجموعة رسائل، لا نستطيع نحن أن نعمل في سوريا الآن؛ لأن نحن قصارانا أن نرسل شخص أو شخصين يعملوا عمل دقيق وعمل أمني شديد، أما تفتح معسكرات في سوريا الآن! ما تستطيع، لكن يومًا ما يبدأ الجهاد في سوريا، لبنان والشام تنفتح وينفلت أمن الطاغوت وتضطرب الدنيا نحن نستغل فرصتنا، انهار النظام.

هؤلاء الناس الذين تدربهم أجيال، أنت تدرب أجيال، بعد فترة بسيطة تجدهم، فلان تدرب عندنا وفلان مرتبط بنا، وهكذا، وهذا الذي حصل للقاعدة نفسها وفي كل مكان بدأ الجهاد، في بلدان كثيرة جدًا تدرَّب معظمهم هنا في هذه الساحة، فهذه ساحة تأسيس وأم للساحات الأخرى، هذه فائدة كبيرة للمسلمين أنهم يجتمعون ويشعرون بالانتماء لجماعة واحدة، أو لفكر واحد وعقلية واحدة وذهنية واحدة، وصارت عندهم ثقافة مشتركة، وصار عندهم آمال وآلام مشتركة، صار عندهم ترابط، حتى لو ذهبوا وفتحوا هم جهاد في أماكن أخرى، الإخوة في الصومال ذهبوا وجاهدوا -وإن كانوا ليسوا معنا رسميًا الآن، لكن هم أولياؤنا ومحبون لنا وبإمكانهم يدخلوا معنا، بل هم عرضوا ليدخلوا معنا من مدة-.

فالعمل الجهادي عمل كبير وواسع ما نستعجل فيه نمشي حسب طاقتنا وحسب قدرتنا، والذي نعجز عليه نعتذر ونقول للمسلمين انتظروا واصبروا حتى يفتح الله -سبحانه وتعالى-.

أحد الحضور: لكن التدريب نستطيع؟

الشيخ: حتى التدريب بحسب إمكانياتنا، بقدر ماذا تستطيع أنت أن تدرب ناس في شهر؟ مثلًا الإخوة الأتراك كثير جدًا، الحركة الإسلامية قوية، شباب ومجتمع شبابي، وناس تحب تنفر، لكن بقدر ماذا تستطيع أن تدربهم أنت، في الشهر كم يأتيك؟ فلازم حسب إمكانياتك.

السائل: لو تفتح كم يأتوك؟

الشيخ: يأتي لك آلاف يا رجل!

السائل: (....)

الشيخ: ما عندنا مشكلة أبدًا، خاصة أنهم لو علموا أن الدنيا خلاص، يأتيك المتزوج ثم يقول لك أنا عندي أبناء وأهل -هذه مشكلة نحن نعاني منها-، يأتيك ثم يقول لك: أنا أريد أن آتي بعيالي، نقول له: لا نقدر نحن نستضيف عيالك، أحضرهم أنت لكن لا تأتي تقول لي أريد كفالة، وأريد كذا، أنا ما أستطيع، من الآن عاجزون.

ما نستطيع كل واحد نشرح له ونجلس معه، وإلا نسجل شريط ونجلس مع الناس نقول لهم تعالوا اسمعوا هذا الشريط لو سمحتم! ما تستطيع تشرح للناس كلها، أو تحرج مع الناس، لكن نحن لازم نكون نحن فاهمين أنفسنا.

أنت تصور موقف أبي ذر لما النبي ﷺ قال له ارجع، أو عمرو بن عبسة!

الطفيل بن عمرو ربما كان قليلًا في حالة... قال له اذهب دعوة لقومك أو كذا، ثم قال له اجلس، موقف محرج، صعب، لكن هي قرارات صعبة لا بد منها، أنت ليس عندك مجال وإلا يحصل فساد.

حتى في أقدار الناس، التفريق بين الفاضل وغيره

ولهذا قالوا:

" وإذَا الحبيبُ أتى بِذَنْبٍ وَاحدٍ *** جَاءتْ مَحَاسِنُه بأَلْفِ شَفِيعِ "

"أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم"

"ولو غيرك قالها يا أبا عبيدة"

سيدنا أبو عبيدة لما قال لسيدنا عمر: "أتفرُّ من قدر الله" غضب منها سيدنا عمر قال: "لو غيرك قالها يا أبا عبيدة"

لضربته لكن أنت أحتملها منك، وإلا أنكرها سيدنا عمر هذه الكلمة وقال لا تصح أن تقولها أنت يا أبا عبيدة لو غيرك قالها لنكلت به، لكن أنت يا أبا عبيدة قدرك ومقامك عظيم، وهكذا.

فيختلف، يأتيك الحبيب والرجل الفاضل غلط غلطة تُغتفر، ويقول الكلمة فتُغتفر ويتسامح منها، ويقف الموقف مثلًا يغضب منك ويمشي ويتركك وتُغتفر، لكن واحد ثاني ليس بمنزلته لا تغتفر له، أو لا يُسامَح فيها، وممكن يعاقب عليها! فيختلف هذا كله، إذن هذا أيضًا من العدل، فينتبه له الإنسان ويعرف الإنسان قدر نفسه ويعرف أقدار الناس، هذا مهم جدًا.

سيدنا عمر في الحديث الصحيح لما كلم ابنته حفصة عندما سمع أنها تراجع رسول الله ﷺ فغضب عليها، وقيل ضربها أو مسكها وهكذا، قال: أتراجعين رسول الله ﷺ؟!

فقالت له: كل أزواج النبي ﷺ يراجعنه!

تعرف معنى يراجعنه؟ يعني يجادلن ويناقشنه ويقلن لا ليس هكذا ونحن نريد كذا، يناقشوا فيه.

فجاء لبيت النبي ﷺ وتكلم مع بعض أزواج النبي ﷺ -والقصة التي حصلت المشهورة- وقيل له: أنت تدخل يا عمر في كل شيء حتى دخلت بين النبي ﷺ وأزواجه!

القصة في الصحيح، الشاهد فيها -هذا الذي أردت أقوله- سيدنا عمر لما جاء ينصح ابنته حفصة قال لها: لا يغرنك تلك التي أعجبها حسنها ووضاءتها -يقصد عائشة-. يعني لا تجعلي روحك مثلها، تلك جميلة وحسناء ووضيئة والنبي ﷺ يحبها كثيرًا، فأنتِ لستِ في مرتبتها، هذه تراجع ممكن مقبولة لكن أنتِ لستِ مثلها!

فانتبه للحكمة هذه، تجدون هذا الحديث في الصحيحين في البخاري قطعًا وأظنه في مسلم أيضًا.

يحصل عند بعض الناس أحيانًا تنطع في مفهوم العدل الخطأ، -كما قلنا- راجع لموضوع التسوية والمساواة والعدل، رأيت في بعض الإخوة في الجزائر، أذكر في بعض المواقف: البطيخ -الحبحب- أحدهم يأخذ الموس ليقسمها، فرأيتهم مرة -وأنا كنت جالس استغربت كنت قريب عهد في وجودي معهم أظن- فكل واحد يقول لا أنا ما أقسمها، أقسمها أنت، يتدافعونها، ما فيه أحد يريد أن يقسمها! قلت ما المشكلة؟ قال أخاف ما أعدل! هو ممكن يكون جيد في ظاهره لكن أنا عندي أن هذا ليس بجيد؛ لأن بعد مدة هؤلاء الناس كان فيهم تنطع شديد، بعضهم صار من الخوارج ومن التكفيرين -والعياذ بالله-.

لكن هذا شيء من الغلو والتنطع في الدين؛ لأن الله -سبحانه وتعالى- أمرنا بالعدل ولكن ما جعل علينا في الدين من حرج، فكونك أنت تأتي لتقسمها فتكون قطعة أكبر قليلًا من قطعة ثانية لا يضر هذا، أنت تجتهد تقسم البطيخة للناس فتعطيهم شكل متساوي، لكن أنت ليس معناها لازم تأتي بكمبيوتر وميزان حساس إلكتروني ديجتال وتقسم به الأحمر! -طبعًا لازم تحول الأبيض لأنه ليس فيه فائدة- الأحمر كله توزنه بالميزان! ما ينفع هذا، وهذا تكليف ما لا يطاق وإدخال لنا في حرج شديد، فينتبه الإنسان أنه بالمعروف.

أمور مثل هذه كثير، الله -سبحانه وتعالى- قال بالمعروف، فينتبه لهذا ما يدخل الإنسان الوسواس في عقله، وكانوا أيضًا الخبز يقسمونه بشكل هم يسموه "المورسو" يعني الجزء أو القطعة، بالفرنسية أصلها، يقسمونه ويتحرون فيه، فكلمتهم قلت هذا شيء من التشدد لا يوجد داعي له، أنت قسم تقسيمًا مقاربًا وتوكل على الله وبسم الله، ثم ما الداعي للتقسيم؟ كلوا مع بعضكم ولا تقسموا يُبارك لكم الله فيها.

ولهذا أيضًا في كلامنا على العدل أحيانًا ليس ضروريًا القسمة والحسابات؛ لأنها ترفع البركة، أمنا عائشة -رضي الله عنها- توفي النبي ﷺ وعندها صاعًا أو قالت: "شيئًا من شعير" فأكلَت منه كم شهر، المفروض يتم هو في أيام فأكلت منه مدة طويلة، ثم جاء خاطر لها قالت نحسبه ونكيله وهكذا، قالت: "فكلته ففَنِي" لما كالته فَنِي!

جاء في سنة النبي ﷺ وهديه التحذير من العد والحساب والكيل وغيره في غير مواضعه، مواضعه في المبادلة والبيع والشراء وهكذا، أو تقسم بين الناس، هذا خمسة كيلو وهذا كذا، كيل، هذا توزيع، لكن أنت في مالك أو في شيء ابتعد دائمًا عن الحسابات والتدقيق فيها، فإذا كان هناك اجتماع وأنتم تأكلون مع بعضكم الخبزة قسمها تقسيم معروف من باب التقريب جنب الناس ويأكلوا مع بعضهم، أما أن تضع لكل واحد قطعته...! ينمي الشعور بالأنانية والفردية، ونوع من الملكية والقنوة ويزيل معاني الأخوة والمشاركة والتضامن وغيرها، فيها إيحاءات ليست جيدة، ليست جيدة تربويًا، لا تقسمها هكذا، تعطي بالمعروف فقط، لكن إذا أحضرنا أشياء مقسمة قطع قطع فكل واحدة قطعة، لكن الأشياء التي هي في العادة أنها يُشترَك فيها فيأكل الناس مع بعض بالمعروف.

في قِران التمر مثلًا نهى النبي ﷺ عن القِران -أن يأكل بالحبتين إلا أن يستأذن- قال سيدنا عبد الله بن عمر: "إلا أن يستأذن صاحبه أو أخاه" لكن منهي الإنسان عن القران.

القران: أن يقرن بين التمرتين، يأخذ بالتمرتين ويأكل، بالاثنين، منهي عنه؛ لأن هذا يؤدي إلى أن بعض الناس يكون جشع والناس تأكل بالحبة وتكون متحشمة وهو مستغل فرصة استحياء الناس، وليست جيدة حتى في الخلق في الظاهر في الصورة وتؤدي إلى فساد الأخلاق وانتشار قلة الحياء في الناس، الشريعة راعت أن الأخلاق المذمومة تكون دائمًا مذمومة وتعمق في قلوب الناس وفي نفوسهم ذمها وألا يستعملوها؛ لأن الأخلاق الفاسدة هذه إذا انتشرت واستمرأها الناس تؤدي إلى انعكاسات في نفوس الناس قبيحة جدًا جدًا، فنهت عن القِران إلا أن يستأذن صاحبها، مثلًا كان يأكل بسرعة: اسمح لي يا أخي آكل بسرعة وماشي، أو كان التمر كثير لا يُخشى عليه من التزاحم والتشاحّ، لكن في الحالات التي يكون قليل فتأكل بالحبة، وتعلم نفسك ألا تأكل سريعًا ولا تكبر اللقمة، يضع طرف الجبنة في الغمسة الأولى يأخذ نصفها! لا، تأخذ القليل وتعلم نفسك وتعلم

الآخرين وتعلم من حولك وهكذا، وحتى في تربية الأطفال هذه مهمة جدًا، تعلمه ألا يكبر اللقمة، فهذه من أسباب البركة، والإنسان لا يتشدد في العدل لدرجة أنه يقسم ويحسب ويعد ويكيل في الأمور هذه.

(السبق)

السبق له مزية وفضيلة لكن ليس معناه أن السابق هو أفضل بالضرورة من اللاحق، العلماء ذكروا خاصة الأدباء منهم تكلموا في مسألة "أيهما أفضل السابق أم اللاحق"، وهو كلام فلسفي ليس له قيمة كبيرة، الأدباء مغرمون بمثل هذه المسائل وعندهم فيها أشعار وأنظام وغيرها، لكن الحق الذي حققه علماؤنا أهل التحقيق قالوا: "والحق أن الفضل للفاضلِ لا للسابق ولا للاحقِ"

الفضل للفاضل، الفاضل في نفسه وفي ذاته، والسبق هو مزية من المزايا، والمزية لا تقتضي الأفضلية الكلية، المزية هي مع مجموع المزايا ومجموع الفضائل تكون قيمة الإنسان الكلية.

هذا الإنسان سابق وهو فاضل في ذاته، عنده علم وعنده تقوى وصلاح وخشية وشريف النسب وبلاؤه حسن وكذا وكذا، هذه مجموعة مزايا.

ورجل ثاني عنده سبق، فعنده فضيلة السبق لكن ليس عنده باقي المزايا، أو عالم فقط لكن ليس عنده بقية المزايا، فنحن عندما نقارن بين الناس نقيس المزايا هنا وهنا، نعمل موازنة فيكون الفضل للفاضل الذي هو أكثر مزايا وأكثر فضائل، هو هذا الأفضل، السبق هو مزية من المزايا لا تقتضي بالضرورة أفضلية السابق على كل حال.

لكن لا شك أن السابق إلى الخير السابق إلى الفضائل السابق إلى الجهاد إلى الهجرة إلى الإسلام عنده مزية من جهة كونه سابقًا، فإذا أضيف إليها مزايا أخرى تكمُل فضيلته، وغيره ممكن يفقد فضيلة السبق لكن عنده مزايا أكثر غلبت على غيره، فيكون أفضل إذا كان مجموع فضائله أكثر من الأخرى.

نضرب مثالًا: سيدنا عمر ليس من السابقين بالنسبة لكثير من الصحابة، مذكور في السيرة أنه أسلم على رأس أربعين شخصًا، فالعشرة المبشرون بالجنة كلهم قبله، التسعة الآخرون هو عاشرهم، إسلامهم كلهم قبله بكثير جدًا، أبو بكر طبعًا أول واحد، ثم عثمان، قيل عثمان هو الذي جاء وراءه أبو عبيدة وعبد الرحمن وطلحة والزبير، قالوا هؤلاء جاؤوا كلهم -وربما حتى سعيد بن زيد- هؤلاء جاؤوا على يد عثمان، وأبو بكر قبلهم، أبو بكر هو الذي أتى بعثمان ودعاه، وعثمان ذهب فكلم هؤلاء وكذا، وعلي وحده كان في حجر النبي ﷺ وأسلم، وقيل أنه أسلم حتى قبل أبي بكر، تعرفون الأقوال التي فيها.

ومع هذا سيدنا عمر أفضل من الجميع ما عدا أبي بكر، أجمع أهل السنة أن سيدنا عمر أفضل واحد من الصحابة بعد أبي بكر، أبو بكر هو الأول إجماعًا، عمر الثاني بعده إجماعًا، عثمان الثالث على خلاف قليل في السلف كان ثم انتهى، وقع الإجماع كذلك أن رُتَبهم في الخلافة هي رتبهم في الأفضلية والله أعلم، أما أبو بكر وعمر فلا يوجد خلاف بين أهل السنة جميعًا، ما عدا الروافض الزنادقة هؤلاء لا نتكلم عنهم، حتى بقية الفرق: المعتزلة والجبرية والجهمية وغيرهم كلهم مع أهل السنة في هذه الأبواب، ليس هناك فرق في باب الصحابة.

فالمقصود: سيدنا عمر لم يكن سابقًا بالنسبة إلى عثمان لكنه أفضل من عثمان، بماذا استحق الأفضلية؟ بما عنده من المزايا الأخرى، هم غلبوه بالأسبقية فهم أفضل منه عندهم مزية السبق، لكن هو بمجموع المزايا غلبهم، الصلاح والتقوى والخيرية التي فيه، هي مجموعة مزايا صغيرة كثيرة جدًا، الأخلاق والفضائل والتقوى وقوة الإيمان والفقه وما فتح الله عليه بالعلم والعمل، فغلَب سيدنا عمر، فننتبه إلى هذه النقطة، نقطة الأسبقية.

أحد الحضور: لو جمع بين السبق والغَناء، الغَناء هو فضله.

الشيخ: لا، حسن بلائه في الإسلام، ممكن يكون متأخر لاحق لكنه مثل خالد بن الوليد مجاهد شجاع وبطل ورجل صاحب اقتحامات، رجل يساوي ألف، ولكن واحد سابق مسكين وضعيف يساوي واحد فقط، هناك فرق.

فهمتم معنى الغَناء؟ الغَناء يعني بلاء الإنسان الحسن، نفعه.

السائل: يعني هذا على قصة عمر -رضي الله عنه- هم سبقوه لكن هو غَناؤه كمل عليه؟

الشيخ: غَناؤه وبقية الفضائل، إيمانه وتقواه وخشيته لله -سبحانه وتعالى- وقوته في الدين غلب بها الآخرين، ليس الغَناء فقط.

الدرس الخامس

" الدعوة والجهاد"

مجموع ما عند الإنسان من المزايا والفضائل يكون فضله، عنده علم وإيمان وتقوى وصلاح وعمل صالح وعبادة لله –سبحانه وتعالى–، وعنده رأي وحكمة وتدبير ومعارف نافعة، وعنده مهارات معينة ينفع بها نفسه وعباد الله، عنده فصاحة وشعر وبيان وتعبير عن الأشياء كل هذه فضائل، بمجموع ما عند الإنسان منها يكون فضله، –وقلنا– السبق إلى الخير ممدوح وهو فضيلة من الفضائل، الذي يكون عنده سبق، هذه فضيلة، لكن ليس بالضرورة يكون أفضل من غيره ممن لحقه وكان متأخرًا عنه؛ لأن المتأخر قد يكون عنده فضائل أخرى ليست عند السابق، وقد قالوا: "كم ترك الأول للآخر".

وفضائل الناس معروفة –كما ذكرنا– العلم والفضل وغيرها، وهناك مرتبة الفضل ومرتبة العدل، الفرق بينهما:

العدل: هو إعطاء كل شيء حقه الذي يستحقه.

الفضل: هو أن يُزاد الإنسان فضلًا منه، مثلًا: لو أتاك إنسان يطلب منك حق فاعترفت له بحقه ثم زدته على حقه، هذه الزيادة فضل منك، تتفضل عليه، الفضل: هو الزيادة، فضل يفضل يعني زاد، أصل معنى الفضل هو الزيادة، ثم لما كان ما عند الإنسان من فضيلة ومزية هو زيادة كأنها زيادة على غيره سُمي هذا فضلًا، هذه العلاقة بين المعنى الاصطلاحي العرفي الاستعمالي –الجاري في الاستعمال– وبين أصل المادة في اللغة العربية، أصل كلمة فضل يدور معناها حول الزيادة.

"من كان عنده فضلُ ظهرٍ فليعُد به على من لا ظهر له، ومن كان عنده فضل زاد فليعد به على من لا زاد له"

منع النبي ﷺ وحرم بيع فضل الماء لابن السبيل.

في حق الله –سبحانه وتعالى– قلنا أن الله –عز وجل– حكم عدل قائم بالقسط وأنه حرم الظلم على نفسه وحرمه بين عباده وأنه لا يظلم أحدًا وما هو بظلام للعبيد، وقلنا أن الله –سبحانه وتعالى– يعامل الخلق على

وجهين وعلى نحوين من المعاملة، إما بالعدل وإما بالفضل، إذا عاملهم بالعدل فقد هلكوا! الذي يعامله الله –سبحانه وتعالى– بالعدل هلك؛ لأنه يعطيه ما يستحقه، العبد مهما عبَد الله فهو مقصر لا يساوي شيئًا، عبادته كلها لا تساوي شيئًا، لا يستطيع أن يوفي الله حقه، وأبسط النعم لا يستطيع أن يؤدي شكرها، قال –تعالى–: {وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا} بمعنى: لا تعدوها، وبمعنى: لا تستطيعوا مكافأتها بالشكر.

وكما قال الشاعر:

إِذَا كَانَ شُكْرِي نِعْمَةَ اللَّهِ نِعْمَةٌ عَلَيَّ لَهُ فِي أَمْثَالِهَا يَجِبُ الشُّكْرُ

فَكَيْفَ وُقُوعُ الشُّكْرِ إِلا بِفَضْلِهِ وَإِنْ طَالَتِ الأَيَّامُ وَاتَّصَلَ الْعُمْرُ

إِذَا مَسَّ بِالسَّرَّاءِ عَمَّ سُرُورُهَا وَإِنْ مَسَّ بِالضَّرَّاءِ أَعْقَبَهَا الأَجْرُ

وَما مِنْهَا إِلا لَهُ فِيهِ مِنَّةٌ تَضِيقُ بِهَا الأَوْهَامُ وَالْبَرُّ وَالْبَحْرُ

والعلماء عبروا عن هذا قالوا أن شكر نعمة الله مهما حاول الإنسان أن يشكرها لا يستطيع؛ لأنه نفس الشكر هو نعمة تقتضي مزيد الشكر –هذا المعنى المراد من الأبيات–، أن يوفقك الله أن تشكر نعمته هذه نعمة أخرى اقتضت شكرًا آخر وهكذا، فهذا يتسلسل ولا يستطيع الإنسان أن يوفيه، فهذا باب الدلالة العقلية أن الإنسان لا يستطيع أن يقوم مقام الشكر، أي لا يستطيع أن يوفيه لله –سبحانه وتعالى–، ولهذا لم يفرض الله علينا إلا ما استطعنا وعفى عنا وعلم ضعفنا وعجزنا، فالله عاملنا بفضله، ولو عاملنا بعدله لهلكنا.

(الجهاد والدعوة)

نريد نركز على بعض النقاط ونذكر بها ونتناولها بالفحص والتأمل فالكلام في الجهاد والدعوة يطول وهو ذو شجون وله حلاوة أيضًا، لكن أهم شيء معرفة العلاقة بين الدعوة والجهاد؛ لأننا لاحظنا في مسيرتنا في العمل

الدعوي والجهادي أن بعض المجاهدين قد يتخيل أن الجهاد هو مرحلة بعد الدعوة، وتمت الدعوة انتهت، يتكون المفهوم عند الأفراد أو الجماعات أننا في حالة جهاد ولسنا في وقت دعوة وتجازونا الدعوة وهذا لاحظناه في بعض الأوساط، لاحظتها أنا في الساحة الجزائرية –على سبيل المثال والأمثلة كثيرة–.

أحد الإخوة كان معنا وهو رجل في الإعلام –المفروض يكون مثقف–، وكان أخوه ضابط في الشرطة، ويستطيع يراسل أخاه ويكلمه ويدعوه، الواسطة هي الأهل، فيقول: أرسلوا هذا لفلان. فأهله كانوا في المدينة وهو معنا في الجبل، فقلت له: أخوك هذا ضابط، ما دعوته ولا كلّمته؟؟

فقال لي: نحن الآن في مرحلة جهاد، وانتهت مرحلة الدعوة.

فهذا مثال وهو المفهوم المنتشر، فأحببنا دائمًا نراجع هذا ونقول: المفروض أن الجهاد والدعوة بينهما من العلاقة قدر معين، لا بد أن يُفهم ويوضع في موضعه الصحيح.

وحسب ما يظهر لي من توصيف العلاقة بين الجهاد والدعوة أن بينهما خصوصًا وعمومًا من وجهين، فكل دعوة هي جهاد بمعنى الجهاد الأعم والأشمل، وكل جهاد هو دعوة أيضًا بمعنى أنه دعوة إلى الله، فجهادنا هذا هو دعوة إلى الله؛ لأننا ننصر دين الله –سبحانه وتعالى–، نفتح الآفاق، نكسب قلوب الناس، نحببهم في دين الله، نضرب الكفار فتنكف عاديتهم عن المسلمين ودين الإسلام، فنحن ننصر وندعو ونبين دين الله، نرفع قدر الإسلام وعزة الإسلام والمسلمين فنهيج القلوب على الالتزام بالدين والعودة إلى الدين، فالجهاد هو دعوة إلى الله، والدعوة إلى الله بالمعنى الاصطلاحي هي نوع من الجهاد، أنت عندما تدعو إلى الله المقصود بها الدعوة اللسانية والكتابية فهذه هي الدعوة، فنقول: هذا يدعو إلى الله، يعمل الدروس والبرامج الدعوية ويطوفون في القرى والمدن، هذه الدعوة هي أيضًا جهاد بالمعنى الأعم للجهاد، لا بمعنى القتال، بل المعنى الأعم الذي هو جهاد النفس وباللسان وبالنفقة وبالسنان، وجهاد المنافقين بالكلمة، الدعوة منها كذلك.

والذي ينبغي أن يكون عندنا هو أن ننظر إلى جهادنا هذا أنه دعوة في سبيل الله، دعوة إلى الله وإلى دينه، رفعًا لدين الله، وحمل الناس على دين الله، وتهييجهم على أن يلتزموا بدين الله وأحكام الله، وأن يحبوا شريعة الله وأن

يسعوا في تحكيمه وتطبيقه، فهذا المفهوم هو المفروض أن يكون عندنا أن ننظر إلى جهادنا أنه دعوة إلى الله –عز وجل–.

أحد الحضور: هل يجب على أحد إن كان أخوه في الجيش مناصحته؟

الشيخ: لا، هذا مستحب، لا تجب، هم من قومنا وأصلهم مسلمون، والمرتد لا تجب دعوته أصلًا، لكن أنا أتكلم عن الاستحباب، والمستحضَر نحن دعاة، ولنفرض أنك أنت عندك أخوك كافر، مع الأعداء، وأتيحت لك الفرصة أن تكلمه، لماذا لا تكلمه وتدعوه إلى الله؟ ولو أن كل واحد منا مارس الدعوة فيمن حوله من الناس أقاربه وأشقاؤه وأهله وأهل الحي ومعارفه، دعوة شفهية بالمشافهة هي من أحسن وأقوى وسائل الدعوة قبل الكتابة.

أحد الحضور: هل الدعوة بالنسبة للمجاهدين واجبة على كل أحد أم مقتصرة على طلبة العلم فقط؟

الشيخ: الدعوة هي من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفيها تفصيل، فمنها واجب ومنها مستحب، فإذا رأيت أناسًا جهالًا لا يعرفون أداء الصلاة ولا يقيمونها صحيحة ولا يوجد أحد يعلمهم إلا أنت المتعلم فيتعين عليك تعليمهم، ولو أنت لا تعرف يتعين عليك أن تأتي بمن يعلمهم، كذلك في أسرتك وتحت رعايتك زوجة وأولاد فأنت مسؤول عليهم في أخطائهم يجب عليك تعليمهم، لا أقول لك اقرأ عليهم كتب الفقه واجعلهم فقهاء! أو اقرأ عليهم أبواب النكاح والطلاق والعدد والظهار والنفقات!! هم لا يحتاجون هذا، كما نتكلم في العلم فمنه العيني الواجب على الإنسان أن يطلبه، ومنه المستحب.

وكذلك الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر منه ما هو واجب ومنه ما هو مستحب، لا بد من التفصيل فيه، لكن بصفة عامة علينا أن نستحضر أننا دعاة إلى الله –عز وجل–، فجهادنا هذا هو نفسه دعوة حتى لو لم نتكلم ولا كلمة، أنا هذا مقصودي، لو فرض أننا لا نتكلم أبدًا لا عندنا منابر إعلاميه ولا عندنا مشايخ يخرجوا فيتحدثوا، فقط نجاهد ونضرب الكفار فقط جهادنا هذا دعوة إلى الله، ولكن نحن مع هذا لا نرضى بذلك فقط بل ندعو إلى الله باللسان مع الرصاصة ونتكلم ونكتب ونرد على الشبهات وندعو إلى الله –سبحانه وتعالى–؛ لنبين توحيد الله –عز وجل–، ونبين لماذا نجاهد وندعو الناس أن يكونوا معنا وأن يعودوا إلى الإسلام

وأن يلتزمو بدين الله، ونوضح لهم التوحيد والإيمان ونحثهم على العمل الصالح وننهاهم عن ضده ونبين لهم محاسن الإسلام ونرغبهم فيه ونبين لهم زيف الثقافة الغربية والغزو الثقافي ونرد عاديته ونرد عليه بالحجج المنطقية والعقلية وغيرها، هذه كلها دعوة إلى الله –سبحانه وتعالى– لسانية نحن نمارسها مع الجهاد.

وكذلك القتال هو نفسه دعوة إلى الله، ثم معه الدعوة اللسانية والكتابية، ثم معه أنواع أخرى من الدعوة مثل الإنفاق في سبيل الله والأعمال الخيرية والاجتماعية ونصرة الناس وخدمتهم لتأليفهم على الإسلام هذه كلها من وسائل الدعوة نحن نمارسها في عملنا الجهادي، لكن المهم أن نكون دائمًا مستشعرين أننا دعاة إلى الله.

ربعي بن عامر –رضي الله عنه– لما دخل على رستم قال له: ما أنتم؟ ولم يقل من أنتم! لم يسأل عن تعيين أسمائهم، يسأل عن ماهيتهم: ما هي حقيقتكم، ما هو كُنهكم؟!

قال: نحن قوم الله ابتعثنا... وهنا استشعار الصحابة أنهم مبعوثون من قِبَل الله –سبحانه وتعالى–، ونحن أيضًا الله ابتعثنا وهذا الابتعاث هو بعث (يبعث الله لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها أمر دينها) الله –عز وجل– ينشئ خلقًا ويغرس غرسًا من الناس يصلحون للناس دينهم ويأمروهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر ويجددوا لهم دينهم، الصحابة مستشعرين أن الله باعثهم، هذا معنًى من معاني البعث.

قال: الله ابتعثنا لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد –أولًا التوحيد–، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام.

كانوا مستحضرين أنهم دعاة إلى الله؛ ولهذا كان حرصهم وتشوفهم وميلهم الكبير دائمًا أنهم يُدخلوا الناس في دين الله ولهذا قالوا في تفسير قوله –تعالى–: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} قال أبو هريرة: "خير الناس للناس تأتون بهم مقيدين بالسلاسل وتدخلونهم الجنة" والحديث في صحيح البخاري.

وهكذا كان الصحابة وقيادات الإسلام وأئمتهم ومن سار على نهجهم كان عندهم دائمًا استحضار أنهم دعاة إلى الله، مقصودهم الأول هو هداية الخلق، ولهذا فمن غايات الجهاد ومقاصده هو هداية الخلق، الله ابتعثنا وأمرنا أن نسعى في هداية الخلق نشرح لهم الإسلام ندعوهم إلى توحيد الله نعبّدهم لله –سبحانه وتعالى–،

نخرجهم من عبادة الأرباب والآلهة الباطلة إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وهذا كله موجود في كلام الصحابة -رضي الله عنهم-.

فالوظيفة الأساسية للداعية والمجاهد في سبيل الله هي هداية الناس، أن يكون عامل هداية للناس ويستجلبهم لدين الله ويعبّدهم لربهم ومولاهم -سبحانه وتعالى-.

قد يحصل عند بعض الناس أحيانًا أن يغلب عليه إرادة قتل الناس والتخلص منهم، وهذا حينئذ يصير انحراف، وجزء من هذا حصل في الجزائر وكان هذا مع بداية الانحراف، حتى وصلوا إلى الانحراف الكبير وصاروا تكفيريين وخوارج يقتلون الناس ويكفرون المسلمين عمومًا، لكن في البدايات قبل هذا الانحراف وقبل أن يتضح كان هناك مجموعة من المفاهيم السيئة التي لاحظناها من بينها ظنهم أنها غلبة القسوة والشدة... لدرجة أنهم يكفّرون الشخص ليقتلوه! ولدرجة التشوف أحيانًا لقتل بعض الناس قبل أن يهتدوا! فبدل أن يمنحهم فرصة أن يهتدوا أو يخاطبهم أو يكلمهم، فيقولوا نقتلهم قبل أن يفهموا، فهذه مفاهيم لاحظناها وهي انحرافات ثم بعده تؤدي إلى الانحرافات الكبيرة وتغلب لو لم تعالج.

أما نحن فنقول: إن مقصدنا وغايتنا من الجهاد هي هداية الناس وهي أحب إلينا من أن يكونوا كفار وأن نقاتلهم ونقتلهم، أن يسلم الكافر أحب إلينا من أن نقتله، ليس المقصود الأول أن نقتله! المقصود أن يهتدي، ولكن لأن كثير من الناس لا يهتدون لا سيما من الطواغيت وأنصارهم وجنودهم وجيوشهم، فهنا لا بد من القتال {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ} لا بد أن يقتتلوا؛ لأنهم اختلفوا على التوحيد، اختلفوا على عبادة الله -سبحانه وتعالى-، ويحصل الجدل وتحصل الدعوة لكن لا يمكن أن كل الناس يستجيبوا للدعوة فشرَع الله القتال، وهذا هو عنوان واقعية هذا الدين، صفة واقعية في هذا الدين تكلم عليها سيد قطب والمفكرون الإسلاميون الواقعية في هذا الدين، فهذا الدين دين واقعي بمعنى أنه يمكن تطبيقه ويراعي الواقع ويعرف كيف يتعامل معه ويغيره ليس مجرد مثاليات وخيال، فهذا من ضمن الوسائل التي نريد أن نوضحها.

(غايات الجهاد)

الغاية الأساسية الأولى هي: هداية الخلق ومحاولة أن نأتي بهم إلى الإسلام ما استطعنا، ثم حماية هذا الدين والتوحيد؛ لأن الدين لا يحميه إلا سيف، وهذا أيضًا جزء من واقعيته أنه دين القوة، وأمر بإعداد القوة وأن يكون له جنود؛ لأن الناس لا تخضع إلا للقوة، ليس دين مثاليات ورجل طيب يقول كلام ويذهب، مسيكين! لا، هو دين يقوم به رجال أقوياء أشداء يقتلون ويحاربون وينفذوه بالقوة.

وغايات الجهاد معبر عنها في القرآن في عدة آيات من أهمها:

- قوله -تعالى-: {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ} حتى، هذه للغاية.

{لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ} عدم الكون هنا معناها: حتى لا يكون هناك كفر ظاهر له سلطان وقوة وشوكة بحيث يفتن الناس، وليس المقصود عدم وجود الكفر أصلًا؛ لأن الشريعة أجازت إقرار الكفار على دينهم إذا دفعوا الجزية لنا ودخلوا تحت ذمتنا وحتى لو بقوا في أرضهم وعاهدونا فأمّناهم وعاهدناهم وإن كان عهد الهدنة والصلح ليس دائمًا إنما هو مؤقت.

أحد الحضور: بالنسبة للجزية يا شيخ، تؤخذ حتى من الكفار، وليس من أهل الكتاب فقط؟

الشيخ: لا، من الجميع، أهل الكتاب والمجوس متفق عليهم، الخلاف فيما سواهم والخلاف أشد في مشركي العرب، وهم الآن انتهوا لكن ما سواهم لا يزال قائم، لكن الصحيح أنها تؤخذ من الجميع، يجوز حتى المشركين يدخلوا تحت الذمة ويقرون على شركهم ويدخلون تحت ذمة المسلمين ويدفعون الجزية، المجوس والوثنيين يعتبرون أهل كتاب على الأصح، والمسألة خلافية.

هذه أهم مقاصد الجهاد كما عبر عنها في سورتي البقرة والأنفال {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ} بمعنى: الدينونة كلها لله، بمعنى: أن يكون دين الله هو الغالب والظاهر وهو المهيمن وهو الذي تخضع له الناس، خضع له المؤمن بإيمانه، وخضع له الكافر بالصولة والجولة والسلطان، خضع له بمعنى: كان تحت أحكامه وسلطانه.

ومن غايات الجهاد ومقاصده أيضًا:

- تحرير أنفسنا وأقوامنا وشعوبنا وأوطاننا والناس، قال -تعالى-: {وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ} فالقتال من أجلهم هؤلاء المستضعفين مقصد مشروع.
- والقتال من أجل رفع الظلم بصفة عامة.

فتقريبًا كل مقاصد القتال التي يمكن أن تذكرها أنت، لكن هذه مقاصد تفصيله جزئية تدخل تحت المقصد العام {حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ} نصرة المظلومين، تحرير الشعوب المستعبدة المستضعفة، هذا داخل تحت ذلك المقصد.

أما الكلام عن الدعوة إلى الله -سبحانه وتعالى- فالمسلم يفترض أن يكون داعي إلى الله؛ لأنه بمجرد إظهار إسلامه في الناس وقيامه حتى وإن لم يكلمهم بالخطاب والدعوة الشفهية فإنه يدعوهم إلى دين الله؛ لأنه يطبق دين الله، لكن الدعوة تكون باللسان كما تكون بالحال والقدوة والمقام وتكون بالكتابة وتكون بالوسائل المختلفة، وأشهر وسيلة هي الدعوة اللسانية وهي التي ينسب إليها الناس، فيقال: فلان داعية. يقصدون الدعوة اللسانية.

فإذا قال الناس: نحن كنا في مرحلة دعوة، والآن في مرحلة جهاد. فهذا تقسيم اصطلاحي لا مشاحة فيه في النهاية، نعم نحن كنا في مرحلة دعوة أي: أننا لم نعلن الجهاد بعد واكتفينا بالدعوة اللسانية فقط -أي الدعوة بصفة عامة، الجدل والمحاجة-، ولكن جاءت مرحلة معينة بدأنا الحرب والجهاد فنحن في مرحلة جهاد ودعوة إلى الله -سبحانه وتعالى- فالدعوة مستمرة، لكن لا بأس إن قال الإنسان: هذه مرحلة الدعوة وهذه مرحلة الجهاد، لا مشاحة؛ لأنها تقسيمات اصطلاحية تنسب المرحلة إلى أهم صفة من صفاتها لأن نسبة الأشياء وتسمياتها ترجع إلى اعتبارات متعددة، فنحن نسمي الشيء باعتبار زاوية نظر معينة أو لاحظنا شيئًا معينًا فنسبناه إليه، فالمرحلة هذه كان غالب عليها الدعوة اللسانية فقط، ليس هناك حرب؟ نسميها مرحلة الدعوة، ثم بدأنا الحرب والجهاد في بلد من البلدان تُعرف بمرحلة الجهاد، فلا يعني ذلك أن ليس فيها دعوة بل نسبت إلى أغلب ما فيها أو أهم ميزة من ميزاتها وهو الجهاد، وأنا لا أقصد أن تقسيم المراحل فيه ضرر أو شيء، لكن

علينا أن يكون في مفهومنا أن الدعوة مستمرة، نحن دعاة إلى الله ندعو الناس إلى هدى الله، إلى دين الله، نعبّدهم لربهم -سبحانه وتعالى-.

أحد الحضور: هل كل دعوة لها طريقة معينة؟

الشيخ: كل دعوة لها طريقة معينه ولها فقهها ولكن الحديث فيها يطول، أصّل فيها العلماء إلى نفس الدعوة وما الذي تدعو إليه أنت في الأساس، وما تقدم وما تأخر، ثم الداعية وصفاته، ثم المدعوين وأصنافهم وكيفية مخاطبة كل منهم، فالكلام فيها يطول.

لكن عليكم -يا طائفة مجاهدة- عليكم أن تستحضروا دائمًا ولا تنسوا أنكم دعاة إلى الله، فلا يعني أن الأخ إذا كان من اليمن مثلًا أنه كان هناك داعية وعندما أتى إلى هنا أصبح مجاهد فقط! لا، هو داعيه إلى الله أينما كان وحلّ، يدعو إلى الله -سبحانه وتعالى- بكتابة إن أمكن، وبلسانه إن أمكن، بمجرد القدوة؛ ولهذا المجاهدين إذا دخلوا للجبهات يجب أن يستحضروا هذا بالخصوص ويعرفوا أنهم دعاة ورسل إلى أولئك الأقوام في تلك المناطق يدعونهم إلى الله، فيكون حالهم حال الداعية يُقتدى به ويُنظر إليه، يمثل الإسلام بأخلاقه وأدبه ورزانته، وفي عبادته وصلاته وخشوعه، وفي سمته وحسن تصرفه، داعية إلى الله يربط الناس دائمًا بالله -سبحانه وتعالى-، يحببهم في الله -عز وجل- والرسول ﷺ وفي الإسلام، فهذه من الأشياء المهمة التي يجب يستحضرها المجاهدين دائمًا.

أما الدعوة اللسانية ففيها تفاصيل كثيرة، نحن نركز على نقاط نحتاج إليها، الدعوة إلى الله هي وظيفة الأنبياء، من أعظم الوظائف.

بعض الناس يظن أن قول الله -تعالى-: {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ} أن الداعية هو الذي يعطي دروس ومحاضرات!

{دَعَا إِلَى اللَّهِ} يعني حيثما كان، بأي وسيلة كانت، الوسيلة الأحسن، والطائفة المجاهدة هي من أولى الناس دخولًا في هذه الآية؛ لأنهم أصرح الدعاة إلى الله -عز وجل-، وأحسن الدعاة إلى الله -عز وجل-.

وقال -تعالى-: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}

{قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ}

في هذه الآية معاني نبه عليها العلماء، ونبه الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتاب (التوحيد) قال في قوله -تعالى-: {وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ}: "فإن كثير من الناس لو دعا فإنما يدعو إلى نفسه؛ ولهذا نزه الله -سبحانه وتعالى- هنا عن كل آفة وعيب وعجز. قال: {وَسُبْحَانَ اللَّهِ} ثم قال: {وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} معلوم أنه ليس من المشركين، لكن تنبيه إلى شدة التبرؤ من الشرك"

ويستنبط منها تحقيق الإخلاص في الدعوة إلى الله -عز وجل-، فكثير من الناس يدعو إلى الله ويدعو إلى نفسه؛ لينال مقامًا ومكانة! فلينتبه الداعي إلى الله والمجاهد الذي هو داعية إلى الله، فلينتبه إلى هذا ولا يطلب الحضوة عند الناس والمقام عند الناس ولا المدح، فعليه أن يدرب نفسه ويوطنها ويشد عليها ألا تبحث عن هذه المسائل، وبالتالي حتى ذم الناس كأن يقول: الناس تقول علي كذا وكذا. فلا تبحث عن هذا؛ لأنك لو تبعته هلكت، لا تبحث عنه هذه أحسن طريقة، أهمِلْه واتْركه كأنه غير موجود، ذم الناس ومدحهم لو غلب الوسواس هذا على الإنسان سيفسده إفسادًا عظيمًا.

وعلى الإنسان أن يستحضر عندما يدعو إلى الله أنه يدعو إلى الله حقًا، يعبّد الناس لله لأنه هو "نفسي نفسي" وأنا أريد أن أنجو وأفلح بين يدي الله لأن الله كلفني بذلك، فهو عمل صالح سواء كان واجبًا أو مستحبًا يحبه الله فأنا أعمله وأزداد من الصالحات، والدعوة لأنها تعبيد الناس لله، هل هناك أفضل عند الله ممن يعبّد الناس لله؟! وهو نفسه عابد، لذلك قال: {وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ}.

{وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ}

الأنبياء أمرهم الله أن يقولوا أنا أول المسلمين، أول المؤمنين، فأنت أصلًا يجب عليك أن تكون مسلم، ولهذا المجاهد -كما قال النبي ﷺ-: (المجاهد من جاهد نفسه في ذات الله، المهاجر من هجر ما نهى الله عنه، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده)

حقيقة الجهاد هي هذه، تنبيه منه ﷺ (المجاهد من جاهد نفسه في ذات الله) وإلا فانه لا يكون مجاهد عند الله؛ لأنه يجاهد وهو فاجر فاسق يبحث عن الغلبة والظهور، ويمدحه الناس؛ لينال كذا ويطلب ذكرًا أو شهرة فهذا لا يكون مجاهد عند الله وإن كان عندنا في الظاهر مجاهد ونجري عليه أحكام المجاهد، فمن كان هكذا لا يكون عند الله مجاهد ولا ينال فضل الجهاد، بل هذا ممكن يعذب بهذا الجهاد كما جاء في حديث (أول من تسعر بهم النار) نسأل الله العفو والعافية.

الجهاد حتى يكون ممدوحًا، مرادًا، محبوبًا لله -سبحانه-، مرضيًا عند الله إذا قيد بكونه في سبيل الله.

وهذه "إلى الله" أيها الداعية "إلى الله" وليست إلى نفسك.

وماذا يعني في سبيل الله؟

معنى السبيل: الطريقة، أي في طريق الله، لكن الشريعة اختارت "في سبيل" لحكمة بلاغية؛ لأن في علم البيان إذا أراد الفصيح أو البليغ ترسيخ شيء معين عند الناس يأتي بغير المعتاد، فهو لو قال في طريق الله لكان معروف المعنى، لكن هو اختار في سبيل الله لأن الطريق كلمة مبتذله تذكر دائمًا "هذه طريق، مررت من الطريق، جاء من الطريق"، ولكن الشريعة أخذت كلمة السبيل؛ حتى تكون كلمة لها معنى واحترام مميز وشادة للانتباه، لكن مع غلبة الاستعمال لم يفهم الناس، فإذا قلنا له: ما معنى في سبيل الله؟

قال: وجه الله.

فهو جاء بالمعنى الإجمالي فقط، أعطيك شيئًا بلا مقابل لوجه الله -عز وجل-، فصار هذا هو المعنى الاصطلاحي الذي أرادته الشريعة وهو الصحيح، لكن عندما ندقق في سبيل الله أي: في طريق الله.

ما هو طريق الله؟ طريق الله له حافتان، كلمة حافَة -بالتخفيف وليست بالتشديد، بعض الناس يقول حافّة وهذا من الأخطاء الشائعة-، حافة الطريق تعني: حاشيته أو حده، وهما/ الإخلاص والمتابعة.

الإخلاص هو ما اشتهر عند الناس.

سبيل الله أي: وجه الله، ولا شك أنه صحيح، لكن يضاف إليه أنه لا بد أن يكون موافق للشريعة، انتبه لهذا القيد لا تنساه.

رجل يجاهد وعنده إخلاص وهو يقتل في الناس بغير حق، هل هذا جهاد في سبيل الله؟ هذا ليس جهاد؛ لأنه على غير شريعة الله.

لو جاء يأخذ أموال الناس بالباطل ويقول غنيمة، ويأخذ بنات الناس ويزني ويقول سبي، فهذا مجرم، ولو فرضنا أنه مخلص مع أن الغالب لا يكون مخلص، ممكن وجد بعض هذه الصور في الخوارج ففيهم الإخلاص والعبادة ويريدون وجه الله إلى حدٍ ما، لكنهم وقعوا في خلل فكري كفروا به الناس وبناء على ذلك استحلوا دماءهم وأموالهم وأعراضهم فهذا لا يكون في سبيل الله؛ لأنه فقد شرط المتابعة.

شرط المتابعة يعبر عنه بـ"الموافقة للشريعة"، وبعض الناس يعبر عنه بـ"الموافقة للسنة أو اتباع السنة" التعبير عن شيء واحد، لا تضيق نفسك بالتعبيرات والألفاظ، دقق بالمعاني والحقائق.

الموافقة للشرع، لا بد أن يكون جهادك موافقًا للشارع على شريعة الله، على بصيرة وعلى هدى من الله، وإلا تحول المجاهدون إلى عصابة مجرمة وهذا الذي حصل في الجزائر، لو فرض أن فيه إخلاص...!

والحافة الثانية التي تحدد سبيل الله هي: الإخلاص، أن يكون مرادك هو إعلاء كلمة الله، أن تكون كلمة الله هي العليا، أن تحكّم دين الله، أن ترضي الله وتنجو وتفرح وتفوز بين يدي الله -سبحانه وتعالى- وهذا هو الجهاد في سبيل الله، فأنا أجاهد لأن الله أمرني بهذا وأخاف إن قعدت أن يعذبني الله، فهذا ما دفعني للجهاد.

لماذا أتيت للجهاد يا فلان؟ واجب علي الجهاد، كيف نقعد عن الجهاد؟ لا يرضى عنا الله! الله -سبحانه وتعالى- يعذبنا ويعاقبنا في الدنيا والآخرة، حرام، هذا هو الذي دفعني.

هذا ما يقوله المجاهد وهذا هو الإخلاص؛ ما أنهضه وجاء به للجهاد إلا لأنه يخاف الله وهو متبع لأمر الله، يريد أن يرضي الله وخائف من عقاب الله، هذه كلها معاني واحدة، هي: إرادة وجه الله، هذا هو الإخلاص أن يريد

إعلاء كلمة الله، لا أن يجاهد لتكون كلمته هو هي العليا! أو كلمة جماعته أو مشايخه هي العليا!! لا، لتكون كلمة الله هي العليا.

وكلمة الله هي: دينه وشرعة وحكمه.

في سبيل الله: في طريق الله.

وطريق الله هو هذا، لا يكون شيئًا من طريق الله إلا أن يكون موافقًا لشريعته مرادًا به وجهه، هذا هو طريق الله، غيرها لا يكون.

هذان هما الحافتان المحددتان لطريق الله، كيف تعرف طريق الله؟ أن يكون موافقًا لشريعته، ومرادًا به وجهه فقط، وما سواه ليس بجهاد في سبيل الله لو سماه الناس جهاد، أو سموه بأمير المجاهدين وبطل المجاهدين!! إن فقد إحداها فهو عند الله ليس مجاهد وليس له فضل الجهاد ولا يعتبر هو الممدوح الذي مدحه الله في القرآن والسنة وعظّم شأنه من الجهاد والمجاهدين، إذا فقد أحد الشرطين أو كليهما.

نكتفي بهذا القدر.

الدرس السادس والأخير

" مناهج وطرائق التغيير"

كما أشرنا في المرة الماضية نحن وُجدنا في عصر أمتنا فيه في حالة ليست جيدة، الحال الاجتماعي للأمة يعني الأحوال السياسية الاجتماعية، الاقتصادية، والعلمية، والفكرية، والدينية لا شك بأنها سيئة، اتفق المصلحون والعلماء والمفكرون والمغيرون والثوريون والناس كلهم اتفقوا على هذا، أن عصرنا هذا الذي نحن فيه –وهذا من مدة ربما من قرنين أو ثلاثة– وحال الأمة حالة سيئة، الأمة في انحدار وفي انحطاط شديد جدًا جدًا على جميع المستويات، الكفار الأصليين غالبيننا ومحتلين أجزاء كبيرة جدًا من ديارنا أوضحها مثالًا: فلسطين منذ ستين عامًا وهي محتلة واليهود أخس خلق الله –سبحانه وتعالى– محتلينها، والنصارى محتلين بقاعًا أخرى شرقًا وغربًا وهكذا، والآن هذا الجديد احتلال أمريكا وغيرها، وقبلها عصور الاستعمار الإنجليزي والفرنسي وهكذا، غير السيطرة الأخرى السيطرة الفكرية والعلمية والاقتصادية والغزو الفكري والغزو الثقافي والغزو الأخلاقي والدمار العظيم الحاصل في الأمة، من انحطاط ديني، أنظمة التعليم وغيرها، الأمة حالتها يرثى لها ولولا أنها فقط أمة الإسلام، والحمد لله جمهورها –إن شاء الله– مسلمون والحمد لله مع كثرة الكفار ومع كثرة الزنادقة أيضًا الذين يكفرون بالدين ويحاربون الله –سبحانه وتعالى– ورسوله ودينه من المتعلمنين هؤلاء العلمانيين وأمثالهم وغيرهم كثيرين هم أيضًا مبثوثين في مجتمعاتنا ولكن الحمد لله باقي جمهرة المسلمين الناس العوام والعاديين ما زالوا في دائرة الإسلام والحمد لله محافظين على الدين، معظم الناس محافظة على الصلاة وصوم رمضان وأركان الإسلام يحبون الله ورسوله ويحبون الإسلام وإن كثر فيهم الجهل وإن كثر فيهم كذا، أو على اختلاف هذا في المجتمعات المختلفة، طبعًا توجد مجتمعات أفضل من مجتمعات لو ذهبت مثلًا لبعض المجتمعات التي فيها محافظة كثيرة مثل السعودية والخليج أو السودان وكذا أحسن مثلًا من مجتمعات العراق وسوريا ولبنان ومصر وشمال أفريقيا –والعياذ بالله–.

لو ذهبت لتونس مثلًا تجد الالتزام ضعيف جدًا أو أصلًا المحافظة قليلة جدًا وكثرة سب الدين وسب الرب – سبحانه وتعالى– وكثرة الكفر علنًا وغيرها.

في لبنان أيضًا كثير جدًا هذا، في سوريا كذلك، يختلف من بلد إلى بلد، لكن المهم هو أن الناس كلها متفقة على أن حال الأمة حال لا يرضي أحد أبدًا، لا يرضي الله -عز وجل- ولا رسوله ولا المؤمنين ولا يرضي أي إنسان صالح.

لكن الله -سبحانه وتعالى- قيض للقرون -ولا زال طبعًا المصلحون دائمًا يتجددون- ولكن الحمد لله في المدة الأخيرة نقول العشرين أو الثلاثين سنة الأخيرة أو حتى أكثر -فالإخوان المسلمون منذ سنة سبعة وعشرين وحسن البنا مؤسس تنظيم الإخوان المسلمون-، نقول في الخمسين سنة الأخيرة هذه الحمد لله قيض الله -سبحانه وتعالى- جماعات ومجموعات وأفراد وجمهرة لا بأس بها طيبة وطوائف طيبة من الناس الملتزمين الذين الْتزموا بالدين منهم علماء وأئمة ومنهم من المشايخ ودعاة ومفكرون ومنهم أناس مثقفون ومنهم جمهرة لا بأس بها طيبة من الشباب ومن الرجال ومن النساء الذين الْتزموا بهذا الدين وصارت هناك عودة للدين هذه كلها في ميزان حسنات جماعة من الرجال الأفذاذ الذين أثروا في هذه الحركة الإسلامية وهم الذين جدّد الله -سبحانه وتعالى- بهم الدين في هذه العصور المتأخرة منهم حسن البنا ومنهم قبله الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوته المباركة وأئمة الدعوة وعلمائها وسلالتهم ومنها علماء متفرقون في البلاد، الشيخ عبد الحميد بن باديس وبشير الإبراهيمي في الجزائر وجماعة من المشايخ في ليبيا وفي تونس، وفي المغرب الشيخ طاهر بن عاشور على سبيل المثال وغيرهم جماعة لا بأس بها كلهم جهودهم صبَّت، حسن البنا والإخوان المسلمين نشؤوا في مصر وأسسوا تأسيسات جيدة وانطلقوا في الدعوة وكانت لهم جهود مشكورة جدًا وطيبة، وجماعات الدعوة والتبليغ في الهند، وفي بلاد العجم وغيرها، في كل مكان كلهم جهودهم مشكورة أخطؤوا أخطاء وأصابوا إصابات كله مجهود وعامل بشري، ولكن الحمد لله هؤلاء في الجملة من أهل الصلاح ومن أهل الخير ومن أهل الغيرة على الإسلام المريدين لنصرة الدين عابدون لله -سبحانه وتعالى- من أهل الصلاح.

أما الأخطاء وغيرها فالنقد لاحقًا يأتي، لكن المقصود هو أن الله -سبحانه وتعالى- قيض للأمة جماعات من العلماء والمشايخ وأهل العلم والدعوة والثقافة وأهل الفكر، وجاء بعدهم المودولي وجاء سيد قطب وأبو الحسن الندوي وهؤلاء مفكرون وجماعة من أهل صياغة الفكر الإسلامي وأبدعوا في هذا الباب، وهم ليسوا متخصصين في الفقه بالمعنى الفقهي ولكنهم تنوروا ودرسوا الفقه ودرسوا علوم الشريعة وكان اهتمامهم أكثر شيء بالجوانب

الثقافية والتربوية وغيرها ورد عادية الكفار في الغزو الفكري والثقافي وشرح الإسلام ومحاسنه وفلسفة الإسلام في المسائل كلها وركزوا على المسائل التي تهم هذا العصر وابتلي بها هذا العصر مثل مسألة الحاكمية ومسألة هذه الأنظمة الحديثة والغزو الثقافي والفكري من الغرب وغيرها، فكانوا -جزاهم الله خيرًا لاسيما منهم سيد قطب- فكانوا هؤلاء أئمة في هذا الشأن أسأل الله -عز وجل- أن يجزيهم عنا وعن المسلمين خير الجزاء.

فالمقصود الحمد لله، الله منّ علينا -نحن الشريحة الموجودة الآن- أن كنا من أتباع هؤلاء وتعلمنا منهم وقرأنا كتاباتهم وأخذنا هذه العلوم وتعلمناها وانضممنا إلى هذه الطائفة المباركة، طائفة الصحوة الإسلامية وطائفة حمَلة الإسلام وحملة همّ الإسلام في هذا العصر -الدعوة والجهاد-، ومنّ الله علينا أيضًا بالجهاد أكثر وأكثر خصوصية، فنحن حسنة من حسنات أولئك كلهم مجتمعين مقل ومستكثر.

لكن لاحظنا في هذا العمل كله الكبير الضخم الذي هو عمل لإعادة إحياء اللأمة وإعادة أمجادها وإعادة عزتها وكرامتها وإعادة هيمنة وحاكمية وغلبة وظهور وهيمنة الدين، هذه العملية كبيرة وضخمة جدًا وهي أكبر عمل ممكن أن يمارسه الإنسان في الأرض، الذي هو: أمة منهارة في غاية الانهيار وفي غاية الانحطاط فتأتي أنت -أيها المجاهد وأيها الداعية ويا طائفة المجاهدين والدعاة يا أيها الشباب الأطهار- تأتوا لتعاودوا بناءها من جديد؟! هذه مهمة صعبة جدًا في غاية الوعورة والصعوبة وفي غاية الدقة وفي غاية الخطورة، مسؤولية ضخمة وجسيمة جدًا جدًا، لكن عندما أتينا منّ الله علينا بهذا ورأينا كما رأى الجيل الذي قبلنا رأينا الكثير من الاختلافات في هذا الخضم الكبير، والاختلافات معظمها في أساليب التغيير، مثل ما قلنا بأن الناس متفقة على أن الواقع لا يرضي أحدًا ويجب أن يتغير، ولكن كيف نغيره؟ أناس جاءت وقالت: التغيير بطلب العلم، والناس إذا تعلمت وفقهت تكون صالحة. فركَّزوا على العلم وأخرجوا شعارات وفعلوا أشياء وعندهم أيضًا جهود مشكورة وأشهرهم التيار السلفي الذي أخذ شعار "التصفية والتربية " وغيرها.

الشيخ الألباني مثلًا ونموذجه المشهور، وأيضًا له جهوده فهو من ضمن الأناس الذين جهودهم مشكورة، وقبله طبعًا جماعات كبيرة من العلماء منهم أحمد شاكر في مصر ومحمد فؤاد عبد الباقي ومنهم رشيد رضا وغيرهم من الجماعة الذين سبقوهم في مصر وغيرهم كثيرون.

وفي الشام مجموعة، وجمال الدين القاسمي قبلهم هؤلاء الطبقة الذين قبل المشايخ الأخيرين، ثم جاءت الطبقة التي بعد الشيخ الألباني من مشايخ الجزيرة من هنا ومشايخ آخرين من مصر وغيرها متفرقون في أماكن كثيرة، هؤلاء جميعًا لهم جهودهم مشكورة.

ولكن نحن ننظر إلى أساليب التغيير ومناهج وطرائق التغيير التي هي أثرَّت في الأمة، جاء هنا أناس من جماعة التبليغ –وتعلمون أنتم طريقتهم– وعملوا جماعة وعملوا نقاط معينة وتأسيسات وفكر ومنهج وساروا عليه وقالوا هذا هو طريق التغيير.

جاؤوا الإخوان المسلمين وعندهم برنامجهم الذي هو منظومة متكاملة جدًا ثقافيًا وفكريًا ومنهجيًا وفقهيًا وكذا جماعة كبيرة من أكبر وأعرق الجماعات، ولكن لا شك بأنه هناك أخطاء كثيرة جدًا فيها وتراكمت هذه الأخطاء مع التاريخ وللأسف ما صلحت كثير من الأخطاء فبدأ التراكم وبدأت الانهيارات حتى وصلت إلى أحوال سيئة جدًا وهي جماعة فيها الخير وفيها الشر، ولكن لا شك بأن موقفها بالجملة موقف سيء جدًا والآن حالها يرثى له.

وجاءت جماعات بين ذلك، توحيد الدين خان والجماعة التعميريين هؤلاء الذين يقولون أن طريق العودة إلى عزة الأمة وكرامتها هي طريق أن نهتم بالعلم والعلوم والفنون والتكنولوجيا ونغلب الغرب ونحن العرب ونحن المسلمين ونحن كذا ونحن كذا ونحن أصل هذه العلوم و و و... كلام فارغ كله لا يسمن ولا يغني من جوع.

وجاؤوا أناس وركزوا على التوحيد وعلى العقائد وإلخ، الصوفية طبعًا تركيزات أخرى على العبادة وعلى التربية والتزكية.

وهناك أناس بين وبين يأخذ من هنا ويأخذ من هنا.

وجاءت الطائفة المجاهدة، ووُجدت أيضًا طوائف تجاهد من المدد الأولى، ولكن كانت المدد الأولى كانت إما أنها مثل المسلمون عندما عز الدين القسام والجماعة المقاتلة لليهود والإنجليز لليهود في فلسطين مثلًا كان قتال عدو في البداية والاستعمار، أو بعض الجماعات الأخرى التي قاتلت الاستعمار في بلدان أخرى.

ثم جاءت بعد ذلك الحرب الأفغانية –هذه هي نقاط الجهاد الواضحة في المدة الأخيرة في الخمسين أو الستين سنة الأخيرة أو حتى السبعين سنة الأخيرة بل حتى في القرن الأخير كله– جهاد الإخوان المسلمون الذي هو حركة إسلامية تجاهد وإلا قبلها نحن لا نريد أن نتحدث عن حركة مقاومة الاستعمار عمر المختار والسويحلي والجماعة في ليبيا، وهناك في الجزائر عبد القادر الجزائري وأبو عمامة وغيره من الناس الآخرين وعبد الكريم خطابي هناك وغيرهم في العالم الإسلامي كثير، هذه حركات مقاومة الاستعمار –جهاد الدفع–.

بعد هذه الفترة وبعدما جاءت مرحلة الدولة الحديثة العربية والإسلامية وجاءت مرحلة الاستقلال ومرحلة التحرير وغيرها، فبعدها كانت نقاط الجهاد أين؟ كانت في جهاد الإخوان المسلمين في فلسطين وحسن البنا كان موجودًا –في حياة حسن البنا– وكانت هذه حركة إسلامية بالفعل وكونت شبه جيش هكذا ميليشيات مسلحة –مجاهدين– وبعثتهم إلى فلسطين وأبلوا بلاءً حسنًا.

لكن طبعًا نتيجة القصور الكبير الذي كان في الفكر وفي الفكر السياسي بالذات حصل لديهم مساكين انتكاسة كبيرة في العمل.

الخلل الذي صار باختصار هو أنهم في الوقت الذي كانوا ذاهبين يجاهدوا الفلسطينيين قالوا لهم يجب أن ترجعوا –وكان الملك فاروق وقتها– ضغط الإنجليز –الغرب، النصارى– على الملك قالوا له يجب أن تخرجهم من الميدان، فالملك أصدر أوامر أنه أنتم يا حسن البنا ويا جماعته اخرجوا من الميدان وادخلوا في الجيش ونحن سوف نقوم بالجهاد وسوف نقوم بالواجب وسنرسل قواتنا.

فهنا الخلل، الخلل أنهم كانوا لازالوا لم ينضجوا لدرجة أنهم يعرفوا أن هؤلاء طواغيت مجرمين لا خير فيهم ولا أمل، فصدقوهم وأملوا فيهم الخير وقالوا لعلهم وهذه المرة –إن شاء الله– هم جادين ويريدون الجهاد وندخل فيه، فرجع بالقوات، والإخوان المسلمين تراجعوا على أساس يتم تنظيمهم في الجيش أو يتم بطريقة معينة الترتيب مع الجيش فهم رجعوا وعمل عليهم الحملة المشهورة وقتلوا حسن البنا في 49 وعملوا عليهم حملة كبيرة جدًا جدًا وأسروا الكثير من قيادتهم وشبابهم وكانت هذه هي الحملة الأولى التي كانت أيام فاروق، فهذه كانت نتيجة عدم

النضج، كانوا طيبين ويحملوا هم الإسلام والثقافة الإسلامية والعلم والدعوة الإسلامية، ولكن ما زالت في بداياتها فغُلبوا.

ثم جاء الجهاد الأفغاني وكان هو نقطة تحول أساسية وكبيرة جدًا جدًا في تاريخ الأمة الإسلامية "مدرسة الجهاد الأفغاني" فجاء الجهاد الأفغاني وبرز فيه أئمة في هذا الباب كان على رأسهم من العلماء الشيخ عبد الله عزام –رحمه الله– وقبله وبعده وأثناء وجوده كثير من الناس الصالحين الأخيار الطيبين من الدعاة ومن القيادات وغيرهم، والحمد لله أبقى الله منهم جماعة كجماعة الشيخ أسامه وجماعة من المجاهدين الأخيار –إن شاء الله نحسبهم والله حسيبهم– والصالحون مستمرون على الطريق –بإذن الله–.

تدرب في الجهاد الأفغاني عشرات الآلاف بدون مبالغة بلا شك من الذين تدربوا عربًا وعجمًا عشرات الآلاف انتشروا في الأمة شرقًا وغربًا وجنوبًا وشمالًا في كل مكان، فنشروا الجهاد وتكونت مفاهيم جديدة وتعرف الناس على مفاهيم الجهاد، ومفاهيم الجهاد بدأت تنضج، والمرء منا يتفكر كيف جاء الجهاد منذ حوالي عشرين سنة، وكيف كانت كثير من المفاهيم بسيطة وكثير من الأشياء ما زالت بسيطة وكثير من المسائل ليست ناضجة وليست محررة بعد وغيرها، ثم بعد خمس سنين ثم عشر سنين وخمس عشر سنة وعشرين سنة، الآن نستطيع أن نقول: وصلت الحركة الإسلامية الجهادية إلى مستوى من النضج.

أنا شخصيًا حسب تأملي والذي رأيته من تجارب أعتبر أنه نُضج ممتاز جدًا –جيد في الجملة–، الحركة الجهادية بصفة عامة تكونت عندها قناعات وفي مسائل كانت الناس محتارة فيها الآن الحركة الجهادية تعدتها صارت مفروغ منها، مسائل كثيرة جدًا جدًا.

المهم كانت الحركة الجهادية من ضمن الاتجاهات والفلسفات إذا صح التعبير –نستعمل أحيانًا بعض الألفاظ الأمر ليس فيه مشاحة– فالمقصود الأفكار وطريقة النظر في المشكلة وكيفية علاجها وغيرها فكانت أيضًا إحدى الطرق والتي هي –نراها بالجملة– أقرب طريق وأفضل طريق لتغيير الأمة، وهي التي أسعد الطرق وأسعد المناهج بالدلائل من الكتاب والسنة هي الطريقة الذي سلكته الحركة الجهادية وأقطابها وعلماؤها ومشايخها

وجماعتها -والحمد لله رب العالمين أن جعلنا الله سبحانه وتعالى منهم هذه منة من الله سبحانه وتعالى علينا جميعًا-.

هؤلاء الطائفة هي -إن شاء الله- هي الطائفة مرجو لها أنها الطائفة المنصورة ومرجو لها -إن شاء الله- هي الطائفة المحقة التي وفقت للصواب وهداها الله لما اختلف فيه الناس في هذا العصر من وسائل وأساليب التغيير.

لا نقول إن الحركة الجهادية مبرأة من النقص ولا نقول أنها بلغت المستوى... لا، لكن قلت أنها نضجت وتعلمت والآن صارت عندها ثروة، ثروة من المعارف والعلوم والخبرات والأدبيات ومن المسائل المحررة ومن الفكر ومن المنهج بشكل استقلالي، صار عندها ثروة جيدة جدًا جدًا ممتازة، صار عندها خبرة نفسية صار عندها قيادات صار عندها تاريخ صار عندها اعتبار في الأمة، لا شك أنها ممتازة جدًا وأنها متهيئة -بإذن الله- أن تزداد في هذا السبيل وتتقدم أكثر وأكثر.

وما زال -بفضل الله- نرى فضل الله عليها ومنته عليها بالازدياد كل يوم تزداد وما زالت لم تبلغ أقصاها ومداها، ولكن -بإذن الله- ماضية في خط جيد، وهناك الأخطاء وتوجد الانتكاسات وانكسارات هنا وهناك لكن في الجملة الحركة الجهادية هي الحركة الموفقة ومنهجها في الجملة هو الذي نؤمن به هو أسلوب التغيير وهو الجهاد والدعوة إلى الله -سبحانه وتعالى- طبعًا مع الجهاد، والجمع مع هذا كله العلم والتمسك بالعلم وتعظيم العلم وتعظيم أهله والحرص عليه والحرص على طلبه والتمسك بالشريعة أصولًا وفروعًا وعلى منهج صافي وعقيدة جيدة، هؤلاء هم الذين وفقوا.

أما المناهج الأخرى فالكلام عليها ومعرفة ما يقولون وما عندهم من مسائل ثم نقدها وغيرها يطول جدًا جدًا ولكن أنا أردت أن أختصر وأعطيكم فكرة حتى يكون عندكم فهرسة في أذهانكم وكيف الإنسان يتناول هذه المسائل، لكن لا بد أن نذكّر دائمًا بأصول معينة:

أول أصل: إن هذه وسائل التغيير وأساليب التغيير هي مسائل شرعية لا بد أن يُنظر فيها على مقتضى الدليل من الكتاب والسنة، لا بمجرد العقل فقط؛ لأن هناك أناس قالوا كيف ما ندخل في البرلمانات، المشاركة السياسية؟! أحد الإخوان المسلمين في الجزائر رفع شعار "المشاركة لا المغالبة" وأخذوا يضعون الشعارات: يجب

أن نشارك ولا نترك المجال للوطنيين والعلمانيين، لا بد أن نشارك ولا سبيل لنا إلا أن نشارك حتى نقلل من الشر. هذا كله كلام فلسفات.

لكن نحن نقول: الشرع ماذا يقول لنا؟ ما هو الواقع؟ ما هو حكم الشرع فيه؟ الواقع كما ترون الكفار مسيطرين، والمرتدون مسيطرون على معظم بلادنا هذا إن لم يكن كلها -الحكومات المرتدة- ما هو الواجب شرعًا في هذا الواقع؟ ماذا فرض الله علينا تجاهه؟ فرض الله علينا أن نجاهده -هذا بالإجماع-، واجب علينا جهاد هؤلاء يجب علينا الجهاد، قال شخص لا أقدر أن أجاهد ولا نستطيع ولا قدرة لنا ولا طاقة، فالعدو سيضربنا ويستأصلنا وننتهي. طيب عجزنا ماذا نفعل؟ ننتقل إلى إعداد العدة، الشريعة دلت على هذا والأدلة الشرعية دلت على هذا، وبسط هذا الكلام يطول ولكنه هكذا باختصار وببساطة.

أن الشريعة دلت الآن أنه واجب علينا في حق هذا الوضع المزري -الذي هو سيطرة الكفار والمرتدين على بلداننا وشعوبنا وعلى دولنا ومقدّراتنا- الواجب علينا شرعًا أن نجاهدهم، فإن قيل لا نستطيع وعجزنا، فيقال: العاجز ينتقل إلى إعداد العدة، وفي الأثناء وهو يعد العدة يعد نفسه ويعلم الأمة ويحرض الأمة ويدعو إلى الله -سبحانه وتعالى-، لكن الجهاد هو لا يقدر حتى يصل إلى مرحلة أنه يقول... -جمهور أهل الحل والعقد والعلماء وأهل الخبرة وأهل القيادات السياسية مثلًا أو الدعوية وغيرهم قيادات الناس وأعيانهم الموثوقين الأمناء- يقول: نحن الآن نستطيع أن نجاهد، نحن الآن وصلنا إلى مرحلة نستطيع أن نجاهد، نستطيع أن نعلن الجهاد فحينئذ يجب عليهم الجهاد، هو هذا الذي دلت عليه الشريعة.

أما يأتيني أحدهم ويقول مثلًا: الإخوان المسلمين وبعض الجماعات هنا في باكستان جماعات مثل جماعة القاضي حسين امتداد للجماعة الإسلامية التابعة للمودودي نفسهم وغيرهم من الجماعات الأخرى الإسلامية، أو في كل مكان في الأردن وفي الخليج وفي الجزائر وفي المغرب وفي تونس وغيرهم في كل مكان الناس سلفيين وإخوان مسلمين ومستقلين رأوا إن في سبيل التغيير هو دخول البرلمانات هذه واستغلال الفرصة واستغلال الهامش المتاح وتحرك في الهامش. كل هذه العبارات كلام فارغ، كلها نحن نقول إن هذا لا يجوز، كله لا يجوز بل ممكن يكون في بعض الصور كفر -والعياذ بالله-.

أما الواجب شرعًا هو أن نجاهد هؤلاء، لا تستطيع جهادهم؟! أعد للجهاد؛ لأن إعداد العدة حتى تستطيع أن تجاهد واجب بنفسه، لأن الإعداد واجب استقلالًا وواجب بالتبعية لأنه لا يتم الواجب -الذي هو الجهاد- إلا به، فنحن عندنا الدليل ونحن أسعد الناس بالدليل والمسألة بسيطة جدًا ما تحتاج كلام كثير.

الشيخ الألباني وجماعة السلفيين مثلًا هؤلاء وأمثالهم وامتداداتهم المدخلية الآن وغيرهم غَلَو في جانب آخر، جانب العلم وطلب العلم والتصفية والتربية، طيب والجهاد؟ قالوا: نحن لا نستطيع أن نجاهد. طيب تعدون العدة! تركوا إعداد العدة وقالوا: لا، نحن لا نعد العدة ولا غيرها. وبدؤوا يتفلسفوا وقالوا: نحن إذا أعددنا العدة العدو ممكن يغلبنا. طيب قد فتحت ساحة أفغانستان أخرجوا الشباب بالمئات والآلاف ليتدربوا، لتتدرب الأمة وليرجع منهم من يرجع المهم أن تتدرب الأمة وتتعلم، ولا بد أن يكون هناك شهداء ولا بد من قتلى ولا بد من جراح ولا بد أن يكون فيه قراح، أتظنون أنكم تخرجون من هذا الانحطاط العظيم الذي أنتم فيه بدون جراح؟! أين عقولكم؟ الأمة تظن أنها تخرج من هذا الانحطاط -هذا الوضع المنحط جدًا جدًا- تخرج بعافية وسلامة! لا بد من عملية جراحية ولا بد من عملية قيصرية، لا بد من عمليات خطيرة جدًا جدًا، لا بد أن يُجرح الإنسان، لا بد أن تُدفع الضريبة، تدفعها هذه الأجيال الموجودة، ضريبة هذا الانحطاط والبعد عن الدين وترك الدين.

هذه هي القصة الناس حاولَت تخرج بتكييفات معينة للواقع، وباقتراحات معينة للحلول وللتغيير، لكن كثير منهم ما وفق، ومنهم من وفق توفيقًا جزئيًا.

وعلى كل حال مع هذا كله نحن والله -فيما رأيت- أن الحركة الجهادية -بفضل الله سبحانه وتعالى-، وهذا من نضجها الذي وصلت إليه أن هي أرحم الناس بالناس -بفضل الله سبحانه وتعالى-، الحركة الجهادية وصلت لمرحلة من النضج أن هي رحيمة بالحركات الأخرى، والله نحن لا توجد لدينا مشكلة مع التبليغ، هل رأيتمونا نتشاجر معهم وفي حرب معهم كل يوم؟ هل تكلمنا عليهم؟ تريدون أن تدعوا إلى الله أدعوا يسر الله لكم، دعونا وشأننا، أنتم مشتغلين بالدعوة حسنًا أذنّا لكم حتى لو كان عندنا حق حتى لو كان عندنا نحن مسؤولية، آذنون لكم بالدعوة، فقط لا تضرونا، نحن الذي نطلبه منكم شيئًا واحدًا "لا تقفوا أمامنا ولا تضرونا".

هذا يقول –التابع للإسكندرية والقاهرة والسلفية وحلب والتابع للأردن والتابع للمدينة هذه السلفيات المختلفة– قال: نحن مهتمين بالعلم والتصفية والتربية وتصفية الكتب والمناهج العلمية والثقافة الإسلامية وغيرها من الدخيل والحديث الضعيف والموضوعة وخرافات وخزعبلات الصوفية والانحراف الفكري والعقدي، ثم تربية الناس على هذا الشيء المصفَّى وهذه المناهج والكتب المصفاة، المكتبة الإسلامية لا بد من إعادة صياغة وبناء المكتبة الإسلامية ولا بد أن تكون في كل المجالات التربوية والعلمية والفقهية، كتب جديدة محققه ومخرجة، ويجب الاهتمام بعلم الحديث والسند والرواية وغيرها، حسنًا هذا عمل جيد فلتقوموا به لكن لا تضرونا! يوم أن تقفوا أمامنا وتضرونا فالويل لكم! ربما كثير منهم تجد تطاحنٌ بينهم نحن والله لا نبحث عنه، هذا من النضج الذي وصلت إليه الحركة الجهادية.

الحركة الجهادية ماضية في خطها "انفذ علي رِسلك ولا تلتفت" هذا عنوانها ماضية ونافذة ولا تلتفت، إنما المشكلة أن هم نفسهم يتسلطون علينا ويضروننا –بعضهم– بين الفينة والأخرى، فيتسلط عليك هذا من هنا وهذا من هنا وهذا يقف مع الطاغوت ضدك وهذا واقف مع الأمريكان ضدك وهكذا، فاليوم الذي يقفون فيه ضدنا أو يضرونا نحن نعلم جيدًا كيف نتصرف، نحن عندنا فقهنا وعندنا علمنا ومعارفنا –بفضل من الله سبحانه وتعالى– فنحن لسنا معتمدين عليكم كثيرًا، سائرون على طريقة علمائنا نأخذ من مَعينهم، مصادر هذا الدين نفهمها على طريقتهم وننضبط بأُصولهم وماضون على طريقة سلفنا ونعرف كيف نتصرف معكم.

علي الحلبي أو علي عبد الحميد، قاعد في الزرقاء بالأردن، أنا ما أدراني ماذا ألف من الكتب "نعيم الجنة" و"جحيم النار" يؤلف الرسائل ويُتاجر ويكتب، أي أحد يستطيع أن يؤلف الكتب ويبيع ويشتري ويتاجر بها، وله قصر بالرصيفة!! فأنا ما هي مشكلتي معه؟ يجب أن أخرج أبو يحيى في السحاب وأعمل درس؟ هل رأيتم أننا نحن مهتمين بهذا؟؟ أبدًا، لا!

فالحركة الجهادية –بفضل من الله– لا الشيخ ذكرهم ولا الدكتور أيمن ذكرهم ولا ألفنا الكتب فيهم ولا جعلنا رأسنا برأسهم، أبدًا! فنحن لا مانع عندنا من التخصص.

مثلًا قال: أنا متخصص.

كالشيخ أبو بكر أبو زيد -رحمه الله- رجل طيب، قلنا له: تعال يا شيخ أبو بكر للجهاد.

قال: نحن متخصصين في العلم ونحن -إن شاء الله- ننفع الأمة في العلم وعندنا دور كبير ونسد ثغر.

نقول: لا بأس، ليس لدينا مشكلة أعانكم الله ووفقكم، ونحن أيضًا نستفيد منكم.

وربَّ إنسان فُتح عليه في العلم ولم يفتح عليه في غيره، وربَّ إنسان فتح عليه في العبادة وربَّ وربَّ... وهذا كلام صحيح جيد استمروا لن تضرونا.

لكن لو أمامنا شيخ -لا أعرف ما اسمه- نحن لزام علينا ونضطر أن نتكلم؛ لأنه واقف أمامنا ويسفهنا! لا أقبل، وسأعرف كيف أرد وأعرف كيف أتصرف معه -خطوة بخطوة-.

فو الله لو أن إنسان قال: أنا متخصص، والله يعينكم ويوفقكم وأنتم -إن شاء الله- على عمل صالح وأنا أيضًا على ثغر وعلى عمل صالح. فهذه ليست بمشكلة، والله نحن نحاول أن نقنعه، تبدأ بعملية الإقناع ولكن يبقى حبيبنا ويبقى ولينا وما بينا وبينه إلا المحبة والإخاء والمودة والدعاء، لكن المشكلة أن كثير من هؤلاء أيضًا مع الزمن ومع الأحداث ومع المحن والمحكات والفتن تجدهم أمامك! كسلمان العودة يدور ويدور وفي النهاية يأتي ويقف أمامك؛ لأن المصير في الأخير -أي غايته في النهاية- أن يقف مع الطاغوت ضدك، لا بد هذا الطريق يوصل إلى هذا؛ لأن الطريق الذي هو سالكه موصل إلى الكون مع الطاغوت ضد الحركة الجهادية؛ لأن الحركة الجهادية هي العدو رقم واحد والعدو الأساسي والرئيسي وممكن أن تكون العدو الوحيد في بعض الصور للطواغيت هؤلاء، فهم ليس لديهم مشكلة في الإخوان المسلمين فهم شيء بسيط، ولا مع السرورية والسلفية ولا التبليغ ولا الصوفية، ليس لديهم مشكلة معهم، وسلفية الإسكندرية أو القاهرة موجودين مكرمين معززين الطاغوت يضايقهم قليلًا فقط ومعظمها نوع من التخويف والتحجيم لهم والمراقبة، لكن يبقيهم في النهاية لا يستطيع القضاء عليهم هم آلاف موجودين فلا ينظر أن في مصلحته أن يشن عليهم حملة ليس فيها جدوى، فتركهم، وهم بقوا يعملون دعوة ودروس وعلى مواقع الإنترنت واتصالات وغيرها... حسنًا، وماذا بعدها؟!

العدو الوحيد للطواغيت هو الحركة الجهادية، يوم يكون هناك جهاد في مصر هؤلاء سيكونوا في مفترق طريق وعلى محك خطير جدًا، إما أن يكونوا مع المجاهدين فحينئذٍ يصبحوا مجاهدين مطاردين ومشردين وهكذا، وإما أن يكونوا مع الطواغيت، وإما يحاولون إحساناً وتوفيقًا فيبدؤون في البحث عن طريق ثالث ويحاولون أن يقولوا نحن مستقلين لسنا مع هذا ولسنا مع هذا، وهذا حصل في الجزائر، السلفيين في الجزائر –السلفيين هم المداخلة– أيام الجهاد كان في عزته أواسط التسعينيات حاولوا أن يأخذوا مسلكًا لوحدهم هذا في البداية أيام الجهاد في عزته (1993/ 1994/1995) ثم بعد أن ضعف الجهاد وحصل الانكسار في الجهاد والفتن مشوا كلهم مع الدولة! فكان في البداية عملية خوف؛ لأن موازين القوة لم تكن معروفة بعد هي لصالح من؟ فهم قد قاموا بحسبتها هكذا فبقوا لوحدهم والدولة تضغط عليهم ليكونوا معها ضد المجاهدين فهم يتمنّعون ويقولون ليس لنا دخل بهذه الأشياء، نحن لوحدنا، وبعضهم خرج على قنوات الإعلام وفي الصحافة وتكلموا من على المنابر وغيرها في أماكنهم، وحصل بينهم وبين المجاهدين أمر، والمجاهدين قتلوا منهم بعضهم، لكن الأكثرية منهم كانت تحاول أن تأخذ موقف لوحدها، فلا زالت موازين القوة الآن غير واضحة هم خائفين من أن المجاهدين ينتصروا وفي الوقت نفسه خائفين أن المجاهدين ينكسروا والحكومة تنتصر وتسيطر، فلو أخذوا موقفًا من هنا أو من هناك فهم لا يعلمون كيف ستكون النتيجة، ولما ضعف المجاهدون بدؤوا بشكل شبه علني مع الحكومة، فهذا كله لا ينفع، فالذي ينفع هو أن تكون ملتزمًا بالحق، والحق الذي رأيناه في الكتاب والسنة هو منهج الجهاد في سبيل الله.

والجهاد ليس معناه ترك العلم! نطلب العلم ونحرص على العلم ونعظمه ونعظم أهله بحسب قدرتنا وإمكانياتنا.

وبفضل الله –سبحانه وتعالى– الحركة الجهادية منتشر فيها العلم وطلبة العلم على قلّتهم ولكن يبارك الله –سبحانه وتعالى–، وهم مستفيدون من العلماء حتى القاعدين، فالقاعدون هؤلاء كثير منهم معذورون إما أن يكون كبيرًا في السن فلا يستطيع أن يسافر ويجاهد، وإما أن بعض الناس الآخرين عندهم تأويل ومتأولون فنحن نعلم بأنهم –إن شاء الله– أناس جيدون وصالحون ولكن لهم تأويل معين وقد يكون مخطئًا في نفس الأمر ولكنه معذور باجتهاده وهكذا.

فالحركة الإسلامية مستفيدة من الجميع عربًا وعجمًا وفي كل مكان، وحريصة على العلم ولا تعمل شيء إلا بشريعة.

والحركة الجهادية داعية إلى الله لا تهمل الدعوة.

الحركة الجهادية لا تهمل العمل السياسي.

الحركة الجهادية لا تهمل الفكر والثقافة وغيرها.

الحركة الجهادية هي أجمع الجماعات للفضائل وللخير وللاهتمامات الصالحة.

فهذا الذي نراه هو الخير وهو الصواب وهو الأسعد بالدليل والأقرب إلى الحق -إن شاء الله تعالى-.

أما المناهج الأخرى فكما قلنا أن النقد فيها يطول الكلام عليه ورد بعض الأفكار وهكذا، ولكن أحببت أن أعطي فكرة تكون مدخلًا لكم إذا كان هناك بعض المناقشات وبعض الأفكار التي تريدون طرحها للمناقشة، ولا بد أنكم لاحظتم كما ذكرت في البداية بأن الناس متفقون تقريبًا على توصيف الواقع، مع أنه حتى توصيف الواقع يقع فيه بعض الخطأ لكن هم اتفقوا على أن الحال لا يرضي أحدًا ولا بد من تغييره ولكن حتى التوصيف...، كيف ليس مرضي؟ ولماذا؟ ما هو السبب؟ فتجد الخلافات في توصيف الحالة، مثلًا: مريض لديه مرض غير معروف فيذهب إلى الأطباء فأحدهم يقول له: بسبب الكلية. وآخر يقول له: البنكرياس. آخر يقول له: التهاب في القولون. ويبدأ كل طبيب في تشخيص الحالة وكل طبيب يقول سبب، هذا هو الحاصل تقريبًا.

لو الآن سألتكم سؤالًا خفيفًا ولكن حاولوا أن تسرعوا في الإجابات، ما هو سبب هذا الانحطاط في الأمة وسبب الحالة المزرية والرديئة التي تعيشها الأمة الآن؟ وكل واحد منكم يحاول أن يذكر لي السبب في ذلك بعبارة يصوغها.

أحد الحضور: حديث الرسول ﷺ: (إذا تبايعتم بالعينة...) ترك الجهاد يعني.

أخ آخر: البعد عن الدين الصحيح.

أخ ثالث: ترك الجهاد، وتسلط الطواغيت على المسلمين.

الشيخ: تسلط الطواغيت هذا عامل خارجي هم تسلطوا، ولكن نحن ما السبب من جهتنا؟

جواب من أخ: ترك الجهاد والبعد عن الدين.

جواب من أخ: البعد عن شرع الله.

جواب من أخ: حب الدنيا.

جواب من أخ: ترك الدين.

جواب من اخ: اختيار الدنيا على الدين.

الشيخ: تقريبًا كل الإجابات صحيحة ولكن المقصود أن ترك الجهاد هو جزء من ترك الدين، فالبعد عن الدين أصلًا، ومنه خاصة الجهاد وترك الجهاد، ولماذا تركوا الجهاد؟ لحب الدنيا وكراهية الموت، فالناس انغمسوا في الدنيا انغماسًا ما بعده انغماس.

اخرج لأي عاصمة من العواصم، والله لقد كنت في طرابلس منذ زمن وكنت أرى الملايين التي تمشي والسيارات وأصواتها الصاخبة والشوارع الكبيرة ممتلئة! وفي القاهرة مثلًا لو خرجت على سطح عمارة عند الساعة التاسعة صباحًا ونظرت إلى هذه الملايين التي تمشي، إلى أين هي ذاهبة؟ عن ماذا يبحثون؟ لقمة العيش! هل وجدتهم في المساجد؟ لن تجد أحدًا إلا القليل جدًا، فالمسجد الكبير مثلًا لا تجد فيه إلا صفًا واحدًا فيه بعض كبار السن، الناس بُعد عن الدين وترك للدين بالكامل.

يقابله –وهذا طبيعة الإنسان إذا ترك الدين لا بد يعمل شيء– انغماس نهائي كامل في الدنيا استغرقتهم الدنيا، استولت عليهم الدنيا، أخذتهم وأكلتهم أكلًا فتركوا الدين، ترك الدين والبعد عن الدين سبب في موجة كبيرة جدًا من الفساد على جميع المستويات، فساد على مستوى العقائد والتوحيد –الاعتقادات والتصورات والمفاهيم–، وفساد على المستوى الثقافي وعلى المستوى الأخلاقي، فالأخلاقي هذا من أشره ما يتعلق بمشكلة

الشباب والبنات والنساء والآن التلفزيون وغيرها... أشياء لا تتصور يمكن لو قيلت للإنسان في قديم الزمان لما أمكن أن يتصور هذا ويخطر بباله أصلًا أو لكذّبه، هذا شيء من السحر، فوصلت الأمة إلى حالة من الانحطاط حالة شديدة جدًا، هذا الانحطاط تستطيع أن تقول هو البعد عن الدين والانغماس في الدنيا وترك الجهاد فمن أساسيات البعد عن الدين ترك الجهاد وحتى قبل أن يحصل البعد الكبير هذا لعل ترك الجهاد هو من بدايات الفساد، ولهذا الذي يقول السبب هو ترك الجهاد صحيح جوابه بقوة؛ لأن حتى قبل الانحطاط الكبير وقبل الفساد الكبير وقبل البعد الكبير عن الدين كان البدايات أن الأمة تركت الجهاد من زمان وإلا لو كان الجهاد مستمرًا ما تركوه، في وقت من الأوقات لما سيطر عليهم العدو ولما دخلت...

مداخلة من أخ: والدين سيبقى.

الشيخ: يبقى الدين وتبقى قوة الجماعة وقوة الأمة وتماسكها وصدها للعدو وما استطاع العدو أن يغزوهم، الغزو الثقافي هذا والفكري والأخلاقي وغيره وغزو المناهج مناهج التعليم صنعها العدو ومناهج الثقافة صنعها العدو ومن ضمن وسائل الثقافة الإعلام وغيره كلها من صناعة العدو وإشراف العدو، فهذا هو وصف حالة الأمة فمعظم الناس متفقون على هذا ولكن الخلاف الأكثر في كيف نعالج هذا؟ كيف نعود بالأمة إلى حالتها الصحيحة؟

إذا يوجد شيء من المناقشة تفضلوا.

أحد الحضور: بالنسبة للآن مكر شديد والله أوقع بمن أراد شيئًا والله أعلم، هذا يأتي في الأفق، الآن الحركة التي حملت الصومال ستجعل كثير من الأنظمة العلمانية تخاف من الإخوان؛ لأن الآن هم كل فرد منهم يتسابق لأمريكا وما يُرضِي أمريكا لكي تضعه على السلطة، الحكام أعطوا كل شيء لأمريكا الآن كل حكامنا أعطوا مصر ليبيا الجزائر والجزيرة أعطوا كل شيء ثم أمريكا الآن ما ترضى! لم ترضَ الآن؛ لأنها رأت الواقع استهلك ما عندهم برقية فقد باعوا شعبهم فهي ترميهم -أمريكا-، كذلك الإخوان والله أعلم حتى هم؛ لأني رأيتهم يلمزون للأنظمة أننا نحن البديل لكم فالآن سيحدث مكر شديد بعضهم ببعض والله أعلم.

الشيخ: بين الإخوان وبين السلطات تقصد؟

الأخ: أكيد هذا يا شيخ خاصة في مصر وليبيا سيحدث هذا قريب.

أخ آخر: الإخوان مسيطرين في اليمن سيطرة كبيرة.

الشيخ: أظن هذا يختلف من حالة إلى حالة لكن هو ما دام الحركة الجهادية موجودة ونسأل الله –سبحانه وتعالى– أن يبقيها قوية ويزيدها بركة، فما دامت الحركة الجهادية موجودة فالعدو وهذه السلطات المرتدة الكافرة سيظل العدو محتفظ بالإخوان المسلمين أو على الأقل لا يفتح معهم جبهة ولا يعمل معهم مشكله حتى يحاول يأكل الثور الأبيض قبل، ويستخدمهم هم أيضًا معه في ضرب الثور الأبيض هذا.

الأخ الذي يناقش: أنا أتحدث عن الأنظمة.

الشيخ مواصلًا كلامه: الغالب أن عقلية الطواغيت هكذا، نعم الأنظمة.

الأخ: أصلًا الأنظمة هذه لم تعد عندها خيار، الأنظمة أصبحت دمية هي الآن لا تملك شيء، هي الأنظمة الآن ترى سيدها الذي تكتسب منه القوة هو الذي يرى الآن بإبدالها؛ لأنها استُهلكت، ولو رأيت الانتخابات قبل سنتين في مصر وكيف حدث فيها وكيف اكتسحوا كثير...

الشيخ مقاطعًا: تقصد استنساخ تجربة الصومال وأنها ممكن أن تذهب لأماكن أخرى؟

الأخ: هذه يا شيخ على ما أظن مئه بالمئة.

الشيخ: نعم مئة بالمئة، حتى الآن في أفغانستان يمكن أن يعملوا هذا، وباكستان يمكن يعملوا هذا، يعني ليست مستبعدة أن يعملوا هذه التغييرات الكبيرة، الأمريكان يعملوها، في مصر مثلًا يُنَجّحوا الإخوان المسلمين في مصر ويضغطوا على الحكومة، قادرين أن يضغطوا على الحكومة ضغط شديد جدًا تحت مسمى انتخابات و ودولة حرة وكذا و و... ويفوز الإخوان

ثم الإخوان هم الذين يبدؤوا معك في تأديبك لكن شبت الحركة الجهادية، فاتهم التيار، خرجت من أيديهم.

الأخ: أنت لا ترى هذا يا شيخ؟

الشيخ: أنا أراه مئه بالمئة، في البداية لم أفهمك ظننت أنك تقصد العلاقة بين الإخوان والسلطة سائرة إلى تغير معين، لكن أنت تقصد العلاقة بين الإخوان والأمريكان؟

الأخ: نعم نعم يا شيخ، أنت تعلم أن القذافي حكم على اثنين من الإخوان بالإعدام وأحضروا القرضاوي إلى ليبيا سمعت بهذا أليس كذلك؟

الشيخ: نعم.

الأخ: وقصدوا أن ذهبوا به لزليطن وهي أحد مدن ليبيا وتكلم من عبد السلام الأسمر هذا ضريح لشخص عابد مات فأقاموا عليه مسجدًا ويذهب الناس للتعبد هناك يعني مكان الشرك في ليبيا المكان الذي يطوف فيه الناس والقبور.

الشيخ: مثل الطنطاوي وأحمد البدوي في طنطا في مصر الذي يعرف مصر قريب منه عبد السلام الأسمر أي قريبًا من المعنى ومثل الشركيات.

أحد الحضور: يا شيخ، هل يوجد أمل في رجوع بعض هذه الجماعة كقيادة ككل ليس أفراد يخرجون منها، هل يوجد أمل لرجوعهم للحق وانضمامهم للمجاهدين؟ أو هل هناك بوادر بدرت منهم للتواصل مع قادة الجماعة الجهادية؟

الشيخ: ما أعرف اتصلات أو شيء ما أو بوادر مثلًا أنهم يغيروا طريقهم، ما أعرف، فالجماعات الكثيرة والمشهورة كجماعة التبليغ والإخوان المسلمين وبعض الجماعات السلفية والجماعات البرلمانية وغيرها ما رأينا إلا على مستوى الأفراد فقط، أما كجماعة تترك هذا الطريق الذي سارت عليه من مدة! هذا في العادة صعب.

أخ: التبليغ أقرب إليكم يا شيخ.

الشيخ: التبليغ مسالمين، وميزتهم أنهم مسالمون.

أخ: مع الكل.

الشيخ: مسالمون، أناس طيبين.

أخ: وحتى مطافاتهم كثيرة يا شيخ.

الشيخ: نحن نستفيد منهم وهم يستفيدون منا ويدعوا فينا للتبليغ وللخروج في سبيل الله.

أخ: هناك شخص جاؤوا يستدعونه للتبليغ فقلب الدعوة عليهم!

الشيخ: وهذا أحسن أسلوب معهم، أن تجعله يتكلم ويتكلم وتقول له تعال اسمع مني أيضًا، وقل له أين أنت من الجهاد؟ الجهاد قائم ألا تريد الدعوة؟! تعال للجهاد.

أخ: والافغان دخلوا فيه [غير مفهوم]

أخ: سيقولون نحن خارجين لنا عشرين سنة وأنتم تخرجون 4 شهور أو 5 شهور ونحن خارجين من عشرين سنة، ننتظر نصرتكم.

الشيخ: تفضلوا في شيء ثاني؟

أحد الحضور: كثير من العلماء وطلبة العلم عندما تتكلم معه عن الجهاد يقول نحن عاجزين، تقول له الإعداد؟ يقول لك الأمة جاهلة لا بد أن تعلمها قبل أن تعدها يعني هذا منهج بعض العلماء في الجزيرة كسفر وغيره يقول هذا الكلام.

الشيخ: طبعًا كلام ليس صحيحًا فالأمة جاهلة، بهذا الشكل كم تستطيع أن تعلم شخص؟ الأمة فيها من العلماء والمشايخ وطلبة العلم والمدارس العلمية والدينية وغيرها فيها قدر كافي واخرج أنت وجاهد، إلى متى تتركون الجهاد؟ هو الواجب عليكم معلق في أعناقكم إنما عذرناكم بالعجز في فترةٍ ما لكن كم سيستمر هذا العجز؟ هذا غير صحيح وهذا غير مسلم به عندنا مردود هذا الكلام، وصاحب هذا الكلام هو لو اقتصر على هذا وقال أنا هذا الذي أراه وهذا الذي أدى إليه اجتهادي وجلس معنا بشكل جيد ليس لدينا مشكلة معه هذا اجتهاده كفانا شره.

وانظر إلى سفر الحوالي الذي كان يقول هذا الكلام انظر إلى أين ذهب به هذا الكلام في النهاية، يؤول إلى أن يكون مع الطاغوت ضد الفئة المجاهدة! هذه هي المشكلة، أنا ليس لدى مشكلة أن يأتيني سلمان أو سفر أو ابن باز أو بن عثيمين ويقول: أنا الآن أرى أن الأمة لا تستطيع أن تجاهد، لا زالت ضعيفة وأرى أن نحن كطائفة العلماء نشتغل بالدعوة والتعليم وكذا وكذا، هذا الذي أراه هو الصواب الآن.

ثم هذا شيء بسيط مسألة اجتهاد في النهاية أنا أحاول أن أقنعه وأجادله وأن هذا أفضل من هذا وأن الأمة الآن استعدت وفيها جمهرة لا بأس بها من الشباب ومن الرجال المستعدين للجهاد فقط تحتاج إلى قيادات لكي تحركها وعلماء، وأنتم الآن من المفترض أن تخرجوا وتقودوا الأمة وهذا جهاد واجب، إنما هذا العجز، والعجز يقدر بقدره؛ لأنه عذر فيقدر بقدره لا تتوسعوا فيه؛ لأن بعد ذلك سيدخل عليكم التخاذل، والنفوس أيضًا تتعلم على الذل.

نقد كثيرة من زوايا أخرى أيضًا، نقول له أنت كم تبني؟ أنت تبني قليلًا والعدو يهلك أكثر، مثل ما كان يقول لهم الشيخ عبد الله عزام: عاملين مثل مصانع تفريخ الدجاج. كان يستعملها الشيخ عبد الله عزام هذه العبارة، يعني أنت كم تربي وتفقص وتفرخ من الدجاج، والطاغوت يأتي في ضربة واحدة يأكلهم! أليس هذا صحيحًا؟

الذي تفسده القنوات الفضائية في أيام أو شهر واحد من البث لا تستطيع أن تصلحه وتسده ربما في عشرين عامًا، هذا في شهر واحد فقط!

أخ: وهناك شيئين يا شيخ أيضًا ننظر إليهما، أولًا: سنة النبي ﷺ عندما جاء إلى المدينة كم بقى يعلم الناس حتى خرجوا إلى بدر؟ سنة واحدة...

الشيخ: أنا أقول النقد كثير ونستطيع أن نتكلم ونجادل كثيرًا في هذا الكلام ولكن يبقى في النهاية اجتهاد، ولكن أنا أقول أنت رضيت بهذا الاجتهاد أنا عاذرك {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا} {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا} من العلم، وهذا الذي بلغ إليه علمك واجتهادك وأنت مكلف باجتهاد نفسك على كل حال، وأنا أعذرك وأنت حبيبي.

لماذا ركزت على النقطة هذه؟ لأنه لا ينتهي الأمر هنا، تجدهم ضدك! الشيخ ابن عثيمين مع من واقف؟ مع آل سعود، والشيخ عبدالله بن جبرين رجل طيب أليس كذلك؟ لكن في النهاية واقف مع آل سعود، حتى لو كان ليس الآن وكان عمره طويل، هو على كل حال شيخ طاعن في السن وقد اقترب من الموت، فأي واحد يبقى بهذا الشكل معرض إلى أنه يكون مع الطاغوت في مرحلة من المراحل؛ لأني أنا سوف أقول لك أن هذا الكلام من اجتهادك سلمنا لك، لكن هناك طائفة خالفتك في الاجتهاد وعندها اجتهاد آخر، ولا تستطيع أنت باجتهادك أن تلغي اجتهادهم صح أم خطأ؟ وخرجت تجاهد وشقّت شوطًا طويلًا لعشرين عامًا، فما تأمرهم، ماذا يفعلوا؟ أسامة بن لادن وجماعته وأمير المؤمنين الملا عمر وجماعته، هؤلاء الناس الذين يجاهدون الآن ماذا تفعل لهم؟ الشيخ ابن عثيمين قال أثناء جهاد الجزائر: ينزلون من الجبل ويسلمون أنفسهم للحكومة، هل هذا صحيح أم لا؟ ألم يقل هكذا؟ ومن ثم يخرجون بطامات كبيرة جدًا جدًا وهذا والله العظيم أنه ضلال مبين وأنا قلتها، قلت في أجوبة الحسبة هذا ضلال مبين، ليس خطأ فقط هذا خطأ وضلال مبين، الكلام الذي قاله الشيخ ابن عثيمين خارج عن أصول العلم وأصول الإيمان، لا أعلم كيف يقع فيه أحد كالشيخ ابن عثيمين! هذه من الخزعبلات، البعد عن الجهاد والعقود عن الجهاد يعاقبهم الله بقلة الفقه فهم لا يفقهون {فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ} لا يغرك أنه عالم، هو قد تخصص في الفقه ونبغ فيه وكذا لكن عندما تأتي للفقه الحقيقي في الدين ربما تجد عنده ثغرات.

أخ: أليس من مصلحة الحركة الجهادية أن توجه خطاباتها للحركات الأخرى مثل جماعة التبليغ توجهها لها بأسمائها؟

الشيخ: لا، هكذا بشكل علني! لا ليس من المصلحة والله أعلم، ولكن يستمر النقاش بينها وبينهم كل ما تأتي فرصة تستمر المجادلة بالتي هي أحسن كل ما تأتي فرصة في دروس أو كتابات، لكن بدون أن نحولها لقضية عداء أو كلام سياسي أو خطابات سياسية، ولكن تكون في سياق النقد العلمي والنقد المنهجي المدروس في سياق التناصح بين أفراد الأمة، فهذا جيد بهذا الشكل، حتى بقية العلماء حتى الحركة السلفية حتى المتشددون منهم الكارهون لنا والواقفون ضدنا، بقدر معين إذا احتجنا أن نذكر أسماءهم، وهذه الطريقة التي يمشون عليها مشايخنا وأمراؤنا هي طريقة سديدة وسليمة ونراها هي الخير، لا نذكر أسماءهم ولكن نذكر المناهج والأفكار

حسب كل مناسبة وما يناسب كل وقت وكل حين نركز على مسألة أو غيرها، ولكن الأسماء أو تدخل في حرب وتذكرهم! تذكر في السلفية تذكر الألباني أو ابن باز أو ابن عثيمين تذكر هذه المدارس ليس بجيد هذا، وليس بسبيلِ هدى والله أعلم.

أخ: لكن الإخوان المسلمين دخلنا معهم في حرب واضحة!

الشيخ: الإخوان إلى حدٍ ما هناك شرور كثيرة منهم، كوقوفهم مع الطاغوت في عدة ساحات، على سبيل المثال في العراق الإخوان المسلمين وقفوا مع برايمر ومع الذي قبله، أول ما أتوا الأمريكان دخلوا مجلس الحكم وكذا وتركوا الجهاد ولم يكتفوا بترك الجهاد ودائمًا هذه المشكلة، المشكلة ليس بأنهم تركوا الجهاد، وقال هذا اجتهادي وأنتم لكم طريقكم ويسهل الله عليكم ولكل واحد منا يشتغل في جانب، لا! على العكس، هو ينتقد الجهاد ويقف مع العدو ضدك.

أخ: يا شيخة أفتى لهم سلمان العودة وقال يجب على أهل السنة أن يدخلوا في هذه المجالس، وقال لابد أن يكون لأهل السنة مكان ...

الشيخ: هذه هي المشكلة أن يكونوا مع العدو ضدك، ولو أنه قال من باب التخصص أنا مقتنع أني أنشر العلم وأهتم بالعلم والتصفية والتربية وكذا، ولكن في نفس الوقت يكونوا ضد العدو ولا يكون مع الأمريكان، يجافي الأمريكان ويعاديهم حتى وإن لم يجاهدهم لكن يكون على الأقل متبرئ منهم وبعيد عنهم ولا يدخل معهم، وهذا ما أدى إليه اجتهاده وفهمه: هذا فهمي وهذا ما علمني ربي. هذا إنسان معذور.

لكن المشكلة أنهم يقفون ضدنا، ضد الحركة الإسلامية ويكونون مع العدو، وهات من الحجج ما شئت، يقولون خوارج، بغاة، مفسدين، وهو متأولون يتعاونون مع الصليبيين لتطبيق العدالة في الأرض! المشكله ليست في التخصص نحن نحترم التخصصات، لو إنسان قال أنا عاجز عن الجهاد أو لست مقتنع بالجهاد الآن ولا جدوى منه ستهلكون أنفسكم أو كذا –مع بطلان كلامه في اعتقادنا– ولكن مع هذا كله نقول له ليست مشكلة هذا اجتهادك وأنت حر واذهب اشتغل في الدعوة؛ ولهذا قلت لك أن جماعة التبليغ لا يضروننا في شي وعلاقتنا بهم جيدة؛ لأنهم لم يضروننا هم أناس يدعون إلى الله، برغم الجهل الذي فيهم، يقولون ليس من أصولنا الكلام في

السياسة وهكذا، وهذا الكلام كله باطل، انحراف، ضلال، يقولون لا نتكلم في السياسة ولا في أمراض الأمة، وهذا كله كلام فاضي، هذا كله انحراف ومع هذا نحن ساكتين عليهم بخيرهم وشرهم، المهم ادعوا إلى الله واجعلوا الناس تصلي في المساجد المهم أنكم تكفون شركم، وفي النهاية هم أقرب الناس لنا باعتبار أنهم يحبون المجاهدين في جملة، وكذلك المجاهدين احتاجوا إليهم في كثير من الساحات فآووهم في أفغانستان وباكستان، التبليغ آووا المجاهدين كثيرًا جدًا، نحن في إيران من آوانا؟ الإخوه بعد الخروج إلى إيران بعد الانسحاب من هنا من آواهم؟ التبليغ، في زاهيدان وفي نواحي بلوشستان من الذي آوى الإخوة؟ التبليغ، مسجد مكة الذي يسمونه "شيخ الإسلام"، عبدالحميد وجماعته آوونا ونصرونا ووقفوا معنا، ومواقفهم معنا مواقف كريمة وشريفة جدًا جدًا وتعرضوا للسجون وتعرض بعضهم للقتل وكذا.

جزاهم الله خيرًا كثيرًا، شبابهم خدمونا وذهبوا معنا لمناطق إيران يطلق عليها اسم الفرس العاصمة طهران، وكانوا في خدمتنا، ومن الذي خدمنا غير جماعة التبليغ؟ لأن هم محبين لنا، لكن هم يمشون على منهج الدعوة والتبليغ وهم لم يضرونا بل نحبهم ويحبوننا، لكن عندهم بعض الأخطاء والكثير منهم ترك هذه الأشياء وصار مجاهدًا ويحمل فكر الجهاد وهكذا.

ولكن الكثير منهم لم يكونوا يعرفوا، ولكن البعض منهم خالط الإخوة فتعلموا منهم الكثير، وهذا الشيء يأتي بالتدريج، لكن الشيء المهم أنهم لم يضرونا، ونحن إذا قلنا أن لديهم أخطاء وضلالات نعرف أن هناك جهل في الأمة، نعرف أن هناك أخطاء، نعرف أن هناك علماء أورثوهم هذه الأخطاء وصعب تغييرها، ليس من السهل أن تأتي تتحدث له ساعة أو نصف ساعة ويغير منهجه! تحتاج إلى معاشرة وأن يثق فيك ويحبك ويعرف أنك أنت على شيء من العلم والدين؛ حتى يستعد القبول منك ويهتم.

لكن في الجملة نحن نعرف أنهم أناس طيبين لا يضرونا، ليسوا خونة ولا يقفون مع الطواغيت هذا في الجملة، قد يكون منهم في بعض الساحات أناس خانوا لكن جملة يوجد فيهم الربانية والروحانية والمحبة للدين، ونحن ليس لدينا مشكلة معهم، لم يجاهدوا! ليست مشكلة، نحن مشكلتنا مع الذين يقفون ضدنا، والله لو أن السلفية

وغيرها قالوا: نحن نكفيكم هذا الجانب وسنهتم بالتصفية والتربية وبطلب العلم وبالمدارس والكتب والتنقية. هذا جيد وأنت على ثغر، لكن المشكلة أننا نجدهم أمامنا مع الطواغيت.

أخ: هناك يا شيخ جماعتين في اليمن ممن يزعمون التصفية والتربية، كثير من الإخوة الذين ذهبوا للجهاد نفروا من جماعتيْ الحكمة والإحسان التي هي السرورية، في الفترة الأخيرة من سنتين جماعة الحكمة وضعت يدها في يد الرئيس...

الشيخ: جماعة الحكمة أليس منهم الشيخ محفوظ؟

الأخ: لا، طردوه عندما عرفوا أن منهجه جهادي يحرض للجهاد، أعطوه مهلة أن يترك البيت والمعهد؛ لأنه هو كان مدير المعهد، وسُجن بعدها، وعندما خرج سألوه هل أنت من الحكمة، قال: أنا لست من الحكمة ولا من الإحسان. حتى لما اجتمعوا مع الرئيس وصارت أيديهم بأيدي الرئيس، قال: "الحكمة الآن تبينت، وقعوا في البلاء وفشلوا، صاروا مع الطاغوت" هذه الكلمة قالها لجماعة الإحسان، فقال لهم: بقي أنتم إما أن تتبرؤوا من الطاغوت وتكونوا مع المجاهدين أو ستقعون في بلاء وفيما وقعت فيه الحكمة، لا يترككم الله بدون بلاء...

أخ: طردوه من بيته! لا راعوا حقوق المسلمين ولا نظروا في دينه ولا في علمه؛ لأجل المصلحة الدنيوية!! وجلس على الرصيف في سبيل الله، نسأل الله أن ييسر أمره، والله المستعان.

الشيخ: هم هذه مشكلتهم... [**انقطع الصوت**]